

الراصد
www.alrased.net
سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
العدد ١٧٠ ذي القعدة ١٤٣٨هـ
هل تراجع خطر التطرف والغلو وداعش؟
15 الاسلاميون العرب في الرؤية الإيرانية
37 الخميني في فرنسا
69 خسارة الأقصى من التطبيع

# المحتويات

## فاتحة القول



## فرق ومذاهب



## سطور من الذاكرة



## دراسات



## كتاب الشهر



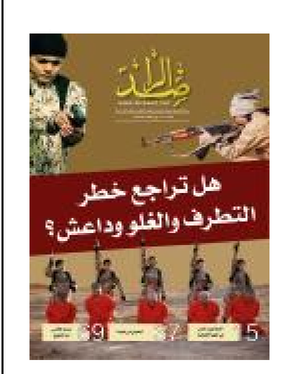
## قالوا



## جولة الصحافة






رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي


تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٠)

ذو القعدة (١٤٣٨هـ)

www.alrased.net
info@arased.net

## هل تراجع خطر التطرف والغلو وداعش؟

**مع اختفاء داعش من الموصل وتدميرها على يد الحشد الشيعي والجيش العراقي وقوات التحالف**؛ يتصاعد الحديث عن انتهاء داعش وزوالها أو قُرب ذلك..

**فهل هذا صحيح؟**

**لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال بشكل صحيح**؛ دون استحضار بعض الأسس والمفاهيم والحقائق لفهم واستشراف مستقبل التطرف والغلو وداعش وأخواتها.

**وهذه الأسس هي:**

**١ - إن التطرف والغلو قضية فكرية أولاً**، وإن الجهل والتدين المنحرف هما الدافع الأول لهما، وإن الفوضى هي المحضن الأفضل لانتشارهما وتفاعلهما، وإنه لا توجد حصانة من ظهور التطرف والغلو في أي عصر.

**وقد أوضحت السنة النبوية ذلك**؛ في قوله ﷺ عن ذي الخويصرة التميمي؛ الذي اعترض على قسمة النبي ﷺ للغنائم، وطلَب الفاروق قتلَه لنفاقه: «**دَعْهُ! فإن له أصحابًا يَحقرُ أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يَقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقِيهم، يَمرُقُون من الدِّين كما يَمرُق السَّهم من الرَّمية**». متفق عليه.

**فأصل شبهة الغلاة والمتطرفين من المنافقين الذين يجذبون الجهلاء: «يَقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقِيهم»**، ولهم عبادة بلا فهمٍ ولا تقوى!

**وأخبر النبي ﷺ أنه: سيكون لهم ظهور في المستقبل**، وفعلًا ظهروا في زمن الخلفاء الراشدين لاحقاً، وتسبَّبوا بكثير من الفوضى والخراب وخدمة الأعداء.

**وأخبر النبي ﷺ أن: هذا المنهج المنحرف سيستمر ظهوره عبر الزمن**؛ حتى ظهور الدجال آخر الزمان، فقال ﷺ: «**سَيخرُج أُناس من أُمتي مِن قِبل المَشرق، يَقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقِيهم، كلَّما خَرج مِنهم قَرن قُطع، كلَّما خَرج مِنهم قَرن قُطع** -حتى عدَّها زيادة على عشر مرات- **كُلَّما خَرج مِنهم قَرن قُطع، حتَّى يَخرج الدَّجال في بقيَّتهم**». رواه أحمد وصحَّحه أحمد شاكر.

**وعليه؛ فيجب أن نعي: أن فكر التطرف والغلو سيبقى موجوداً حتى آخر الزمان**، ولكن ظهوره واشتداده له ارتباط بعوامل وأسباب أخرى.

**ومن هنا؛ يجب على أهل العلم في المرحلة القادمة**: تحصين الناس من شبهات الغلاة والخوارج، وفضح حقيقتهم وتاريخهم العدواني على المسلمين، وبيان انحرافهم عن الصراط المستقيم؛ برغم عبادتهم الظاهرة أو جهادهم المزعوم!

**٢ - في التجربة التاريخية للتطرف والغلو كان الاختراق الخارجي سمة لازمة ودائمة له**، وذلك بسبب الجهل المسيطر على الغلاة والمتطرفين، مما يسهل على الخبثاء الاندساس بينهم، وقيادتهم للكوارث والخراب.

**وبدأ ذلك مع ابن سبأ اليهودي** -الذي تظاهر بالإسلام والإصلاح، وإنكار (منكرات!) الخليفة الراشد الشهيد عثمان ذي النورين رضي الله عنه-؛ حيث حرَّض الغوغاء بدايةً ثم اجتذب بعض الأفاضل كعمَّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر، ومن ثم ألَّب أهل مصر والعراق والأعراب حتى تسوَّروا على عثمان داره وقتلوه؛ وهو يتلو القرآن صائماً!!

**وفي عهد الاستشراق تنبَّه أعداء الملة لأهمية التعاون مع فرق الضلال -كالشيعة والخوارج-**، فرأينا التحالف الأوربي والروسي مع الصفويين ضد العثمانيين، واليوم نرى التوظيف الغربي والشرقي لتنظيمات الخروج والغلو ضد مصالح الأمة.

**ففي عصرنا الحاضر تكرر اختراق الكفار وأجهزة الأمن لكثير من تنظيمات التطرف والغلو والخوارج،** فالكثير من ضباط المخابرات الأجنبية تسلَّموا مناصب كبيرة في تنظيمات مثل: القاعدة، ولعل من آخر ما اشتهر: قصة مورتن ستوم (أبو عمر الناصري)؛ الذي أصدر كتابًا بعنوان: «عميل في قلب القاعدة»، كشف فيه عن عمالته للمخابرات الدنماركية والبريطانية والأمريكية عندما كان قياديًّا بالقاعدة وعلى علاقة برموزها الكبار؛ كأنور العولقي اليمني، وآخرين كعمر بكري اللبناني!!

**أما اختراق المخابرات العربية لهذه التنظيمات؛** فيبدأ من اختراق تنظيم صالح سرية في مصر سنة (١٩٧٤)، ومن ثم تنظيم الجهاد الذي اغتال السادات بتسهيل من جناح -على الأقل- في أجهزة الأمن؛ حيث سهلوا لخالد الإسلامبولي الاشتراك في العرض العسكري، ونصَّبوه رئيسًا لمجموعة، وأوصلوا له -عبر ضابط كبير- إبر إطلاق النار، وتغاضوا عن استبدال الإسلامبولي لأفراد مجموعته بمتقاعدين عسكريين من أصدقائه!

**أما في أفغانستان؛ فكم تفاجأ كثير من الشباب المجاهد المخلص -حين عاد لوطنه-:** أن محقق الأمن يذكِّره بحوادث بسيطة تمَّت في أفغانستان في مناوبة حراسة على رأس جبل، ليتَّضح أن زميله في المناوبة تلك -في سبيل الله!- هو من يجلس خلف طاولة التحقيق معه!

**ولعل الكتابات التي صدرت عن منشقِّين أمنيين فضحت صناعة الأمن الجزائري لغالب مسيرة العنف والتطرف في العشرية السوداء،** بعد إقصاء جبهة الإنقاذ؛ كنموذج مثالي لهذا الاختراق، ومن هذه الكتب: «الإسلاميون والعسكر» للعقيد محمد السمراوي، و«الحرب القذرة» لحبيب سويدية، الضابط السابق في وحدة مكافحة الإرهاب.

**٣- وسيكون من الطبيعي نتيجة للاختراق والجهل:** أن تقدِّم هذه التنظيمات العديد من الخدمات الجليلة للأعداء، وتنفذ كثيرًا من أجنداتهم؛ بوعي أو غير وعي، وبشكل مباشر وغير مباشر!

**فداعش -مثلاً- لم تتقدم نحو الحدود الإيرانية طيلة سنواتها،** والتزمت بتحذير وزير الداخلية الإيراني عبد الرضا رحماني فضلي؛ بعدم الاقتراب لمسافة (٤٠) كم من حدودها! كما أنها لم تشتبك مع النظام السوري إلا في (١٤%) من عملياتها في سوريا، وكان الباقي مع المعارضة السورية!

**أما داعش الروسية في سوريا؛** فقد حمت عمليات نقل الغاز وتمديداته، فبقي سليماً لم يتعطل؛ رغم كل هذا الدمار الذي شهدته سوريا!

**كما أن داعش رابطت على حدود الجولان مع العدو اليهودي كقواتٍ لحفظ السلام!** لكنها غدرت بالمعارضة السورية عدة مرات نيابة عن قوات النظام وروسيا؛ حين تلجم باتفاقيات دولية!

**وفي اليمن كان نشاطها الغالب ضد الشرعية اليمنية،** بينما سلم منها الحوثيون الطائفيون!

**وقد يكون هذا عبر اختراق في قيادة داعش أو في مفاصل مهمة منها، وقد يكون هذا عبر اختراع فصائل داعشية عميلة ترتبط بدوائر استخباراتية متعددة في أماكن محددة،** لكن قيادة داعش تغطيها بغباءٍ أو عمالةً على مبدأ: «تحقيق صيت قوة ورعب»!

**ولذلك؛ فإن تكرار توظيف هذه التنظيمات لتمرير أجندات خارجية احتمال واردٌ جدًّا وعمليٌّ من وجهة نظر الأعداء.**

**٤- إن السياسات الإيرانية الشيعية الطائفية، والسياسات العلمانية الإلحادية المتطرفة؛ التي تستهدف دين الأمة المسلمة ومقدراتها، وتعيث خراباً ودماراً في بلاد الإسلام، وتحاصر التدين الصحيح؛** توفر الحاضنة المناسبة لتقبُّل الشباب السني الغاضب! أفكار الغلو والتطرف والإرهاب باسم: «حماية الدين والدفاع عن المستضعفين»؛ خاصة مع ضعف دولنا، وقلة حيلتها، وعزوف كثيرٍ من ساستها وقياداتها عن الدفاع عن مصالح الإسلام والمسلمين، وأيضًا بسبب غياب المشروع الإسلامي السُّنِّي الصحيح؛ الذي يحمله العلماء الصادقون، ويدعمه الأمراء الموفَّقون.

**إن استحضار هذه الأسس يجعل من استشراف بقاء خطورة التطرف والغلو في أمتنا هو الأمر المتوقع،** ولكن قد يكون هناك تغيير في التكتيك؛ عبر تغيير أساليب داعش وأخواتها في العمل بالعودة لمنهج النكاية، والعمليات الخاطفة من الذئاب المنفردة أو تطوير ذلك، أو عبر اختلاق راية جديدة واسم جديد؛ بعد استهلاك اسم «داعش» وانفضاحه بين الجماهير! كما فعل الجولاني بنبذ اسم «القاعدة» ورفع راية «جبهة النصرة»، ثم استبدله بـ«جبهة تحرير الشام»، بينما الحقيقة واحدة!

**إن إعادة توظيف التطرف لضرب الإسلام والمسلمين احتمال قائم ووارِدٌ جدًّا؛** ولذلك يجب استجماع الجهود على فضح الغلاة والخوارج؛ في دينهم، وفكرهم، وشبهاتهم، وتاريخهم الأسود؛ لنقي شبابنا وأمتنا من شرورهم، ولنحافظ على ما تبقى من قوة ووحدة لنا.






# حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٤)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

**تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر**؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

**وهذه طبيعة الضلال والانحراف**، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

**في هذه السلسلة سنتناول**: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

**وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو**: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

## أولًا: الساحة المصرية

### شكري مصطفى خارج السجن

**أفرج عن شكري عقب وفاة عبد الناصر وقيام السادات بتفريغ السجون سنة (١٩٧١)**، فأكمل دراسته الجامعية، وأخذ شكري يطور من أفكاره ويضع لها كتبًا يشرحها فيه، وأخذ يدعو الناس لفكره (والأصوب: لبدعته وضلاله!)؛ ليشكل منهم جماعة لتعبيد الناس لله وإعادة الإسلام في الأرض كلّها.

**يقول عبد الرحمن أبو خير عن شخصية شكري في هذه المرحلة**: «وكنتُ كلما استمعت إلى الأخ شكري ازددت يقينًا في أنه تغير، فلم يعد شكري ذلك الفتى العصبي الذي لا يؤبه بشأنه؛ كما شاهدته آخر مرة في معتقل طره السياسي.

**لقد كان حينئذٍ**: شكري الداعية المكتمل لعناصر الإمامة؛ لولا بقية من الهياج العصبي الذي يدفعه لتجريح محدِّثه إن لمس فيه أدنى من ذرة

[1] «مجموع الفتاوى» (٨/٤٢٥).

من الخلاف في الرأي»[1].

### ◘ فكره:

**فِكر شكري مصطفى لا قيمة له!** لأنه فكر رجل جاهل أصلًا بالعلوم الشرعية، فهو خريج زراعة، ثانيًا: أخذ فكره بطريقة مشوهة من خلال علي إسماعيل؛ حين انحرف نحو التكفير وأعاد إحياء فكر الخوارج، واخترع بدعة (التوقف في الحكم على المسلمين)، ولذلك جاء فكر شكري متناقضًا، ويحوي الأعاجيب!

**ولم ينطبق فكره على واقعه هو،** وهو مثال ساطع على خطورة امتزاج الجهل والبدعة، وكيفية تصاعدها لتصبح بدعة ضخمة؛ قد تصل لحد الكفر والخروج من الإسلام!

**فهو:** يكفِّر كل الحكام، ويكفِّر كل أعوانهم في الحكومة والأمن والجيش، ثم يكفِّر من لم يُكفِّرهم من العلماء والناس، ويكفِّر العامة بطاعة الحكومات الكافرة، ويكفِّر بارتكاب الكبيرة، ومع ذلك يتعاون مع الأمن ضد الحركات الإسلامية الأخرى باسم: «نصرة الجماعة الحقة»! ويكذبون على غيرهم![2]

**ومدَّ شكري حكم الكفر على كل تاريخ الإسلام من القرن الرابع الهجري؛ بحجة:** أن التقليد في الإسلام كفر لا يجوز، وأن الاجتهاد واجب على كل مسلم! وأن التقليد كان أول كفر وقع بين المسلمين!

**والحقيقة:** أن شكري -نفسه- كان مقلدًا في ذلك للمعتزلة ولابن حزم والشوكاني، وكان أتباعه مقلدين له!![3]

**وقد اضطرته هذه الضلالات:** لرمي الصحابة بالجهل، وإنكار الإجماع والقياس، والزعم بأنه وجماعته أفضل من جيل الصحابة[4].

**ورأى بعض أتباع شكري:** أن الصحابة وقعت منهم أخطاء، ولو كانوا في عصرنا وعُرض عليهم فهم شكري وجماعته ثم رفضوه لكفروا![5]

**واعتقدوا: أن شكروا هو «المهدي وأمير المؤمنين»** الواجب الطاعة والاتباع، برغم أن شكري لا يطابق اسمُه اسمَ النبي ﷺ، وليس من أهل البيت؛ كما تخبر الأحاديث! وهذا الاعتقاد جعله لا يأبه لأحد من العلماء؛ على جهله وقلة فهمه وبضاعته!

**ومن خلال أجوبة شكري لأسئلة المحكمة، يلخص مختار نوح فكر شكري بـ:** «أن الأصل في أمة الإسلام: أنها أمة أميَّة لا تقرأ ولا تكتب، ويَحرم عليها تعلم الكتابة.

**ويفر من أمام إسرائيل،** ويعتبر أن الأصل هو: الفرار من العدو .

**وهو شخص** لم يقرأ الدستور ولا يعرفه.

**والخلافة عنده هي:** سلطة مطلقة للإمام على المحكومين»[6].

**وطوام شكري وأتباعه كثيرة!** وقد سطروها في كتبهم المعروفة، وضلالهم يتطور مع الزمن؛ إما بالغلو فيه، أو بالانشقاق عنه وتكوين جماعة ضلال جديدة، أو بالتسلل لمجموعات أخرى وحرفها؛ كما حدث في اختراق بعض أتباع شكري لجماعة (جهيمان)؛ الذي احتل الكعبة المشرفة! في تدحرج من ضلال إلى ضلال أكبر[7].

### ◘ استراتيجية شكري في الدعوة:

**كان السائد لدى مجموعات العنف السابقة لشكري مصطفى:** اعتماد أسلوب الانقلاب العسكري من داخل الجيش على الحاكم، والاستيلاء على السلطة والحكم، وكان البعض يفضل خيار الثورة الشعبية وحرب العصابات؛ لأن صراعهم كان مع السلطة.

**لكن شكري مصطفى ساوى بين السلطة والمجتمع في التكفير، ولم يعد مهتمًّا بالمجتمع!** ومنها تغيرت استراتيجيته في العمل لإقامة الجماعة المسلمة، ومن هنا اخترق شكري وجماعته لصالح السلطة لضرب المجتمع أو فئات منه لصالح السلطة!

**«إن جماعة المسلمين كان لها استراتيجية مغامرة،** تتسم

---

(١) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين» (ص١٨)، بواسطة «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣٠٥).

(٢) «الحكم وقضية تكفير المسلم»، سالم البهنساوي، (ص٣٠٥)، نقلًا عن «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو» (١/ ٣٢٠).

(٣) «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٤٨).

(٤) نفس المرجع السابق، (١/ ٧١، ٩٦، ١٠١، ٣١١)، و«الموسوعة الميسرة».

(٥) «التكفير والهجرة وجهًا لوجه»، رجب مدكور، (ص٧٩)، نقلًا عن «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة»، د. سعد الدين صالح، (ص٢١٠).

(٦) «موسوعة العنف» (ص٢٣٧).

(٧) «الحكم بغير بما أنزل الله» (١/ ٢٢٦، ٢٢٩).

بالنفس الطويل؛ لأن الحكم «بالكفر» لم يكن قاصرًا على النظام... وبالتالي فإن الاستراتيجية الخاصة «بالانقلاب العسكري السريع» لم تكن هي الملائمة لأفكار شكري مصطفى.

**وتقوم استراتيجية الجماعة على تحقيق أهدافها من خلال المراحل المختلفة؛** التي تبدأ بتشكيل خلية للجماعة أو «مجتمع صغير من المؤمنين»، يكون هو الخطوة الأولى في سبيل تنفيذ استراتيجية الجماعة؛ التي تجعلها الجماعة على ثلاث مراحل:

**الأولى هي:** التبليغ التي يتبعها التنظيم؛ حتى يستطيع نشر أفكارها ودعوتها.

**تليها:** الهجرة وهي مرحلة ثانية، وفي هذه المرحلة تنشغل الجماعة ببناء المجتمع المسلم، والتدريب على استخدام السلاح ... وقد مارست الجماعة المرحلتين معًا؛ حيث هاجر جزء منها للإقامة بالمنيا منذ (١٩٧٣) في عزلة عن المجتمع.

**وتأتي المرحلة الأخيرة:** حين تخرج الجماعة من عزلتها لتفتح الأراضي «الكافرة»»[١].

## ▣ مسيرة شكري:

**يلخص مختار نوح محطات حركة جماعة شكري بقوله:** «تمثل في: كف الأيدي خلال المرحلة الأولى، وفي الإعلان عن الجماعة في المرحلة الثانية، وأخيرًا: الجهاد من أجل التمكين في المرحلة الثالثة»[٢].

**باشر شكري نشاطه ودعوته بمحافظته (أسيوط)، ثم انتقل للقاهرة،** وكان أول من قَبِل دعوته: ابن اخته ماهر عبد العزيز بكري في عام (١٩٧١)[٣]، وتمكَّن شكري من استقطاب أتباع له، كان غالبهم من صغار السن والطلبة، والذين كانوا يوظفون في نشر الدعوة مباشرة.

**فلم يكن شكري يكتفي من متابعيه بطاعته، بل كان يأمرهم بدعوة الناس لضلالهم،** يقول د. السيد عبد الستار: «زارنا في مسجد الفرقان والسيدة عائشة بالنزهة بمصر الجديدة شاب نحيف، عليه مظاهر البؤس والفاقة، وعرَّفنا بنفسه: عبد المحسن تاجر البيض، هكذا باقتضاب شديد! وقال: إنه مكلف من أمير المؤمنين شكري مصطفى لإبلاغنا بالحق الذي هم عليه، وطلب أن نناظره؛ فإن كان على الحق فقد وجبت في أعناقنا بيعته.

**وبالفعل؛ اجتمعنا في بيت الأخ محمد شريف الفخفاخ..** غير أنه اتضح خلال المناقشة أن تاجر البيض خالٍ تمامًا من المعرفة بالدين! وأنه مجرد مردِّد لمقولات شكري!!...

**خلال عام (١٩٧٦):** بدأ شكري يفرض أفكاره على الناس بالقوة، وحدث هرج ومرج ومشاجرات، وسالت دماء في أكثر من حي!»[٤].

**كما يروي د. عبد المنعم أبو الفتوح -أيضًا-** نشاط أتباع شكري مصطفى في الدعوة لضلالهم، وتوزيع كراساتهم بين شباب الجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة، ولكنهم رفضوا فكرهم القائم على تكفير المجتمع بالكلية[٥].

**هذه كانت الخطوة الأولى في نشر الدعوة (الضلالة!) بين الناس،** وعقبها جاء تنفيذ الخطوة التالية وهي: العزلة والهجرة من المجتمعات الجاهلية للجبال، وفعلًا هاجرت مجموعة من الطلبة لجبال المنيا والوجه القبلي في شهر (٩ من سنة ١٩٧٣)، بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم، وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض.

**وسرعان ما قبض عليهم وعلى شكري،** ولكن أفرج عنهم بعد (٦) شهور[٦].

**عاود شكري -بعد الإفراج عنه- لنشاطه بقوة،** وتوسع في إرسال مبعوثين عنه للدول الأخرى؛ للتبشير به، وجلب الدعم المالي، فوسع انتشار ضلاله وبدعته لخارج مصر[٧]؛ حيث وصلت السعودية وأفغانستان وباكستان والجزائر[٨].

---

(١) «الإسلام السياسي في مصر»، هالة مصطفى، (ص١٤٨)، وقريب منه: «الأصولية في العالم العربي»، ريتشارد دكمجيان، ترجمة عبد الوارث سعيد، (ص١٤٢).

(٢) «موسوعة العنف» (ص١٩٨).

(٣) نفس المرجع السابق، (ص٢٣٢).

(٤) «تجربتي مع الإخوان» (ص١٨٤).

(٥) عبد المنعم أبو الفتوح، «شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر»، (ص٦٤).

(٦) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٣٥)، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، فصل جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)، نسخة إلكترونية.

(٧) «الموسوعة الميسرة».

(٨) «موسوعة العنف» (ص٣٠٨).

**لقد استطاع ضلال شكري مصطفى أن يجد له قبولًا وأتباعًا؛ حيث** «أن جماعة التكفير قد أحرزت تواجدًا في الجامعة أيضًا؛ وخاصة في بيوت الطلبة المغتربين بالقاهرة وفي المدن الجامعية بالأقاليم ... وفي خارج الجامعة كان تيار التكفير ينتشر انتشار النار في الهشيم! لكنها كانت ومضة خاطفة كومض البرق سرعان ما خبت وزالت»[1].

**لقد ظهرت «حركة التكفير والهجرة** بصورة عملاقة أكبر من حجمها الواقعي أو السياسي، وأكبر حتى من حجم المعرفة السياسية لدى مؤسسها»[2].

**نعم، زالت قوة تنظيم جماعة شكري؛** لكن فكر التكفير لا يزال حي للآن في بؤر محدودة ومتعددة عبر الدول[3]، وإذا وجد مناخًا مناسبًا فسينفجر من جديد!

**وفي أثناء هذه المسيرة للدعوة** كانت تقع مشادات مع الرافضين لفكره؛ من قبل الدعاة والجماعات الإسلامية، ومن المنشقِّين عنه، أو التائبين عن غلوه وتكفيره، ومن العلماء الرسميين الذين يفندون شبهاته وأباطيله.

**«وكان التيار السلفي (الجهادي والمدرسي) له الأثر الكبير في محاصرة أفكار شكري وجماعته»**[4]، ومن أبرز المناظرات التي تمت مع شكري وجماعته: مناظرتهم مع حسن الهلاوي؛ الذي كان زعيم جناح القاهرة في تنظيم إسماعيل طنطاوي، ومن ثم انضم لتنظيم صالح سرية لكنه لم يشارك في حادثة الكلية الفنية؛ حيث كان معروفًا بمرجعيته الفكرية لابن تيمية، ولذلك «استطاع أن يدخل في مرحلة مبكرة مع شكري مصطفى في جدل لنقض مذهبه الفكري، ونجح في ذلك؛ بحيث كان شريط المناظرة سببًا في نهاية جماعة التكفير، فبرغم تماسك البناء الفكري للتكفير إلا أنه فكَّكه عن طريق منهج أهل السنة، وكان ذلك سببًا في اقتحام (الكتيبة الخضراء) لمنزله ومحاولة قتله»[5].

(١) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة»، د. كمال حبيب، (ص٣١).

(٢) «موسوعة العنف» (ص٢٠١).

(٣) «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو» (١/ ١٢).

(٤) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٣٦).

(٥) نفس المرجع السابق، (ص ٣٣)، وانظر كلام الهلاوي على الحادثة في: «موسوعة العنف» (ص٣٠٨).

**ومن الذين حاول شكري وجماعته قتله:** رفعت أبو دلال، بسبب انشقاقه عن الجماعة؛ رغم أنه من مؤسسيها، والمهندس أحمد عرفة، والمهندس محمد سعد الدين[6].

**وهنا نجد أن شكري يخالف منهجه بالعزلة والهجرة** للقيام بتصفية خصومه، والانشغال بالاعتداء عليهم، بينما يرى ترك المواجهة مع الدولة الكافرة! فهل كان هذا من وسوسة الشيطان؟ أم من وسوسة شياطين الإنس؛ الذين راقبوا أو رعوا هذه الغلو والتطرف والتكفير والإرهاب في السجن وعقب السجن؟

**وقد أشار الشيخ محمد سرور لظاهرة تفتت جماعة الإخوان في السجن** وأنها ظاهرة لم تلقَ حقها من العناية والدراسة والمراجعة، وتسببت بظهور كثير من الجماعات والشخصيات التي سببت أضرارًا بالغة لمسار الدعوة والمجتمعات الإسلامية[7].

**ويبدو أن أجهزة الأمن -التي تعرف شكري منذ كان في السجن، وتعرف استقلاله عن بقية المساجين والجماعات- عادت لاستثماره وجماعته،** فيروي عضو الجماعة عبد الرحمن أبو الخير: أن زملاءه في قيادة الجماعة أخبروه بوجود اتصالات مع الحكومة في بداية شهر (٩/ ١٩٧٦)؛ حيث «عرضت الحكومة على الجماعة رغبتها في التعاون معها، على أساس أن جماعتنا تصرف الشباب عن المناهج الانقلابية، وتدعو إلى الهجرة.

**إن الحكومة في حاجة إلى جماعة إسلامية** تستوعب الخاصة من الشباب، ثم إلى جماعة أخرى تستوعب العامة، ونحن -إن شاء الله- جماعة الخاصة، وقد قبلنا ذلك.

**وقد يقولون عنا عملاء؛ فليقولوا!** المهم -إن شاء الله- نحقق تقدم الجماعة، وستصبح -إن شاء الله-: الجماعة الوحيدة في مصر.

**وفي مقابل أي شيء يطلق الطاغوت أيدينا...؟** في مقابل صرف الشباب عن الانقلابات، فالحكومة قدمت هذا العرض وهي تعلم أن منهجنا لا يتصادم مع خطتهم حاليًّا، فهو منهج هجرة، ويصرف الشباب عن التجمعات ذات المناهج الانقلابية...

(٦) «الحكم بغير ما أنزل الله» (ص٣١٥).

(٧) نفس المرجع السابق، (ص٢٩٤).

إن الحكومة جادة في عرضها، وقد عرضت علينا -أيضًا-: تعويضنا عمَّا لحق بنا من أضرار في الماضي؛ كدعاية سيئة أو اعتقال، وطلبت منا رفع قضية ضد دور الصحف والأجهزة الأخرى للحصول على التعويض المناسب ... إننا في حاجة إلى المال لتقوية الجماعة»[1].

وهكذا تهادنت جماعة شكري مصطفى مع الحكومة والأمن، كما تهادنت داعش -اليوم- مع نظام بشار، وكما أطلقت يد تنظيم شكري ضد التيار الإسلامي أطلقت يد داعش ضد فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى!

وأيضًا كشفت معلومات موثقة عن شراء نظام بشار النفط من داعش، وثبت تقاضي داعش والقاعدة الفدية والأموال من جهات تكفِّرها بحجج شتى! وأنها تفاوضت مع «المرتدين والكفَّار» بينما كفَّرت بقية الفصائل؛ لأنها تحاورت وتفاوضت مع «المرتدين والكفَّار»، **لكنها التناقضات والضلال!!**

لم يقتصر قبول جماعة شكري للتعاون مع نظام السادات، بل حين تلقوا عرضًا ليبيًّا من القذافي بدعمهم للانقلاب على السادات؛ قرروا قبول الدعم المالي منه، لكنهم رفضوا الانقلاب؛ لأنهم لا يؤمنون به![2] مما يؤكد قابلية هذه الجماعات للتقاطع مع الأنظمة (الجاهلية) لتحقيق مصالحها؛ كما حدث من تنسيق تنظيم القاعدة مع إيران عقب «تورا بورا»، وتنسيقهم مع نظام بشار عقب احتلال العراق (٢٠٠٣)، وقبول جبهة النصرة وتحرير الشام لصفقات مع إيران وحزب الله في قطر في مارس (٢٠١٧).

العجيب: أن مستشار شكري مصطفى -السياسي الصحفي- عبد الرحمن أبو الخير كتب لشكري محذرًا أكثر من مرة من فخ ينصب لهم، قال فيه: «وإني أرى أننا مقبلون على محنة، نقدم فيها من خلال أجهزة الإعلام للجمهور على أننا: خوارج القرن العشرين، وسوف نضرب بتفويض من مجلس الشعب»[3].

(١) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين» (ص٥٨)، نقلًا عن «الحكم بغير ما أنزل الله» (ص ٣٢٢).

(٢) «موسوعة العنف» (ص٢٢٣، ٢٥٤).

(٣) نفس المرجع السابق، (ص٢٦٠).

وهو ما حدث؛ إلا أن شكري لم يستفد من مستشاره الذي كان يشخص أزمة شكري وأمثاله بأنهم: جهلة بسبيل المجرمين، وهو ما تكرر لاحقًا مع عدة جماعات لم تتيقظ لما ينصب لها من فخاخ لتشويه الإسلام من خلالها، وضرب مسيرة الدعوة الإسلامية، وآخرها: ما حدث من إفساح المجال لداعش لتتمدد وتتوحش، وتعلن بشاعتها بأعلى درجات الاحتراف الإعلامي، ومن ثم انطلقت صافرة النهاية!

وفعلًا بدأت عمليات الاعتداء على المنشقين عنها، والاعتداء على حسن الهلاوي؛ الذي ناظرهم وهزمهم، وقامت الجماعة بتفجير عبوة ناسفة في سينما، وتفجير في معهد الموسيقى، وتفجير في ميدان العتبة، ولكن الأمن لم يتحرك بجدية لردعها ومعاقبتها[4]، حتى حدثت قضية خطف وقتل الشيخ الذهبي من قبل جماعة شكري مصطفى في (١٩٧٧/٧/٣).

هذه الحادثة التي يختلط فيها التطرف والإرهاب الناشئ عن الجهل والغلو مع الاختراق الأمني والسياسي والتوجيه للإرهاب واستثماره لصالح أجندات وتصفيات سياسية لصالح السلطة!

فهناك الكثير من التساؤلات عن سبب اختيار الجماعة لخطف الشيخ الذهبي: هل -فعلًا- بسبب مواقفه من الجماعة وردِّه عليهم؟ أم كان بتوجيه خفي من الدولة لوجود خلافات بينه وبين الدولة؟ أم أن الجماعة هي التي اختارت خطف واغتيال الذهبي؛ لكن الدولة استثمرت ذلك وتخلَّصت من خصم ووجدت من يتحمل المسؤولية ويصنع قصة تلهي الشارع عن استثمار الدولة للجريمة؟ أم أن جناحًا في جهاز الأمن أراد توريط السادات مع الجماعات الإسلامية التي أفسح لها المجال في وجه الناصريين والشيوعيين؟[5]

وسبب هذه التساؤلات: التعامل البارد من أجهزة الأمن مع قضية بهذا الحجم؛ حيث يُخطف وزير من بيته بشكل بدائي! حيث لم تحضر قوى الأمن لمسرح الحدث إلا بعد ساعات! تمكن فيها الجيران من القبض على أحد الجناة، بعد أن قام أحد مجموعة المراقبة دون مبرر في لفت الأنظار لجريمة الخطف من خلال تهديد أحد المارة بمسدسه بدون

(٤) المرجع السابق، (ص ٢٠٥، ٢٢٦)، و«الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣٤٠).

(٥) «موسوعة العنف» (٢٠٥، ٢٢٨).

مناسبة، مما دعاه للتوقف ليشاهد جريمة الخطف! ويصبح الشاهد الرئيسي في القضية[(١)].

**فهل السذاجة وصلت لهذا الحد؟** أم أنها حركة متعمدة لِلفت النظر للعملية من أحد المخترقين في التنظيم؟ أيضًا؛ أليس من السذاجة: أن ترسل الجماعة (٣) من أفرادها لرئاسة الوزراء ووكالة الأنباء الفرنسية وصحيفة الجمهورية يحملون بيانًا بتبني الاختطاف ومطالبهم، ويقبض عليهم الأمن، ثم لا يتم معرفة مكان الذهبي وتحريره[(٢)]؟!

**هناك الكثير من الشكوك في كون نظام السادات هو المستفيد من إزاحة الذهبي؛** حيث يقال: إنه كان معترضًا على سرقة كبيرة من وزارة الأوقاف، ورفع قضية ضد بعض المتنفذين في الأوقاف والمقربين من السادات، فجاء اختطافه وقتله للتغطية على القضية![(٣)]

**ومما يعزز هذه الشكوك:** عدم تحرك الشرطة لمحاصرة المكان إلا بعد (٣) ساعات، رغم تبليغهم بعد (٥) دقائق من حدوث الاختطاف! ورفض الداخلية دفع فدية للإفراج عنه[(٤)]، وأن السادات كان في الجابون لحضور القمة الأفريقية؛ فلم يقطع زيارته بل واصل سفره لرومانيا والمغرب[(٥)].

**وتم قتل الذهبي برصاصة في عينه لتخرج من رأسه**[(٦)]، في داعشية مبكرة، ولكن الغريب في الموضوع: أن من تولى ذلك هو ضابط سابق يدعى: أحمد طارق؛ والذي كانت تحوم حوله الشكوك.

**فهل أحمد طارق هو عميل مزروع في الجماعة؛** كما ثبتت زراعة الكثير من رجال الاستخبارات بين قادة داعش والقاعدة؛ اللتين تعلنان كل فترة عن إعدام عدد من قادتها بتهمة: الخيانة والتجسس لأجهزة المخابرات![(٧)]

**وبعد قتل الذهبي تمكن الأمن المصري من القبض على الجناة وأعضاء الجماعة وزعيمها بالكامل،** وتعرضوا للتعذيب المعهود في السجون، وخلال شهور قليلة تمّت محاكمة أعضاء الجماعة، وفعلًا نفذ حكم الإعدام بشكري وعدد من أعوانه في صبيحة يوم سفر السادات لتل أبيب، في (١٩٧٨/٣/٣٠)!

**وبعد إعدام شكري -الذي كان يعتقد أنه المهدي ولن يعدم!-** أصبح فكر الجماعة يعتمد على انتظار ظهور المهدي للانضمام إليه، وبقي بعض الأعضاء على أفكار الجماعة، ونشروها في مصر وخارجها مثل: تأثيرهم على جماعة «جهيمان» في المدينة المنورة، وقسم أصبح مخبرًا للأمن[(٨)] على جماعته والجماعات الأخرى، وهي الظاهرة المنتشرة في غالب الجماعات الإسلامية -مع الأسف!-، والتي يبدو أن الأمريكان اقتبسوها من الأمن المصري بدسِّ جواسيس على الشخصيات الإسلامية في أمريكا؛ والتي تطورت -لاحقًا- لتعرف باسم: الأدلة السرية!

**من اللافت للنظر:** أن عبد الرحمن أبو الخير يلخص فشل شكري مصطفى بكونه تحاكم للطاغوت حين قبل بالتعاون معها وطلب تعويضات من محاكمها![(٩)]، وهو الذي زعم أنه أقام دعوته على محاربة الطاغوت حتى كفَّر سائر المسلمين من القرن الرابع الهجري! وكيف أن الغلو ينعكس على أصحابه!!

### ▣ الخلاصة:

**تزاوُج الجهل والظلم من جديد لإنتاج نسخة أشد من الغلو والتكفير، وتقاعُس الإخوان المسلمين عن علاج أفكار الغلو، وتواطؤ الأمن المصري في التلاعب بشكري وجماعته؛** تسببت في ارتكاب عدة جرائم، وتشويه صورة الإسلام، وانتشار هذا الفكر لخارج مصر.

**وللأسف.. لا تزال** جَهَالات هذا الفكر حية بصورة مطورة.

**ولا تزال** سياسات شكري الخاطئة تتكرر عند كثير من جماعات العنف والتكفير المعاصرة.

**ولا يزال** كثير من الشباب المتحمس يندفع للتورط في فكر الغلو والتكفير وسلوك الإرهاب والإجرام؛ وهو يظن أنه يجاهد في سبيل الله!

---

(١) نفس المرجع السابق، (ص٢١٢).

(٢) نفس المرجع السابق، (ص٢٢٠، ٢٢٣).

(٣) «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣٣٣).

(٤) نفس المرجع السابق، (١/ ٣٣٩).

(٥) «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة»، د. سعد الدين صالح، (ص٢٠٥).

(٦) «موسوعة العنف» (ص٢٠٤).

(٧) آخرها: إعدام جيش خالد بن الوليد في درعا والتابع لداعش عددًا من قادته، منهم: قائده السابق أبو عبيدة قحطان في (٢٠١٧/٦/٤).

(٨) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين» (ص١٣٤)، نقلًا عن «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣١٨).

(٩) «موسوعة العنف» (ص٢٦٨).

## ثورات الخوارج (١٠): الخوارج في بداية عهد عبيد الله بن زياد

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

**توفي زياد بن أبي سفيان سنة (٥٣هـ-٦٧٣م)**، بعد أن شنَّ على الخوارج حربًا بلا هوادة، وتمكَّن في السنوات التي كان فيها واليًا على الكوفة والبصرة: أن يضبط أمور العراق؛ لدرجةِ أنه تطلَّع لحكم الحجاز أيضًا، وبعث إلى خليفة المسلمين معاوية رضي الله عنه يقول: «إنِّي قد ضبطتُ لك العراق بشمالي، ويميني فارغة؛ فأشغِلها بالحجاز»[1].

**أما النوَّاب الذين كان زياد قد عيَّنهم قبل موته**؛ فقد أقرَّهم معاويةُ في بادئ الأمر، فأبقى سمرة بن جندب واليًا على البصرة، وعبد الله بن خالد بن أسيد على الكوفة، لكنَّ هذا الحال لم يدم طويلًا؛ إذ قام معاوية بعزل سمرة بعد ستة أشهر، وعيَّن بدلاً منه عبد الله بن عمرو ابن غيلان[2]، كما عيَّن الضحَّاك بن قيس واليًا على الكوفة.

### عبيد الله واليًا على البصرة:

**في هذه الأثناء يفِد عبيد الله بن زياد على معاوية؛ فيسأله الأخير عن نوَّاب أبيه في البلاد**، ثم يولِّيه على خراسان، وهو ابن خمسٍ وعشرين سنة[3]، وما هي إلَّا بضعة أشهر حتى عزل معاويةُ عبد الله بن عمرو بن غيلان، وعيَّن عبيد الله واليًا على البصرة، حيث وجد معاوية أن خير من يخلف زيادًا على البصرة ابنُه عبيد الله[4].

**كانت البصرة -آنذاك- تشهد حالة من الهدوء؛ بفعل الإجراءات الصَّارمة التي اتخذها زياد فيها قبل موته**، وبتولي ابنه عبيد الله الإمارة هناك سنة (٥٥هـ)، كان أول قرار اتخذه هو: الإفراج عن الخوارج الذين كانوا في سجون والده في البصرة، ويبدو أنه أراد من ذلك: استمالة الخوارج وتأليفهم، وتجنُّب ثوراتهم[5].

**لكنَّ الأيام ستثبت: أن القرار لم يكن في محلِّه**؛ إذ أن الخوارج لم يحفظوا هذا الجميل لعبيد الله[6]، فما هي إلَّا ثلاث سنوات حتى عاد الخوارج في البصرة لممارسة «هوايتهم»! بالتمرد والخروج، وهو ما يذكِّرنا بصنيع بعض جماعات العنف في مصر إزاء الرئيس السادات؛ الذي بدأ عهده بالإفراج عن المعتقلين الإسلاميين الذين كانت تغصُّ بهم سجون جمال عبد الناصر، والتنصُّل من النهج الاشتراكي الذي تبنَّاه سلفه، وإبعاد القيادات الناصرية تدريجيًّا من السلطة، ومحاربة إسرائيل في (أكتوبر ١٩٧٣م)؛ ليُفاجأ بعد أشهر قليلة بمحاولة الانقلاب عليه! فيما عُرف بـ «حادثة الكلية الفنِّية»، في (نيسان-أبريل) من سنة (١٩٧٤م).

**أما السنوات الثلاث التي ظلَّ فيها الخوارج بدون تمرُّد وثورات في البصرة**؛ فلم تكن لرغبتهم بحفظ الجميل لعبيد الله، بل لأسباب أخرى، تتمثل بحالة التشتت التي صاروا عليها بعد سلسلة الإجراءات والعقوبات التي كان زياد قد اتخذها ضدَّهم، ومراقبة تحرُّكاتهم[7].

---

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٣هـ)، والحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٩٨).

(٢) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٦٠١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).

(٥) المصدر السابق، و د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).

(٦) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).

(٧) د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).

**بدأ الخوارج بعقد اجتماعات سرِّية في بيت أحدهم، وفيها شرعوا بالتهجُّم على بني أُميَّة وذمِّ حكمهم**، ولـمَّا علِم عبيد الله بأمر هذه الاجتماعات وما يدور فيها قام باعتقال الخوارج المشاركين فيها، وألقى بهم في السجن[1]، لكنه كان مصمِّمًا -هذه المرة- على قتلهم، وعدم إعطائهم الفرصة للتمرُّد والخروج عليه.

## يقتل بعضُهم بعضًا!

**وابتكر عبيد الله طريقة لقتل الخوارج، رأى أنها ستزيد من الخلافات فيما بينهم، وتشقُّ صفّهم وتخلِّصه من العناصر النشيطة منهم، وهي**: الطلب منهم أن يَقتل بعضُهم بعضًا مقابل الإفراج عن القاتلين! وبالفعل نجحت خطَّته، وأخذ الخوارج يقتلون إخوانَهم، في انتهازية واضحة، أملاً في الخروج من السجن، وأفرج عبيد الله عن القتلة كما وعدَهم[2].

**وحقَّقت الخطَّةُ بعضَ ما كان يهدف إليه عبيد الله؛ من إحداث الفرقة بين الخوارج**، إذ أخذوا يتلاومون فيما بينهم[3]، وفي المقابل كان لها تأثير عكسي؛ فقد استاء هؤلاء الخوارج مما اقترفته أيديهم، وقرَّروا التصعيد ضد عبيد الله؛ كنوع من التكفير عن الذنب![4]

**ومِن بين الذين أَفرج عنهم عبيد الله من الخوارج بعد قتلهم إخوانهم**: رجلٌ يدعى: طواف بن غلاق، استفتى أحد (علمائهم!) بكيفية التكفير عن الذنب والتوبة، بعد رفض أهالي المقتولين قبول الدية والقوَد[5]؛ فأشار عليهم بالهجرة، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة النحل:١١٠][6].

**وما يزال منهج «الهجرة» يتوارثه الخوارج المعاصرون عن أسلافهم**، بل إنَّ إحدى هذه الجماعات المعاصرة اشتهرت باسم: «التكفير والهجرة»؛ حيث شكَّلت الهجرة العنصر الثاني في فكرها، بعد التَّكفير، ويُقصد بها: العزلة عن المجتمع، بحكم أن المجتمعات الحالية كلها مجتمعات جاهلية[7].

**واستجابةً لفتوى عالمِهم، خرج طواف مع سبعين من أنصاره من بني عبد القيس بالبصرة، بعد أن بايَعوه**، وأخذوا يستعرضون الناس[8]، ما يدلُّ على أن تكفير الخوارج لم يكن ينحصر بالولاة والحكَّام، بل شمل كل الذين لا يسيرون في ركب الخوارج، أو يرتضون منهجهم وبدعتهم.

**وعندما علِم عبيد الله بخروج طواف وأتباعه أرسل إليهم الجند فقاتلوهم**، وقاتل أهلُ البصرة مع الجند، في استمرار للسياسة التي درج عليها الأمويون بضرورة اشتراك الأهالي والقبائل بمحاربة الخوارج، ولِما رأوه من إفسادهم.

**وانتهت مغامرة طواف** بهزيمته، ومقتله، ومقتل أصحابه، وكان ذلك يوم عيد الفطر، سنة (٥٨هـ-٦٧٨م)[9].

## خروج شؤم!

**كان هذا الخروج شؤمًا على الخوارج؛ فقد تشدَّد عبيد الله في أمرهم بعد ذلك**؛ «فقتل عددًا كبيرًا منهم، وحبس آخرين؛ حتى أصبحوا بين مقتول، ونزيل في سجون البصرة، وقد فاق ابن زياد أباه في

---

(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧)، و د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).
(٢) المصادر السابقة.
(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).
(٤) د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).
(٥) أي: القصاص، وقتل القاتل بدل القتيل.
(٦) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).
(٧) د. مانع الجهني، «الموسوعة الميسرة» (١/ ٣٣٨-٣٣٩).
(٨) جاء في بعض المعاجم: استعرض القوم، أي: قَتَلهُم، ولم يُبالِ بِمَن قتل.
(٩) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ)، و د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).

تشدُّده عليهم، فقد كان زياد يقتل المُعلن، ويستصلح المسرّ، أما عبيد الله فقتلهم على الشبهة والظنَّة»[1].

**ومِمَّا جعل عبيد الله يصبُّ جام غضبه على الخوارج أيضًا، ويعزم على قتل المسجونين منهم:** تحدِّيهم له، وقيامهم باغتيال السَّجَّانين، وقد عبَّر عبيد الله عن غضبه من ذلك بقوله: «ما أدري ما أصنعُ بهؤلاء! كلَّما أمرتُ رجلاً بقتل رجلٍ منهم فتكوا بقاتله! لأقتلنَّ مَن في حبْسي منهم»[2].

**وقد أخذ الخوارج المعاصرون من أسلافهم نهجَ قتل الشرطة والضباط والسَّجانين لإخافتهم،** وكان شكري مصطفى -زعيم إحدى هذه الجماعات المعاصرة التي خرجت من مصر، واشتهرت باسم «التكفير والهجرة»- يدافع عن ذلك، ويرى قتْل كلِّ من اشترك في تعذيب المعتقلين؛ ليكونوا عبرة لغيرهم، وأنه لو قُتل ضابطٌ واحدٌ فلن يفكِّر آخر بتعذيب معتقل واحد بعد ذلك...

**وكان يقول:** إنه من العار على المسلمين أن يُمسك بهم كالدجاج دون مقاومة...

**فلماذا** لا نستشهد عندما يفكِّرون بالقبض علينا؟...

**ولماذا** لا نبدؤهم بالحرب؟...

**وكان يقول:** إننا نستطيع تصفية هذه الحرب لصالحنا؛ بقتل بضع مئات من الضباط قبل أن ينتبهوا!

**وعندما سأله أحدُهم:** وما نتيجة ذلك في نظرك؟

**أجاب:** سوف نخلق جيلًا جديدًا من الضباط المؤمنين؛ سيخافون من القتل، وينتبهون لكلمة الإسلام، ولن يُنفِّذ واحد منهم الأوامر، نحن نسلب الظالم سيفه الذي يضرب به الناس[3].

(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٨).

(٢) المبرد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

(٣) أسامة شحادة، (حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج-٣)، المنشور في مجلة «الراصد»، العدد (١٦٩)، شوال (١٤٣٨هـ)، نقلاً عن «سراديب الشيطان» لأحمد رائف.

**لكن هذا لم يحدث!** بل ازداد التعذيب والظلم في السجون للمعتقلين، وازداد الظلم والإرهاب من المعتقلين وأنصارهم ضد المجتمع وليس السجانين!!

**المراجع:**


١- الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢- ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية.

٣- أبو العباس المبرد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

٤- د. مانع بن حمَّاد الجهني (إشراف وتخطيط ومراجعة)، «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثالثة، (١٤١٨هـ).

٥- د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٦- د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويِّ خلال (٣٧-١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، (أيار-مايو ٢٠٠٧م).



## المشهد العراقي: مرحلة ما بعد داعش

سمير الصالحي - كاتب عراقي

خاص بـ «الراصد».

**تعتبر الموصل أكبر مدينة سُنِّية عراقية،** وهي ليست مدينة عادية، فهي متميزة على مستوى العراق بمواردها البشرية؛ حيث تحتضن الكفاءات من جميع المستويات.

**والتدمير الذي حصل لها؛ سواء كان من داعش أو من الحكومة العراقية أو قوات التحالف:** هو تدمير مقصود، فالاستراتيجية الإيرانية -خصوصًا- تهدف إلى: إذلال وتحطيم هذه المدينة التي تمثل قلعة من قلاع أهل السنة في العراق، واليوم هناك أكثر من مليون شخص من أهلها نازحون في العراء ومدينتهم محطَّمة، وثمة مستقبل مجهول ينتظرها وأهلها!

**فبعد معارك دامت ستة أشهر بين الجيش العراقي وداعش؛** انتهت معركة الموصل بدمار (٨٠%) منها؛ بحسب تقدير محافظ نينوى، حيث تم تدمير أكثر (٧٠) جسرًا، وهناك حارات ومحلات مسحت بالكامل من الخارطة، وتشعر وأنت ترى صور المدينة كأن قنبلة نووية كقنبلة (هيروشيما أو نجازاكي) في اليابان ضربت الموصل!

**وبلغ عدد القتلى المدنيين أكثر من (١٥ ألف) قتيل،** أكثرهم من النساء والأطفال، وأكثر من (٣٠ ألف) جريح ومعوَّق، وما زال الأمر مرشحًا للزيادة لوجود ضحايا مفقودين، والراجح أنهم تحت الأنقاض؛ فضلا عن آلاف المعتقلين ظلمًا.

**أما الخسائر المادية للمدينة؛** فتقدر بـ (٤١ مليار) دولار.

**لكن كيف يبدو المشهد اليوم؟ وما هي تداعيات ذلك على المستقبل؟**

- واقع الحكومة العراقية:

**مع تولي حيدر العبادي انقسم المشهد الشيعي العراقي،** فالعبادي يريد تحسين صورة الشيعة بعد فضائح المالكي وفساده السياسي المالي والإداري، وتحويل العراق إلى بلد مدين، وتردي الحالة الاقتصادية للعراق.

**ولتحسين صورة الشيعة والحفاظ على هيمنتهم على السلطة والحكم:** عمدَ العبادي وفريقه للضغط لتغيير سلوك الأحزاب الشيعية، وفرض نوع من التصالح الداخلي، والتواصل مع الدول العربية، مع إبقاء العلاقات القوية مع إيران.

**لكن العبادي ليس بالرجل القوي داخل المكوَّن الشيعي،** وقدرته على السيطرة على الشيعة ليست كالمالكي، رغم مساندة التيار الصدري وعمار الحكيم لحكومته.

**كما أنه يتعرض لعرقلة مشروعه من قبل الفريق الإيراني الشيعي في العراق** (نوري المالكي، هادي العامري، أبو مهدي المهندس، وقيس الخزعلي، وأحزابهم)؛ حيث يسعون لدعم الحشد الشعبي الشيعي ليكون قوة عسكرية تفوق الجيش العراقي، على غرار نموذج «حزب الله» اللبناني، ليصبح كذلك قوة سياسية تمثل ولاية الفقيه داخل العراق، تأتمر بأوامر إيران وتدور في فلكها!

**حاولت الدول العربية المجاورة للعراق ودول الخليج الاستفادة من الصراع بين الإرادتين الشيعيتين في العراق؛** من خلال التقرب من حكومة العبادي ودعمه كي ينال ولاية جديدة لأربع سنوات؛ كونه الزعيم الشيعي الأكثر إيجابية تجاه الدول العربية.

**فالعبادي يرغب بالسيطرة على الحشد الشعبي وضبط نشاطاته داخل العراق وليس خارجه،** بخلاف سعي إيران التي تريده قوة عابرة للدول ويأتمر بأمرها، ومن أجل ذلك تعاون العبادي مع الأمريكان

وسهَّل لهم إنشاء أكثر من أربع قواعد عسكرية معلنة في العراق[1]، وقواعد صغيرة منتشرة بين العراق وسوريا، وهذا يزعج الوجود الإيراني في العراق.

**كما أن العبادي يريد التخلص من داعش،** بينما يريد الفريق الإيراني إبقاء ذريعة داعش للهيمنة على جميع العراق.

**والعبادي يشجع على إيجاد بديل سني متوازن يتعامل معه؛** لذا شجع عقد مؤتمر «اتحاد القوى السنية»[2]، وشجع على أن يُعقد في بغداد، لكن الفريق الإيراني (الحشد وأحزابه) هدَّده وتوعَّده؛ لأنهم يريدون بقاء (سنة المالكي وإيران) فقط في سدَّة الحكم.

**ودخول وجوه سنية عراقية جديدة للِّعبة العراقية، وكذلك تدخُّل الدول السنية المجاورة للعراق في تحديد مستقبل العراق عمومًا وسنة العراق؛** قد يعرقل المشروع الإيراني، ولذلك حرَّكت إيران ممثليها لإفشال المؤتمر الذي عقد في (١٤/ ٧/ ٢٠١٧)، حيث أقام بعض سنة المالكي مثل: محمود المشهداني، وعبد الرحمن اللويزي، ومشعان الجبوري، وغيرهم قبل أيام من المؤتمر مؤتمرًا مناهضًا للطائفية؛ للتعطيل والعرقلة!!

**وبعد انعقاد المؤتمر تمكَّنت إيران وفريقها** من حث بعض المشاركين (قتيبة الجبوري، أحمد الحلبوسي، وأحمد أبو ريشة) على الانسحاب من مؤتمر بغداد بحجة طائفية المؤتمر، بغية بث الخلافات والفرقة بين المجتمعين.

**وتسعى الدول العربية -خاصة الخليجية، وعلى رأسها: السعودية-،** إلى أن تكون داعمة لإعمار المناطق السنية في العراق، بإشراف عربي دولي، ووجود سنة العراق بشكل فاعل، وهذا ما يرحِّب بها حيدر العبادي مضطرًا؛ لأن خزينة العراق لا تساعد على إعمار الدمار الهائل في المحافظات العراقية السنية؛ وهذه المحاولة تترافق مع ضغوط أمريكية موازية لها بخصوص الإعمار، والنفط، والتخلص من الحشد الشعبي أو إضعافه، ووجود عسكري قوي داخل العراق.

**وبالمقابل سيكسب العبادي من خلال هذه الصفقة -إن نجحت- ولاية جديدة لأربع سنوات قادمة،** لأنه هو من حقق النصر للجيش على داعش، بخلاف المالكي الذي هُزم من داعش! وقدَّم أطماع إيران على حساب مصلحة العراق، بل حتى على مستقبل شيعة العراق!

- **مستقبل الحشد الشعبي الشيعي:**

**رغم أن الحكومة العراقية قرَّرت ضم الحشد للتشكيلات الحكومية؛** إلا أن الحشد يشعر بوجود ضغط أمريكي وعربي للتخلص منه والقضاء على كل ما ينتمي علنًا لإيران؛ لكثرة جرائمه وتجاوزاته، ولأنه في الحقيقة عبارة عن «منظمات مجرمة» لا تقل جرمًا عن داعش! فهو وجود عقائدي شيعي طائفي يأتمر بأوامر إيرانية، ومتمرد على الدولة العراقية.

**وقد ظهر هذا التباين في إعلان العبادي تحرير الموصل،** فلم يذكر الحشد وجهوده استجابةً للضغط الأمريكي، لكنه شارك الحشد في استعراض ساحة الاحتفالات الذي نظمته الحكومة، وهذا يبيِّن للجميع سياسة العبادي بمسك العصا من الوسط بين أمريكا والدول العربية، وبين إيران.

**أما إيران؛ فتهدف إلى جعل الحشد القوة العسكرية والسياسية الأولى في العراق، والرادعة لأي سلوك داخله ضد إرادة إيران وطموحاتها،** فلم تعد إيران تثق كثيرًا بالأحزاب الشيعية؛ التي بدأت تفكر بمصالحها خارج السرب الإيراني؛ ولو بمستوى محدود.

**والمهمة الجديدة للحشد من منظور إيران اليوم في داخل العراق هي:** تمهيد الطريق البري بين إيران وسوريا لساحل البحر الأبيض مرورًا بالعراق، الذي يسمى: «خط الحرير القديم»، والذي يبدأ بالصين وينتهي من خلال البحر المتوسط إلى أوربا.

**فكان يراد من الحشد: أن يفتح طريقًا من منطقة التنف؛** التي تلتقي فيها الحدود العراقية السورية الأردنية، وتمر بطريق عبر صحراء من خلال تدمر، مرورًا بحمص ثم البحر المتوسط، فأغلقت أمريكا خط التنف بإنشاء قاعدة أمريكية هناك!

---

(١) قاعدة في منطقة القيادرة جنوب الموصل، وقاعدتان في محافظة صلاح الدين «قاعدة سبايكر، وقاعدة بلد»، وقاعدة عين السد في الأنبار، قرب مدينة البغدادي، وكلها قواعد في محافظات سنية.

(٢) مشروع لبناء بيت سني برعاية السعودية، الأردن، الإمارات، قطر، تركيا، ويتشكل من شخصيات سياسية مشاركة بالعملية السياسية في العراق بحصة ثلثين، وثلث من المعارضة السنية.

أو أن يؤسس الحشد الشيعي طريقًا ثانيًا من الشمال من منطقة البعاج جنوب مدينة الموصل إلى الحدود الشمالية، ومن ثم إلى حلب وصولًا للبحر المتوسط، ولكن -أيضًا- أغلقت أمريكا الطريق الثاني بتحريك الوحدات الكردية لمقاتلة داعش في الرقة!

كما أن محاولات ترسيخ الهدنة الروسية الأمريكية في جنوب سوريا تسعى لإغلاق الطريق على قوات الحشد الشعبي الإيرانية في المنطقة، لكن محاولات إيران والحشد لتأمين وجودهما وطريقًا للساحل لا تزال مستمرة.

- **هل انتهت مهمة داعش في العراق؟**

انتهت معركة الموصل، لكن مهمة داعش لم تنتهِ؛ فلا تزال داعش تتواجد في عدة مناطق عراقية، ففي مدينة تلَّعفر -تبعد (٧٨ كم) عن الموصل، و(٦٠ كم) عن الحدود السورية-، وهي مدينة مهمة للحشد الشيعي؛ لأنها المدينة الوحيدة في مناطق الموصل التي فيها شيعة (تركمان)، وفيها مطار يعتبر نقطة مواصلات هامة للقوات الشيعية القادمة من إيران لسوريا.

وهناك وجود لداعش في مناطق الحويجة بمحافظة كركوك، أبقاها الكرد والحكومة العراقية تحت سيطرة داعش؛ لأن القضاء على داعش يعني: أن تلتقي القوات الكردية (البيشمركة) وجهًا لوجه مع الحشد الشعبي أو الجيش العراقي، وكلاهما (الكرد والشيعة) لا يريدان الاصطدام ببعضهما البعض.

والمنطقة الثالثة هي: الحدود العراقية السورية (منطقة القائم)؛ فلا تزال بيد داعش.

ومن هنا؛ تتعارض سياسة أمريكا التي تدفع الحكومة العراقية للتخلص من بقية داعش؛ حتى لا تبقى ذريعة لإيران والحشد الشعبي الشيعي، مع سياسة إيران وفريقها العراقي التي تريد إبقاء ذريعة وجود الحشد قائمة للتحرك ضد داعش؛ ليكون ذلك مبررًا لدخول الحشد إلى سوريا.

هذه هي خلاصة المشهد العراقي بعد التخلص من داعش في الموصل.

## الإسلاميون العرب في الرؤية الإيرانية .. الثابت والمتغير

بوزيدي يحيى - كاتب جزائري

خاص بـ «الراصد».

ركَّزت جلّ الكتابات التي اشتغلت على موضوع علاقة الإسلاميين العرب بإيران والشيعة على بُعد واحد منها؛ تمثل في: مواقف الإسلاميين منهم سياسيًّا وعقديًّا، وتراوحت بين: التنبيه عن أخطائهم أو الانطلاق منها للتدليل على ضلالهم!

ورغم استمرار الكتابة في هذا الاتجاه لعقود طويلة إلا أنها لم تُحدث تغييرًا جوهريًّا في مواقف الجناح الإسلامي المؤيد لإيران والشيعة، ممثلًا بشكل خاص في الإخوان المسلمين، إلى أن جاءت الانتفاضات العربية وفي محطتها السورية التي اضطرت الإخوان لتعديل مواقفهم من إيران، بعدما أصبح مستحيلًا إيجاد تبريرات لمجازرها في حق الشعب السوري.

فشل هذا البعد من النقاش بين الإسلاميين يدفع لبحثه من زاوية أخرى، تتمثل في: موقف إيران والشيعة من الإسلاميين بشكل عام، والإخوان المسلمين بشكل خاص، وذلك بعدما أصبح متداولًا محاولات لإعادة العلاقة بين الطرفين إلى سابق عهدها في ظل الأزمات العربية-العربية؛ وبحث مختلف الأطراف عن سند ودعم خارجي.

وفي هذا الإطار؛ فإن أي تطور في مسار العلاقة بين إيران والإخوان لن يخرج في سياقه الإيراني عن جملة من الثوابت التي لن تحيد عنها إيران في رؤيتها للإخوان المسلمين.

نجمل أهمها فيما يلي:

### ١ - جماعات إخوانية:

تباين مواقف الدول العربية من إيران لا يختلف كثيرًا عن موقف الإسلاميين منها، فقد نقل محجوب الزويري -المختص في الشأن الإيراني- عن دبلوماسي إيراني في برنامج «في العمق» على قناة «الجزيرة»: أنهم يسعدون عندما تصلهم من سفاراتهم تقارير مختلفة من

اثنتين وعشرين دولة عربية، وسعادتهم -لا شك- أنها تكون أكبر عندما تصلهم أضعاف ذلك من التيارات الإسلامية من كل دولة، بل داخل التيار الواحد في القطر نفسه.

**فعلى مدى العقود الثلاثة السابقة** لم يستطع الإسلاميون العرب صياغة موقف أو رؤية واحدة لفهم طبيعة المشروع الإيراني وكيفية التعامل معه، ولا زال هذا التباين السمة المميزة للموقف من السياسات الإيرانية في المنطقة، ويظهر ذلك في الدولة الواحدة، وبين دولة وأخرى.

**وستعمل إيران دائمًا على الاستثمار في هذا الجانب دون السعي لتغييره.**

**وعلى سبيل المثال لا الحصر: وصل مستوى الالتباس إلى درجة التناقض الحاد!** فبينما يصدر زعيم الإخوان السوريين الشيخ سعيد حوى كتابه «الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف»، يقوم زعيم الإخوان التونسيين الشيخ راشد الغنوشي بسلسلة من الفعاليات الثقافية ليثبت أن الخميني إمام مجدِّد، وأنه لا يختلف عن نظيريه: أبي الأعلى المودودي وحسن البنا! وأن الثورة الخمينية هي: الركن الثالث في مشروع إقامة المجتمع المسلم والدولة المسلمة، إلى جانب الركنين الآخرين: الجماعة الإسلامية في القارة الهندية، والإخوان المسلمين في العالم العربي![1]

**وعندما نُبِّه الإسلاميون من:** خطر التوظيف العقدي لحرب (٢٠٠٦) من طرف «حزب الله» لنشر التشيع، وأكدوا على ضلالاته؛ أعلن المرشد السابق محمد مهدي عاكف عن استعداده لدعم «حزب الله» بآلاف المجاهدين،

**ثم استضيف على قناة «المنار» ليؤكد هذه «النصرة الواجبة»،** وتهكَّم بالمعترضين الذين «يريدون أن يشغلوا الأمة بقضايا تافهة»[2].

**في المقابل؛ هناك من يستغرب كيف يتبرع المرشد بشباب الإخوان؛** ليعلن عن استعداده لدفعهم جنودًا لحسن نصر الله! ثم يبخل بهذه النصرة عن إخوانه في دمشق ودرعا وحمص وحماة وحلب.. إلخ.

**كما بخل -أيضًا-** عن نصرة إخوانه في الفلوجة يوم خاضوا أكثر من معركة شاملة مع الاحتلال الأمريكي[3].

**٢- أدوات تغلغل ونفوذ:**

**نظر الإسلاميون العرب لإيران -بُعيد نجاح الثورة- على أنها:** «جناح إسلامي» يجب التعاون معه؛ لمواجهة الأخطار الخارجية، وكانوا من أوائل المهنئين للخميني، وشكَّلوا واجهة مهمة للدفاع عنها خلال العقود الثلاثة الماضية.

**ولكن إيران لم تبادلهم الرؤية نفسها؛** فقد كانت تنظر إليهم كأدوات لتصدير الثورة، وضرب الأنظمة العربية واختراقها كلما سنحت الفرصة بذلك، وهذا ما حصل منذ أول يوم ولا زال مستمرًا؛ كما في وقوفها إلى جانب الجبهة الإسلامية للإنقاذ الجزائرية في بداية تسعينيات القرن الماضي، لما رأت أنها قاب قوسين أو أدنى من السلطة، ودعمتها؛ ثم سرعان ما تراجعت عن مسارها بعدما استطاع النظام السياسي الإمساك بزمام السلطة مرة أخرى، وأصبحت -لاحقًا- تتبنى وجهة نظره.

**وتكرر الأمر نفسه مع الثورات العربية؛** حيث دعمت صعود الإسلاميين، وبشكل خاص الإخوان المسلمين في مصر والنهضة في تونس، وتسويق فكرة أن: الانتفاضات هي امتداد للثورة الخمينية، ولكن بعدما أظهر الرئيس مرسي قدرًا من التباين عن سياساتها؛ وتحديدًا في الموضوع السوري، تغيرت المواقف الإيرانية، ومارس إعلامها والنخب المثقفة الملحقة به الكثير من النكاية والتشفي فيها بعد انقلاب (٣٠ يونيو ٢٠١٣).

**كما جعلت إيران من دعمها لحركة حماس رافعة لمشروعها الذي يفند طائفيتها، وثبوتها على ذلك؛** رغم ما يكلفها من ضغط دولي وحصار، وخيِّل للكثيرين أن هذا الدعم صادق، وينبع من قيم إسلامية، وخالٍ من أي شروط! لكن حين رفضت حماس مطالب تأييد إجرام نظام بشار تأزمت العلاقة بين الطرفين، وتراجع الدعم الإيراني المالي والعسكري للحركة.

---

(١) محمد عياش الكبيسي، «إيران وربيع الإخوان» (١/٢)، (٢٨/٨/٢٠١٢)، جريدة «العرب» القطرية، على الرابط: http://cutt.us/IOSDz

(٢) يمكن مشاهدة الفيديو على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=VMaiAxXIkSc

(٣) محمد عياش الكبيسي، «إيران وربيع الإخوان» (١/٢)، (٢٨/٨/٢٠١٢)، جريدة «العرب» القطرية، على الرابط: http://cutt.us/IOSDz

**وبدأت إيران تبحث عن حلفاء في الساحة الفلسطينية** لسد الفراغ الذي أحدثه توتر العلاقة مع حماس، دون أن تعلن طهران عن رغبة واضحة في قطع العلاقة معها، وما زال خطابها الرسمي يتحدث عن «حماس المقاومة والمناضلة»، لكنها تحاول فتح حوار مع حكومة السلطة وحركة فتح[1].

**وبالموازاة مع ذلك؛** يشنُّ الإعلام الإيراني والشيعي بين الفينة والأخرى حملات ضد الحركة؛ بالترويج للانقسام داخلها بين الجناحين العسكري والسياسي، وعندما تكون هناك مؤشرات تقارب تخفت تلك الانتقادات؛ لتعود عند مواسم التأزم.

**إذن؛ يتضح من هذه النماذج:** أن الثابت في تعامل طهران مع الإخوان المسلمين: أنهم جماعة تستثمرها لتحقيق مصالحها؛ دون الالتفات لأيِّ قيم دينية، وفي النهاية لن تقدِّم أي دعم بدون مقابل إن عاجلا أم آجلا!

### ٣- التقريب للاعتراف بالشيعة ونشر التشيع:

**تبعًا للتصور أعلاه؛** سعى الإخوان المسلمون للتقريب كهدف نبيل لوحدة الأمة الإسلامية، وفي المرحلة الأولى من المحاولات في هذا الاتجاه لم يكن هناك احتكاك كبير بين السنة والشيعة، وكان هناك تجاهل متعمد تجاه حقائق العقيدة الشيعية.

**ويكفينا هنا الإشارة لمقالات** العلامة محبِّ الدين الخطيب لتلميذه الأستاذ حسن البنا في الاعتراض على موقفه من التقريب مع الشيعة، ومحاولات التقريب لم تكن في الدول التي يتواجد بها هؤلاء؛ وإنما في دول كمصر.

**وبعد نجاح الثورة الإيرانية** لم تكن وسائل الإعلام متطورة بالشكل الذي هي عليه الآن؛ لذلك كانت دعوات التقريب تجد آذانًا صاغية لها؛ لجهل هذه المجتمعات السنية بالعقائد الشيعية! إلى جانب سيطرة الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمين) وموقفها المرن من الشيعة بأولوية السياسي على العقدي في أيديولوجيتها، خاصة وأن الأمة كانت تشهد يومها هجمة شرسة، وأمام تراجع الأنظمة العربية تقدمت إيران الخمينية المشهد برفع تلك الشعارات.

**وبعد الثورات العربية والمواقف الشيعية الطائفية** -خاصة من طرف حزب الله- ثبت عدم جدوى التحالف على منطلقات سياسية وإغفال البعد العقدي[2]، فقد أفرزت الثورة السورية واقعًا جديدًا نسف كل الأسس السياسية للتقارب! لدرجة أصبح معها مجرد حضور وفد ممثل لحزب الله في مؤتمر «حركة النهضة» محل جدل ورفض من مناضليها، مما اضطر الأخيرة للاعتذار.

**ومن جهة أخرى؛** فإن القوى الشيعية التي روَّجت كثيرًا للتقريب ونبذ التعصب لم تستطع في هذه الثورات أن تتجاوز السقف الطائفي؛ والإيراني تحديدًا، ولم تبرهن بخطوات ملموسة وعملية عن أدنى شروط التقارب، ولو بإدانة التحريض الطائفي الذي تمارسه إيران.

**والضجة التي أثارها خطاب الرئيس المصري محمد مرسي في طهران**، خلال «قمة عدم الانحياز» في نهاية شهر (أوت ٢٠١٢)، والتي ترضَّى فيها عن الصحابة؛ تعكس نتائج كل جهود التقريب خلال العقود الثلاثة الماضية، إذا استثنينا الجهود التي سبقتها في خمسينيات وستينيات القرن الماضي؛ حيث لم تسفر كلها عن مجرد تقبل الشيعة للترضي عن صحابة رسول الله ﷺ، رغم عشرات المؤتمرات والندوات العالمية التي نظَّمتها إيران، والتي تبين أن الهدف منها: دعوة القيادات السنية لتقدم خلالها وعلى هامشها خطابات وتصريحات وبيانات في الإشادة بالثورة الإيرانية والخميني وخامنئي، ويتهجمون من على تلك المنابر على القوى السنية التي تعارض هذا المسار في العلاقة.

**تكشف هذه الوقائع: أن مشروع التقريب سيبقى في الرؤية الإيرانية مجرد (أداة لنشر التشيع وتقبله في المجتمعات السنية)،**

---

(١) فاطمة الصمادي، «علاقة إيران بحركات المقاومة الإسلامية في المنطقة العربية، في ظل الثورات العربية» (دراسة لحالات حماس-الجهاد-حزب الله)، عبد الله النفيسي وآخرون، «المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية»، مركز أميَّة للبحوث والدراسات الاستراتيجية، (ط٢)، (٢٠١٤)، (ص٢٣٢).

(٢) كان الشيخ يوسف القرضاوي قد تحوَّل عن موقفه المؤيد للتقريب سنة (٢٠٠٧م)، في موقف مبكر نسبيًّا، تواصل بعد الثورات العربية بانتقاله إلى الهجوم على إيران وسياساتها، واعترافه بخطئه سابقًا.

كما خلص إلى ذلك الدكتور مصطفى السباعي؛ الذي كان من المهتمين بالتقريب بين السنة والشيعة، وبعد تجربة طويلة من التدريس وجد أن المقصود من دعوة التقريب هو: **تقريب السنة إلى مذهب الشيعة**[1].

**ومحاولة الإسلاميين تبرير علاقتهم بإيران من منطلقات دينية، بل وجعلها أساسًا في ذلك؛ على غرار مشروع التقريب الذي اشتغلوا عليه لسنوات طويلة**: من الأخطاء الجسيمة التي يجب أن لا تتكرر.

**فالثابت في العلاقة مع الشيعة**: أن الفوارق العقدية أكبر من أن يتم تجاوزها أو التغاضي عنها، وأنها ستبقى في الخلفية المحرك الأساسي لأي مشروع شيعي؛ سواء كان ذلك في صيغة المشروع الإيراني حاليًّا، أو الصفوي سابقًا، أو تحت أي عنوان مستقبلي لاحقًا.

**وأي علاقة سياسية يجب**: أن لا تغلَّف بأي غلاف ديني، وتوضع في سياقها السياسي بتقدير المصلحة والمفسدة.

**٤ - الأولوية للشيعة:**

**في مختلف المواقف التي اختُبر فيها القرار الإيراني كان ينحاز -دائمًا- إلى جانب الشيعة!** بدايةً من سوريا؛ عندما لم يتردد نظام الخميني في مساندة حافظ الأسد في جرائمه بحق أهل حماة والإسلاميين، تحديدًا في سنة (١٩٨٢).

**وحين زار صادق خلخالي** -رئيسُ المحاكم الثورية، سوريا- ودماء المجازر في حماة لم تجف بعد؛ بدلًا من أن ينصف القاضي الثوريُ نصيرُ المستضعفين دماء الثوار؛ قام باتهام الإخوان المسلمين، ووصفهم بأنهم (إخوان الشياطين)!

**وعلى نفس المنوال هوجم الإخوان في مسجد الخميني بطهران**، ونُشر هذا الهجوم على الصفحة الأولى لصحيفة «كيهان» الإيرانية، بل في نفس العدد هوجم الإخوان -أيضًا- بمقال بتوقيع: «وحدة الحركات التحررية في الحرس الثوري»؛ حيث وَصف الإخوان وقادتهم بأنهم: عملاء ومنافقون!!

**وحسمت إيران موقفها** حين أعلن علي أكبر ولايتي - وزير الخارجية السابق -أن إيران تقف إلى صفِّ الرئيس حافظ الأسد.

**وأتى هذا الموقف بعد أن أخبر الخميني الوفد الإخواني بمعرفته بما يجري في سوريا**، وأنه سيتكلم مع حافظ الأسد في ذلك[2]، وهو الذي كان يعد بلاده لقيادة العالم الإسلامي، دون أن تتحرك الجمهورية الإسلامية لنصرة هؤلاء المستضعفين، بل تحتفظ بعلاقات وطيدة مع نظامهم الحاكم، كان يشير بوضوح إلى الفجوة العميقة بين شعارات الثورة الإيرانية وسياساتها!

**وقد كانت هناك بدائل أخرى**؛ تستطيع من خلالها إيران أن تصل إلى دبلوماسية توفِّق بين حفاظها على علاقتها مع النظام السوري؛ الذي ساندها من أول لحظة، وبين حرصها على الشعب السوري بأكثريته المسلمة المستضعفة، لكن الجمهورية الإسلامية التزمت الصمت، وساعدها على ذلك: أن الأبعاد الحقيقية والكاملة لما جرى بالذات في حماة لم تتكشف إلا بعد أعوام في ظل تخلف وسائل الاتصال في حينه[3].

**وما قام به الإسلاميون في سوريا ضد نظام حافظ الأسد** قام بمثله -أيضًا- المعارضون لنظام الشاه، كما أن المحاولات المماثلة من طرف شيعة العراق ضد نظام صدام حسين كانت محلَّ ترحيب وتشجيع؛ رغم أن النظامين بعثيان.

**والأمر نفسه ينطبق على الحالة المصرية**؛ حيث احتفى الخميني بقتلة الرئيس أنور السادات، والاستثناء -كما سبقت الإشارة- كان فقط في الحالتين العراقية والسورية.

**ولا شك أن الوشائج الطائفية كانت المحدد الأساسي**، مع

---

(١) أسامة شحادة، «المشكلة الشيعية»، إصدارات مجلة «الراصد»، نسخة إلكترونية، (ص٢٧).

(٢) أسامة شحادة، «خيانة إيران والشيعة إزاء مجازر سوريا مرة أخرى!!»، مجلة «الراصد»، على الرابط:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٣٦٤٨

(٣) نيفين عبد المنعم مسعد، «موقف إيران من الأزمة السورية»، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (٢٧/٦/٢٠١١)، على الرابط:

http://www.ecssr.com/ECSSR/print/ft.jsp?lang=ar&ftId=/FeatureTopic/Nevine_Mossaad/FeatureTopic_١٤١٦.xml

العلم أنها بدأت قبل نجاح الثورة وتشابكت أكثر بتعاونهما في لبنان[1].

**تأكدت هذه العلاقة في مختلف المحطات على طول الجغرافية العربية؛** وذلك بمساندة إيران للجماعات الشيعية في الخليج، وأيضًا وقوفها إلى جانب الشيعة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وتمكينهم من السلطة، وتدخلت في الكثير من المواقف لتسوية الخلافات بين الأحزاب الشيعية؛ لقطع الطريق أمام السنة الذين مثَّلهم الإخوان المسلمون داخل السلطة.

**وكانت ثالثة الأثافي في سوريا بعد الثورة؛** حيث تجاوزت إيران الدعم السياسي والإعلامي إلى حشد الحرس الثوري والمليشيات الشيعية من لبنان والعراق وأفغانستان وغيرها؛ لدعم نظام الأسد، والقتال إلى جانبه، ما يقطع بأن إيران -والشيعة بشكل عام- لن يتوانوا في التعاون السياسي والعسكري في تعضيد مشاريعهم، والتغاضي عن كل الخلافات فيما بينهم.

**ولعل صمت المراجع الدينية الكبرى عن هذه المجازر ودعمها من أهم العلامات على ذلك.**

■ **الخلاصة:**

**استطاعت إيران تجاوز العديد من الأزمات التي واجهت تمدُّدها دون أن تنعكس سلبًا على علاقتها مع الإسلاميين،** فموقفها من مجزرة حماة (١٩٨٢) لم يحُل دون تأزم علاقتها من الإخوان المسلمين.

**والأمر نفسه ينطبق على دعمها للحركات الشيعية في الخليج،** حيث بقيت أصوات خليجية إسلامية تدافع عنها، واستمر ذلك -لاحقًا- بعد الاحتلال الأمريكي للعراق؛ الذي لم يمنع من مواصلة الإسلاميين الدفاع عن إيران ومشروع التقريب، مع علمهم بمجازر الشيعة في حق الفلسطينيين هناك.

**إلى أن وصل المطاف** للانتفاضات الشعبية في (٢٠١١)، والأزمة السورية؛ والتي رغم كل ما كشفته عن حقيقة المشروع الإيراني الشيعي إلا أن ردود الأفعال الإسلامية لم تكن في مستواها وحجمها، حيث انتقلت من التأييد والدفاع السابق إلى الصمت المطبق، والانتقاد المحتشم في أفضل الأحوال.

**أما الانتقادات القوية؛** فتبقى محصورة بين الإسلاميين المتضررين بشكل مباشر من إيران؛ على غرار الإسلاميين في العراق أو سوريا، وحتى في هذين البلدين -وخاصة في العراق عقب الاحتلال الأمريكي- لم يمنع ذلك من بروز تباين في المواقف بين الإسلاميين أنفسهم.

**تأسيسًا على هذا؛** فإنه لا يستبعد إطلاقًا أن تتجاوز إيران كل ما خسرته جراء الانتفاضات الشعبية لتجد لنفسها طريقًا لاستكمال مشروعها ما دام هناك من الإسلاميين مَن له الاستعداد لتبرير علاقته بها تحت حجج، مهما كانت موضوعية فإنها تبقى نقطة سوداء في قلب المشروع الإسلامي.

**وفي النهاية؛ لن تتزحزح إيران والشيعة عن خططهم العقدي والسياسي،** ويبقى المتغير فقط في حجم الدمار الذي يلحق بالأمة جراء التغافل عن ثوابتها.

## إيران واستغلال الأزمات.. ولا عزاء للشعارات

أسامة الهتيمي-كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

**لم يكن أي متابع أو مراقب لتطورات أحداث الثورة الإيرانية عام (١٩٧٩م)** يتصور أن دولة الملالي الجديدة التي تأسست في أعقاب إزاحة الشاه محمد رضا بهلوي ورفعت شعارات نصرة المظلومين ومواجهة المستبدِّين؛ ستصبح -وبعد سنوات قليلة- بهذه الوضعية التي باتت تمثل تهديدًا حقيقيًّا، ليس لدول المنطقة فحسب، بل وللعالم كله!

**إذ أثبتت الدولة الوليدة وعبر ما يربو على الثلاثين عامًا أنها:** نموذج فج للبراجماتية التي لم تتردد -ولو للحظة واحدة- في استغلال الأزمات والصراعات، بل واصطناعها في الكثير من الأحيان؛ لتحقيق

(١) لتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: باتريك سل، «الأسد: الصراع على الشرق الأوسط»، بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، (ط١٠)، (٢٠٠٧)، (ص ٥٧١-٥٩٤).

طموحاتها المذهبية والقومية، بعيدًا عن شعاراتها الزائفة ودعواها بأنها دولة القيم والمبادئ! وهو ما تكشف وإن كان على مراحل زمنية مختلفة أمام الكثيرين ممَّن خدعتهم الشعارات وبهرتهم أحاديث المبادئ، فيما لم يبقَ بوق دعائي لها إلا هؤلاء السذج المستغفلين أو المستفيدين والمنتفعين!

**وكانت صدمة هؤلاء المخدوعين في إيران كبيرة إلى أقصى درجة؛** بعد أن تبيَّن لهم أن دولة الخميني لم تكن فقط مجرد دولة كبقية الدول التي تتحين فرصة هنا أو هناك من أجل تثبيت أقدامها أو تحقيق بعض المصالح دون أن تمسَّ بأمن غيرها أو تتجاوز حدود المعايير القيمية والأخلاقية، وهي ربما سلوكيات مشروعة إلى حد كبير في عالم السياسة الدولية؛ فتلتمس لها الأعذار، وإنما تكشف للجميع أنها دولة إنما تحيا وتتمدد على جثث الآخرين، وباستلاب حقوقهم دون الأخذ بأية اعتبارات!

**ومن ثم فإن ما ترفعه وتردِّده** ليس إلا مما تتلون به وبعض من أدوات النصب والاحتيال!

### ◙ منذ لحظة الولادة:

**وفلسفة استغلال الأزمات هي نهج اتبعه الخميني وأنصاره؛** حتى من قبل تأسيس الدولة الإيرانية الجديدة، وتحمل المسئوليات التي ربما تفرض على قادتها ممارسة بعض السياسات للوفاء بالاحتياجات والالتزامات السياسية والاقتصادية والجماهيرية، الأمر الذي يؤكد أن مبدأ «الاستغلال» في حد ذاته جزء لا يتجزأ من استراتيجية هؤلاء القادة، وأن ستائر الشعارات فقط هي التي أعمت الأبصار عن رؤية الحقائق الكاشفة.

**ويبرز في هذا السياق: قدرة الخميني ومَن معه على استغلال الصراع بين القطبين الأمريكي والسوفيتي** -الذي كان محتدما آنذاك- إذ وفي الوقت الذي كان يعلم فيه الجميع موقف الخميني المعلن من الشيوعية والاتحاد السوفيتي، باعتباره مرجعية شيعية، ويدعو إلى دولة دينية في الوقت الذي لم يمنعه ذلك من التواصل مع حزب «تودة» الشيوعي الإيراني؛ الذي يعود تأسيسه لعام (١٩٤٥)، ليكون هو وغيره من الفصائل اليسارية الإيرانية كـ «فدائيو خلق- ومجاهدو خلق»، ممَّن ساهموا وبشكل فعال في دعم ثورة الخميني ضد الشاه؛ الذي هو أحد أهم حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية -العدو اللدود للاتحاد السوفيتي- في هذا الوقت.

**بل إن مصادر عديدة أشارت إلى أن:** أعضاء حزب «تودة» كانوا ممن شاركوا -أيضًا- في احتلال السفارة الأمريكية بطهران، ومن ثم فقد جسَّد ذلك إلى أي مدى كان الخميني ومَن معه قادرين على استغلال الصراع فيما بين أمريكا -التي تَعتبر الشاه أحد رجالها-، وبين الاتحاد السوفيتي -الذي اتسمت علاقته بالشاه بحالة من التوتر؛ لعلاقته مع واشنطن- لكسب دعم وتأييد اليسار لصالح تحركاتهم، غاضِّين الطرف عن الخلاف الأيدلوجي المفترض بينهم وبين السوفييت.

**بل الأكثر من ذلك:** أن حركة الخميني كانت على اتصال مباشر بالسوفييت وحلفائهم في المنطقة آنذاك؛ إذ تولت كل من ليبيا وكوريا الشمالية الدعم المالي والتقني لتهيئة الكوادر الإيرانية على أرض لبنان، فبلغ الدعم المالي -وفق العديد من التقارير- نحو (١٠٠ مليون) دولار، وهو مبلغ ضخم للغاية بالتقديرات المصرفية في نهاية السبعينيات من القرن الماضي؛ فضلًا عن الدعم المالي والعسكري من قبل المنظمات الفلسطينية الاشتراكية.

**كما تلقت الكوادر التابعة للخميني تدريباتها** على يد الأنظمة والتنظيمات الماركسية في ليبيا وسوريا واليمن الجنوبي والعراق والمنظمات الفلسطينية والألوية الحمراء الإيطالية والجيش الأحمر الياباني؛ فضلًا عن علاقة جيدة كانت تربط بين الخميني وصدام حسين؛ الذي كان منحازًا وقتها للمعسكر الشرقي، رغم توتر العلاقة بين صدام والشيعة العراقيين.

**ولعل ما يؤكد متانة هذه العلاقات:** أنه وبعد انتصار ثورة الخميني وهيمنته على مقاليد الحكم في إيران قدَّم الروس الدعم الاقتصادي لها، وذلك عبر توقيع بروتوكول لتنشيط الاقتصاد، شمل قطاعات الطاقة والكهرباء والسدود والأسلحة والخبراء الفنيين عام (١٩٨٢)، على الرغم من مقاطعة العالم الإسلامي كله للاتحاد السوفيتي آنذاك؛ بعد أن قيامه باحتلال أفغانستان، بل وكان الاتحاد السوفيتي هو الداعم العسكري الأساسي لإيران في حربها مع العراق، والتي امتدت لنحو (٨) سنوات، فيما أجرى الطرفان محادثات لعقد معاهدة دفاع مشترك عام (١٩٨٧م)، وتعاون مشترك يتعلق بالمفاعلات النووية.

**وقد أثارت هذه العلاقة بين الخميني والمعسكر السوفيتي بعض المعاصرين له**، حتى أن الدكتور موسى الموسوي كتب في كتابه «الثورة البائسة»: «لا أجد صعوبة في رمي الخميني بالشيوعية؛ مع ما عليه من الطيلسان والعمة والرداء!»، بل إن بعض الباحثين الإيرانيين أشاروا إلى أن عددًا ممن يطلق عليهم: «آيات الله» في إيران قد تتلمذوا على كتابات ماركس وفيورباخ، وأن قراءتهم لهذه الكتابات لم تكن من باب النقد للنظرية الماركسية -كما قد يُخيَّل للبعض!-.

**غير أنه من الخطأ -وترتيبًا على ما سبق-**: أن يكون الاعتقاد بأن الخميني أراد أن ينحاز للمعسكر الشرقي ليستفيد منه في الانقضاض على الشاه المحسوب على المعسكر الغربي، إذ أنك وما أن تتبين شكل العلاقة بين الخميني وأمريكا وطبيعة الاتصالات بينهما؛ ستتكشف إلى أي مدى كان هذا الاعتقاد ساذجًا! فقبيل عام واحد فقط كشفت وثائق جديدة للاستخبارات الأمريكية (CIA) نشرتها هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» عن اتصالات سرية قبيل الثورة في إيران بين الخميني في منفاه بباريس والرئيسين الأمريكيين كينيدي وكارتر.

**وهو ما حاول المرشد الأعلى للثورة الإيرانية الحالي علي خامنئي أن ينفيه**، مؤكدًا على أنه تقرير مفبرك، إلا أنه وبحسب تقرير لصحيفة «شرق» الإيرانية أن إبراهيم يزدي -وزير الخارجية الإيراني الأسبق، والوارد اسمه في الوثائق، والمصاحب للخميني أثناء إقامته في ضاحية نوفل لوشاتو بباريس- لم ينكر الرسائل المتبادلة بين الجانبين.

**وقال يزدي**: «إن الإمام الخميني لم يرسل خطابات إلى الرئيس الأمريكي كارتر، بل الأخير هو الذي أرسل له، وردَّ الخميني على رسالته».

**مضيفًا**: «أن الرسائل المتبادلة بين الجانبين قام جاري سيك -عضو المجلس الأعلى للأمن القومي الأمريكي في حكومة كارتر- بنشرها لأول مرة في كتاب له».

**وأكد يزدي**: أن الخميني قبل انتصار الثورة الإسلامية كان يجري مفاوضات مع المسئولين الأمريكيين عبر (٣) طرق وليست اثنين مثلما جاء في الوثائق الأمريكية.

**مشيرًا إلى أن**: الاتصالات كانت تتم مع واشنطن عبر المجلس الثوري في إيران، حيث كان التواصل مع اثنين من الموظفين العاملين في السفارة الأمريكية في طهران.

**فيما كان الدكتور بهشتي** يجري اتصالات مباشرة في طهران مع السفير الأمريكي وليام ساليفان.

**أما الطريق الثالث**؛ فكان عبر موظف رفيع بالسفارة الأمريكية بباريس يدعى زيمرمن، وكان يتواصل مع الخميني نفسه.

**كذلك كان من بين ما كشفت عنه هذه الوثائق**: أن لقاءات سرية عقدت بين مبعوثي جيمي كارتر ومستشار الخميني (١٩٧٩) في باريس، قبيل الثورة بأسابيع قليلة، والتي أسفرت عن تنسيق كامل بين الإدارة الأمريكية والخميني للاستحواذ على مقاليد الحكم في إيران، ومن ثم أكدت على دعم الخميني للمصالح الأمريكية في إيران.

**وأوضحت الوثائق**: أن الاتصالات السرية بدأت قبل يوم من خروج الشاه بهلوي من إيران في (يناير ١٩٧٩)، فيما عبَّرت واشنطن وقتها عن امتنانها لفرنسا -التي كانت همزة الوصل بينهما-، وذلك بعد أن علمت باريس أن كارتر أوعز لسفير بلاده بطهران والملحق العسكري رابرت هايزر أن يشرعا في مفاوضات بين زعماء المعارضة والجيش، وهو ما دفعها للتعاون مع الخميني.

**وأشارت الوثائق إلى أنه**: في أعقاب هروب الشاه من إيران دخلت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والثوار مرحلة جديدة تحطَّم فيها تابو الحوار مع الخميني، فقد التقى وارن زيمر -أحد كبار موظفي السفارة الأمريكية في باريس- بمستشار الخميني، وهو اللقاء الذي اعتبر بدء عملية التواصل بين أمريكا والخميني.

**وقالت الوثائق**: إن الخميني كان دائمًا في مقابلاته الصحفية يتحدث عن كارتر بلهجة لطيفة! حيث أنه كان يخشى بعد خروج الشاه من إيران أن يتكرر سيناريو انقلاب (١٩٥٣) وتعيد الولايات المتحدة الشاه مرة أخرى إلى العرش، لذا كان يتعمَّد لقاء مواطنين أمريكيين عاديين، ويستغل ذلك لإبلاغهم برسائله، ومن ذلك: لقاء جمع بينه وبين مواطن أمريكي يدعى: ليونارد فريمن، حمَّله رسالة إلى أمريكا أكد فيها أنه إذا سيطر على مقاليد الحكم في إيران سيقيم حكومة العدل، و«سيستمر في بيع البترول للولايات المتحدة الأمريكية»، وأكد على نقل الرسالة إلى الحكومة الأمريكية.

**وكشفت الوثائق عن:** التنسيق الكامل بين الخميني وواشنطن قبيل رحيل الشاه عن إيران، وسأل مبعوث الخميني المسئولين الأمريكيين: متى سيترك الشاه إيران؟ وأخبره دبلوماسي أمريكي أنه لا يمتلك معلومات؛ إلا أن الخارجية الأمريكية عادت وأخبرته بيوم رحيله.

**ولعل ما استعرضناه -بإيجاز شديد- يشير بوضوح إلى مدى قدرة الخميني ورجاله** على استغلال الصراع الأمريكي السوفيتي، واللعب على كل الحبال؛ من أجل تحقيق أهدافهم! وبغضِّ النظر عما كانوا يخدعون به الجماهير، ففي حين كان يتم التواصل مع أمريكا كانوا يلقبونها بـ (الشيطان الأكبر)، وفي حين كان يتم التواصل مع الاتحاد السوفيتي؛ كانوا يلقبونها بـ (الشيطان الأصغر).

**وبطبيعة الحال؛** لم تفتأ تمارس إيران الملالي استغلالها للصراع بين أمريكا وروسيا بعد أن سقط الاتحاد السوفيتي وحتى اللحظة، وهو الاستغلال الذي استطاعت من خلاله أن تحقق منافع كبيرة، وسنشير إلى بعض مظاهره في السطور المقبلة.

### ◘ ترامب وأزمة الشرعية:

**لم يكد يمر أحد المؤتمرات الانتخابية لدونالد ترامب قبل انتخابه رئيسًا للبلاد في (يناير ٢٠١٧)؛** حتى أعرب الرجل خلاله عن استيائه تجاه الاتفاق النووي الذي وقعته بلاده ضمن مجموعة (٥+١) مع إيران! ملمِّحًا إلى أنه يعتزم -في حال فوزه- إلغاء هذا الاتفاق، وهو ما كان يعكس موقف ترامب الرافض للسياسات الإيرانية في المنطقة، الأمر الذي دفع ببعض الأطراف العربية -وخاصة الخليجية- إلى التفاؤل بأن ضغوطًا ستمارس بحق إيران لإجبارها على التراجع عن التدخل في شئون جيرانها، والقيام بأدوار أقل ما توصف بأنها قذرة بشأن العديد من الملفات.

**غير أن الرياح لم تأتِ بما تشتهي السفن!** وبقيت الأوضاع كما هي؛ رغم وصول ترامب للحكم ومرور أكثر من سبعة أشهر على جلوسه في البيت الأبيض، إذ لم يستطع ترامب أن يفي بما كان قد تعهَّد به، وبقي الاتفاق النووي الذي ترى الكثير من الأطراف أنه سيمنح إيران الفرصة لاستكمال برنامجها النووي وتهديد جيرانها.

**الأمر الذي يُعد بالطبع تراجعًا من قبل ترامب عن أحد وعوده الانتخابية،** ما دفعه ليعمل على حفظ بعض ماء وجهه؛ فتعلن إدارته عن فرض عقوبات اقتصادية جديدة شملت (١٨) فردًا ومؤسسة إيرانية، لن يكون لها بكل تأكيد أيّ تأثير على مسار السياسات الإيرانية، وهو ما أكَّدته الخارجية الإيرانية نفسها عندما أعلنت: أن هذه العقوبات أمر سخيف؛ وبدون قيمة!

**ورغم ذلك؛ فإن إيران وجَّهت تهديدًا صريحًا لواشنطن نتيجة هذه العقوبات المحدودة؛** إذ قال قائد الحرس الثوري محمد علي جعفري: أن الولايات المتحدة إذا أرادت مواصلة عقوبات الحرس الثوري عليها أولًا: أن تزيل القواعد الأمريكية حتى عمق (١٠٠) كلم حول إيران، مضيفًا: «لِتعلم الولايات المتحدة أن حساباتها الخاطئة ستكلِّفها الكثير كي تصححها!»، ومشيرًا إلى أن ما أسماه بـ: «رقعة النفوذ المعنوي للثورة الإسلامية» قد اتسعت.

**وكان قائد القوات المسلحة الإيرانية اللواء محمد باقري قد هدد قواعد الولايات المتحدة** حال إدراج واشنطن الحرس الثوري على قوائم الإرهاب، أو فرض عقوبات عليه؛ قائلًا: «فرض عقوبات أو إدراج الحرس الثوري على قوائم الإرهاب يُعد مجازفة كبيرة للولايات المتحدة وقواعدها وقواتها المنتشرة في المنطقة».

**والحقيقة: أن هذه العقوبات الأمريكية الجديدة -أيضًا-** لم تأتِ حتى استجابة لتوجهات ترامب فيما يخص إيران، بل ربما كانت الحد الأدنى للرد على الاستفزازات الإيرانية التي لا تتعلق فقط بسياساتها في المنطقة وما تمارسه في سوريا واليمن والعراق وغيرها، وإنما -أيضًا- لإجرائها تجارب صواريخ بالستية، إذ كان البيت الأبيض قد أعلن خلال يناير (٢٠١٧): أن واشنطن على علمٍ بأن إيران اختبرت صاروخًا بالستيًّا متوسط المدى، انفجر على مسافة (٦٣٠) ميلًا، ومن ثم ندد رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي السيناتور بوب كوركر بالخطوة، وتعهد بالعمل على محاسبة طهران.

**ويعكس ذلك مدى استغلال إيران لأزمة شرعية ترامب،** وأن الرجل لا يحظى برضا جماهيري أمريكي؛ حيث شهدت أغلب المدن الأمريكية تظاهرات عارمة للاحتجاج ضد فوزه برئاسة البلاد، وبالتالي فإن أية خطوات تصعيدية -ومنها ما يتعلق بملف إيران- ربما تواجَه برفض شعبي، ليس بالضرورة أن يكون نابعًا من توافق مع ما تقوم به إيران بقدر ما يعبِّر عن احتجاج على سياسات ترامب ذاته؛ خاصة وأن

انطباعًا ترسَّخ لدى الأغلبية وأكدته مواقف ترامب وتصريحاته حول قضايا الأقليات واللاجئين والمسلمين في أمريكا بأنه (عنصري).

## ◘ الصراع الأمريكي الروسي:

**والاستغلال الإيراني للصراع بين أمريكا وروسيا** -التي ورثت الاتحاد السوفيتي عقب انهياره عام (١٩٩١م)- لا يقل حجمًا أو أهميةً عن استغلال الصراع بين القطبين السابقين، بل ربما نجحت إيران في توظيف هذا الصراع إلى حد كبير لخدمة مشروعها لتأسيس إمبراطوريتها في المنطقة على مستوى العديد من القضايا والملفات،؛ سواء في الداخل الإيراني، أو فيما يتعلق بمحيطها الخليجي والعربي.

**ويبرز من ذلك -مثلًا-:** استغلال إيران تباين المواقف -ولو بشكل نسبي- من وجود الكيان الصهيوني في المنطقة؛ إذ وعلى الرغم من أن كلا القوتين الأمريكية والروسية تدعمان الكيان الصهيوني وتتعهدان بحمايته، وتعتبران تهديد أمنه خطًّا أحمر؛ إلا أن الروس أقاموا تحالفات مع قوى عربية وإسلامية في المنطقة تتظاهر بأن علاقتها بالكيان الصهيوني متوترة! وهو ما نجحت طهران أن تستغلها.

انطلاقًا من هذا؛ فقد نجحت إيران في أن تواصل دعمها لحزب الله اللبناني؛ الذي هو في الظاهر المعلن أحد أدوات مقاومة الكيان الصهيوني، لكنه في الحقيقة والواقع ليس إلا أداة لتحقيق المشروع الإيراني، فضمنت إيران -ومن خلال الصراع الأمريكي الروسي على النفوذ في المنطقة وتعضيد تحالفات كل طرف منهما- توفير بعض الحماية لكيان «حزب الله» الذي لم تصنِّفه روسيا -حتى اللحظة- كمنظمة إرهابية، كما هو الحادث في أمريكا وأوروبا وبعض المنظمات العربية «التعاون الخليجي-الجامعة العربية».

**حيث أكدت موسكو مرارًا:** أنها لا تعتبر الحزب منظمة إرهابية، ومن ذلك: ما أعلنه مبعوث الرئيس الروسي للشرق الأوسط وإفريقيا ميخائيل بوغدانوف: أن موسكو لا تعتبر «حزب الله» و«حماس» و«حزب الوحدة الديمقراطي» في سوريا منظمات إرهابية.

**مضيفًا أن:** «البعض يقول: إن حزب الله منظمة إرهابية.

**نحن نجري اتصالات ونبني علاقات معهم؛** لأننا لا نعتبرهم منظمة إرهابية، إنهم لم يرتكبوا أي أعمال إرهابية في أراضي روسيا.

**والشعب اللبناني انتَخب حزب الله في برلمان البلاد،** وهناك أعضاء في الحكومة ووزراء عن حزب الله في لبنان، إنها منظمة سياسية شرعية».

**بل إن روسيا ارتضت أن يشارك الحزب في القتال في سوريا كأحد فصائل القوات الداعمة لنظام بشار الأسد -الذي هو حليف لروسيا-؛** حيث تأكدت أدلة على أن: الحزب تلقى أسلحة ثقيلة من روسيا وبشكل مباشر، وبدون أي قيود أو شروط مسبقة، إذ وبحسب صحيفة «ديلي بيست» الأمريكية فإن مسؤولين بحزب الله أكدوا: أن الحزب حصل على صواريخ طويلة المدى وصواريخ موجهة بالليزر وأسلحة مضادة للدبابات من روسيا، فيما أفادت تقارير أخرى: أن علاقة مستقلة يتم تعزيزها بين موسكو وحزب الله.

**وهو بالطبع ما يصبُّ في صالح إيران،** إذ يعلم الجميع أن حزب الله في لبنان ليس مجرد حزب وإنما هو: دولة داخل الدولة، وجيش مواز يفرض سيطرته وقراراته على الدولة اللبنانية، وبمقدوره تعطيل الحياة السياسية؛ كما كان الحادث في الفترة الأخيرة، وهو ما يعني ببساطة شديدة: هيمنة إيرانية على لبنان؛ من خلال حزب الله الذي يبايع أمينُه العام مرشدَ الثورة الإيرانية باعتباره الولي الفقيه والنائب عن الإمام الغائب -وفق المعتقد الشيعي-.

**ولا يختلف الأمر فيما يتعلق بسوريا؛** التي شهدت ثورة شعبية ضد بشار الأسد اندلعت في مارس (٢٠١١)، واضطرت إلى العسكرة بعدها بعدة شهور كردٍّ فعل على ما مارسه الأسد وقواته إزاءها؛ حيث ارتكاب أبشع أنواع الانتهاكات، فقد استطاعت إيران أن تحمي حليفها الأسد وتحُول بينه وبين السقوط؛ عبر استغلال المتناقضات الدولية، وتحويل سوريا لساحة صراع إقليمي ودولي، الأمر الذي أضعف الثورة السورية وأدخلها في متاهات لا نهاية لها، تصبُّ في نهاية الأمر في صالح الأسد وإيران.

**فكلُّ المتابعين للأزمة السورية يدركون:** أن هزيمة الأسد كانت قاب قوسين أو أدنى، وأن التدخل الروسي العسكري في سوريا في (سبتمبر ٢٠١٥) جاء بمثابة طوق النجاة لقوات الأسد والميلشيات الداعمة له؛ سواء الإيرانية أو اللبنانية أو العراقية، أو بعض المرتزقة الباكستانيين والأفغان.

**والقوات الروسية -التي جاءت بناء على طلب من الأسد-**

**كانت تحظى بكل قبول وترحيب من الدولة الإيرانية؛** حتى أنها سمحت لهذه القوات أن تستخدم قواعدها العسكرية، حيث أعلن وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف: أن روسيا يمكن أن تَستخدم قواعد عسكرية إيرانية «لمكافحة الإرهاب في سوريا»، على أن تكون كل حالة «على حدة»؛ لتصبح إيران التي كانت تدَّعي أنها إنما كانت لتخليص المظلومين والمستعبدين من الظلم والاحتلال ممن جلبوا هذا الاحتلال إلى أرض المسلمين، لحماية رجلها ونظامه في سوريا؛ ولو كان ذلك على جثث وأشلاء الملايين من المسلمين والعرب!!

**وبالطبع؛ فإنه لا يبرر لإيران هذه الفعلة ما كانت روجته بعض الصحف من أن:** هذا السلوك الإيراني بمثابة رشوة للقوات الروسية بعد اتفاق روسي أمريكي على مساعدة الكيان الصهيوني على طرد إيران وميلشياتها من سوريا.

**وعليه؛ فإن هذا التقارب الإيراني الروسي كان مقصودًا لسببين رئيسين:**

**أولهما: أن الولايات المتحدة اتخذت موقفًا داعمًا للثورة السورية،** بل إنها وفي بادئ الأمر أعلنت عن استعدادها لتدريب بعض فصائل المعارضة السورية وإمدادها بالسلاح اللازم لمقاتلة قوات الأسد، وقد توافقت في هذا مع أغلب بلدان الخليج؛ التي اتخذت موقفًا داعمًا -أيضًا- للثورة السورية، قبل أن تشهد أغلب المواقف تحولًا أثّر بالسلب على مسار هذه الثورة ووضعها على الأرض.

**أما السبب الثاني: فلأن سوريا واحدة من الدول التي تمثل نقطة لصراع النفوذ بين واشنطن وموسكو؛** حيث كانت تعتزم كل من أمريكا وأوربا إقامة خط غاز جديد يمر بعدد من الدول من بينها سوريا، ويكون بديلًا عن خطوط الغاز التي أقامتها روسيا وتنقل عبرها الغاز إلى أوروبا، وهو ما يمنح روسيا حق التحكم في الغاز المتَّجه لأوروبا.

**ومرة ثالثة يتكرر السيناريو في اليمن؛** التي تشهد صراعًا بين الشرعية ممثلة في الرئيس عبد ربه منصور هادي من ناحية، والمتمردين الحوثيين والمخلوع صالح من ناحية أخرى، إذ تعدُّ اليمن -أيضًا- واحدة من القضايا الخلافية بين أمريكا وروسيا، فاستغلت إيران هذا الصراع لتبقي على حالة الصراع في اليمن، وتبطئ من عملية استعادة الشرعية واستقرار الوضع في اليمن.

**ولم تتوقف العلاقات الروسية مع الحوثيين عند حدود الدعم السياسي فحسب،** بل امتد إلى أن تقوم روسيا بتزويد الحوثيين بأسلحة ثقيلة منها: صواريخ «توشكا» وصواريخ «سكود» التكتيكية الباليستية، لتؤجج بذلك نار الحرب والصراعات في اليمن.

## ◘ محاربة تنظيم داعش:

**فجأة وفي منتصف (يونيو ٢٠١٤) وبدون مقدمات:** انسحب نحو (٧٥ ألفًا) من عناصر الجيش والشرطة العراقية دون قتال، وسلَّموا مدينة الموصل إلى تنظيم «داعش»، وهو الانسحاب الذي طرح العديد من علامات الاستفهام حول الأسباب وراء هذا الانسحاب وأهدافه! ومن هي الجهة التي أصدرت أوامر الانسحاب؟ فيما ذهبت الكثير من التحليلات إلى أن ثمة مؤامرة استهدفت تقوية وتمدد تنظيم داعش في العراق.

**وقتها ربما لم يكن مفهومًا الدوافع وراء ذلك!** غير أنه ومع تطور الأحداث تبيَّن أن المستفيد من وراء ذلك هو: إيران وحلفاؤها في العراق، إذ كان ذلك مبررًا وذريعةً لتأسيس ما سمي لاحقًا بـ «قوات الحشد الشعبي»؛ التي لا تعدو عن كونها ميلشيا طائفية، قُدِّرت أعدادها بعشرات الآلاف المنتمين إلى عشرات الفصائل الشيعية، والتي أوكل إليها -فيما بعد- مهمة ما سمي بـ «حروب التحرير من تنظيم داعش»، وهو ما شكَّل اعترافًا رسميًّا بأن قوات الجيش العراقي النظامي غير قادرة على القيام بهذه المهمة، ليصدر رئيس الحكومة العراقية بعد عامين من التأسيس قرارًا بإدماج هذه الميلشيات بالجيش، وأن تكون رواتبهم من ميزانية الدولة العراقية.

**ولا شك أن إيران حققت -بهذا القرار- نجاحًا كبيرًا،** حيث السيطرة الكاملة على الجيش العراقي؛ قيادةً وجندًا، إذ أنها ووفق ما أعلن قائد «فيلق القدس» في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني فإن انضمام الحشد الشيعي إلى الجيش العراقي حوَّله إلى جيش عقائدي.

**كذلك؛ فإن الحشد الشعبي كان الأداة الإيرانية الفاعلة لتحقيق هدف آخر لا يقلُّ أهمية عمَّا سبقه؛** يتعلق بالسيطرة على الحدود العراقية السورية؛ ليكون الباب مفتوحًا على مصراعيه أمام الحشد

الشيعي للتدخل في الأراضي السورية، وأن يزيد من المذابح بحق الشعب السوري، وكل ذلك بدعوى تأمين الحدود ومطاردة التنظيم في عمق سوريا، لتنتقل إيران بعد ذلك لكل من لبنان وفلسطين، وتحقيق مشروع (الهلال الشيعي).

**وترتيبًا على ذلك؛ فإنه ليس من المتوقع أن تحرص إيران على القضاء تمامًا على تنظيم داعش أو ما يماثله من فصائل مسلحة متشددة،** ذلك أنه بالقضاء على مثل هذه التنظيمات تنتفي تمامًا ذرائع تواجد الحرس الثوري الإيراني في كل من سوريا والعراق، والحد من التطلعات الإيرانية، فيما أن بقاء مثل هذه التنظيمات -أو على أقل تقدير بقاء تهديداتها- يدفع الجميع -بما فيها القوى الغربية- إلى القبول بالدور الإيراني في هذه الدول؛ باعتباره مهمًّا في محاربة الإرهاب.

**◘ الحرب، وبيع سوريا:**

**باتت الأطماع السياسية لإيران في سوريا معلومة لدى الجميع،** لكن إيران لم تكتفِ بفرض السيطرة والهيمنة على سوريا وتوجيه قراراتها؛ حتى أضحت سوريا تابعًا سياسيًّا لمرشد الثورة الإيرانية، فقد أكدت الوقائع: أن إيران استغلت الأوضاع التي تعيشها سوريا منذ اندلاع المواجهات بين الثورة وقوات الأسد؛ إذ وفي محاولة منها لاستلهام التجربة الصهيونية في فلسطين بدأت عبر رجالها وعملائها في شراء الأراضي والعقارات السورية واستيطانها؛ لتصبح الأرض السورية والقرار السوري بيد إيران فعلًا وواقعًا.

**وقد أكدت تقارير صحفية متواترة أنه: وبهدف: تسديد الديون المتراكمة لإيران، وبهدف: ضمان مالها ودعمها ومساندتها له؛** باع الأسد أراضي سوريا ومنشآتها وفنادقها والنُّزل المُختلفة بها، إذ أصبحت تلك العقارات اليوم وبشكل رسمي مسجلة بأسماء إيرانيين في مناطق متعددة ومختلفة من أنحاء سوريا؛ بخاصة العاصمة دمشق وريفها.

**وكشفت التقارير عن أنه: وعلى سبيل المثال: يوجد مشروع سكني إيراني كامل أقيم في منطقة «المزّة»** -التي توجد بها السفارة الإيرانية في دمشق-، بالإضافة إلى مُناقصات حكومية سورية مفتوحة فقط للإيرانيين؛ فضلًا عن الأحياء السكنية المُدمرة التي اشتراها إيرانيون لإعادة إعمارها ثم استيطانها، وأحياء أُخرى تم ابتزاز سُكَّانها؛ وإن كانوا مُؤيدين للنظام السوري، وإجبارهم على التخلي عن مساكنهم.

**وأوضحت: أن النظام قدَّم كل ما يُسهِّل عمليات البيع والشراء بالقانون؛** كأن يُصدر الأسد قانونًا يُسهِّل للإيرانيين تملُّك كل ما يريدون من سوريا، مثل: القانون رقم (٢٥ لعام ٢٠١٣)؛ الذي سمح بتبليغ المدعى عليه بالدعوى غيابيًّا عن طريق الصحف في المناطق الساخنة، أو أن يصدر مراسيم رئاسية تسمح ببيع وشراء الأراضي السورية على قاعدة الربحية والتشاركية، وهو أمر متاح للإيرانيين لأنهم يملكون المال، بينما رجال الأعمال السوريون منكوبون بسبب الحرب.

**وأضافت التقارير: أن الحكومة الإيرانية قامت بدور كبير في تشجيع الشركات والتجار والمقاولين على تملك العقارات المختلفة في سوريا،** إذ وبحسب موقع «بيك نت» الإيراني فإن «التجار والأثرياء الإيرانيين دفعوا مبالغ مالية كبيرة جدًّا لشراء البيوت الفخمة والفلل والشقق في المناطق الشهيرة والراقية بالعاصمة السورية دمشق، وأن أغلب الأراضي والبنايات المحيطة بمزار السيدة زينب تم شراؤها من قبل الإيرانيين المقربين من النظام بمبالغ كبيرة، ما سبب ارتفاعًا كبيرًا في أسعار العقار في هذه المناطق.

**◘ استفتاء أكراد العراق:**

**ليس من السهل على الإطلاق محاولة فهم العلاقات المتشابكة والمعقدة إلى حد كبير للقوى الإقليمية والدولية؛** خاصة تلك اللاعبة بقوة في العراق وسوريا، ومن ثم فإن أية محاولة للتعرف على النهج السياسي لأي من هذه القوى تستلزم تفكيك المشهد السياسي القائم.

**وتأتي القضية الكردية كواحدة من القضايا التي تتعقد عندها وتتشابك الكثير من الملفات؛** إذ أنها ترتبط جغرافيًّا بأربع دول هي: تركيا وإيران والعراق وسوريا، ومن ثم فإن المصالح القومية للأكراد تصطدم بمصالح دول أربع، وإن كان حجم هذا الاصطدام يختلف نسبيًّا من بلد إلى آخر.

**غير أن إيران -وكالعادة- استغلت الأزمة الكردية بشكل يخدم مصالحها، ويبعدها عن أراضيها؛** رغم أنها أحد أطرافها، فعلى

الرغم من معارضتها الشديدة لإقامة دولة كردية في العراق وانفصال أكراد العراق؛ باعتبار أن ذلك يمثل تهديدا لأمنها القومي؛ إلا أنها لم تمانع -بل شجعت- على أن يكون للأكراد حكم ذاتي في إطار فيدرالية عراقية.

**وكانت تهدف من ذلك إلى:** أن يقوم أكراد العراق بالضغط على أكراد إيران للتخفيف من عمليات التمرد داخل الأراضي الإيرانية، وهو ما كان لهم.

**واستغلت إيران -أيضًا- الدعوة التي وجهها أكراد العراق لإجراء استفتاء حول استقلال إقليم كردستان في (٢٥ سبتمبر القادم)،** في التقارب مع تركيا؛ التي ترفض هي الأخرى بشدة إجراء هذا الاستفتاء، وتتخوف من نجاح أكراد العراق في إقامة دولة خاصة بهم، لأن ذلك يعني: تعضيد موقف «حزب العمال الكردستاني التركي»، وبالتالي انفصال جزء من تركيا ليلحق بالدولة الكردية الكبرى؛ التي ما فتأ يحلم بها الأكراد من قبل الحرب العالمية الأولى.

**وبالطبع؛ فإن إيران ستعمل على استغلال هذا التقارب مع تركيا على عدة محاور، لعل أهمها:** المحور السوري، إذ تتباين المواقف التركية الإيرانية أشدَّ التباين فيما يتعلق بمستقبل بشار الأسد؛ خاصة وأن الأكراد لاعبون فاعلون -أيضًا- في الملف السوري؛ إذ تتلقى القوات الكردية «قوات سوريا الديمقراطية» دعمًا من القوات الأمريكية؛ بدعوى: قتالها لتنظيم «داعش»، الأمر الذي يثير حفيظة ومخاوف أنقرة، في الوقت الذي ترعى فيه إيران العلاقة بين الأسد وهؤلاء الأكراد؛ مما يبعث برسالة بإمكانية الحد من طموحاتهم والسيطرة على الأوضاع.

## ◘ الأزمة الخليجية:

**إن كل ما شهدته المنطقة مؤخرًا هو: مما تشتهيه السفن الإيرانية!** فكل التطورات -تقريبًا- تصبُّ في صالح إيران؛ التي تُحسن استغلال الأزمة تلو الأزمة، وآخرها كان: توتر علاقات بعض دول الخليج مع قطر؛ التي تتشارك معها في أكبر حقل غاز بحري في العالم (حقل غاز الشمال).

**وجاء ردُّ الفعل الأولي لإيران خبيثًا لأقصى درجة!** إذ حاولت أن تبدو وكأنها لا تصطاد في الماء العكر، فدعت في بادئ الأمر إلى التهدئة، فيما علّق وزير الخارجية الإيراني في تغريدة له قائلًا: «الجيران دائمون، ولا يمكن تغيير الجغرافيا.

**الإكراه ليس حلًّا أبدًا، الحوار أمر حتمي؛** خاصة في شهر رمضان الكريم»!

لكن سرعان ما أبدت إيران تضامنها ودعمها الكامل لقطر؛ خاصة وأن علاقتها بقطر كانت إحدى أهم الإشكاليات التي أدت إلى ما هي عليه العلاقات الآن.

**ولا شك أن إيران باستغلال هذه الأزمة ستحقق العديد من المصالح ومنها:**

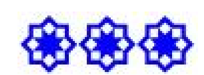
١ - **التقارب مع تركيا؛** التي تتخذ نفس الموقف الداعم لقطر.

٢ - **العمل على تحريك الموقف القطري من تطورات الوضع في سوريا؛** إذ تدعم قطر بعض فصائل الثورة السورية.

٣- **ستجني إيران أرباحًا ماليةً كبيرةً** نتيجة تغيير مسار بعض الرحلات التابعة لشركة قطر للطيران نحو الأجواء الإيرانية؛ فضلًا عن أن إيران ستقوم بتوفير الاحتياجات الزراعية والغذائية وبعض المستلزمات الأخرى؛ التي كانت تعتمد في استيرادها على المملكة العربية السعودية والإمارات والبحرين ومصر.

٤ - **إضعاف مجلس التعاون الخليجي؛** الذي يتبنى مواقف موحدة ومتقاربة من إيران.

٥ - **التقارب مع حركة حماس؛** بعد أن شهدت العلاقة بين الطرفين توترًا إثر اندلاع الثورة السورية، وطرد قيادات الحركة المقيمين في دمشق.



# الأدب النسائي الإسلامي.. تحديات وآفاق

فاطمة عبد الرؤوف-كاتبة مصرية

**إذا كان الأدب يمثل جزءًا أصيلًا من روح الإنسان**؛ بما قد يسكنها من مشاعر وأفكار وأحلام ومخاوف وتطلعات وأشواق، فإنه يمثل -أيضًا- جزءًا من روح الحضارة التي يحياها هذا الإنسان في لحظتها الراهنة وفي أفقها المستقبلي..

**لذا؛ فإن وجود الأدب يشبه الحتمية الإنسانية**، فلا يمكن بحالٍ أن ننكر أهمية الأدب، أو نتصور حياة الإنسان بدونه!

**والمضمون الذي يحمله الأدب وما به من تصورات عن الحياة وواهب الحياة، وعن الإنسان نفسه**: تمثل نقطة حاسمة وجوهرية في ذلك الدور الذي يمكن أن يلعبه الأدب، ولا يمكن أبدًا أن نقلل من أهمية الشكل الأدبي .. اللغة .. الجماليات في المتعة الوجدانية التي يستشعرها الإنسان، لكن يبقى المضمون أهم تحدٍّ يواجهه الأدب.

**ومنذ اللحظة الأولى لنشأة الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ** بدأ ما يمكن أن نطلق عليه: «الأدب الإسلامي»، وكان وقتها الشعر هو الممثل الحقيقي للأدب، وكان الشعراء الصحابة هم المجاهدون بلسانهم.

**جاء في «سير أعلام النبلاء»**: قال ابن سيرين: كان شعراء أصحاب رسول الله ﷺ حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.

**قال عبد الرحمن بن كعب عن أبيه: أنه قال**: يا رسول الله! قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل؟! قال: **«إن المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده! (لكأنما) ترمونهم به نضح النبل»**.

**قال ابن سيرين**: أما كعب؛ فكان يذكر الحرب يقول: فعلنا ونفعل ويتهدَّدهم، وأما حسان؛ فكان يذكر عيوبهم وأيامهم، وأما ابن رواحة؛ فكان يعيِّرهم بالكفر.

**وإذا كان الشعر قديمًا هو أهم الأشكال الأدبية لدى العرب**، فإنه يمكن القول بكل ثقة: إن الرواية الآن احتلت هذه القيمة لدى العربي المعاصر، بعد أن احتلتها على مستوى العالم كله.

**نجح المثقف العلماني اليساري والليبرالي** في بلادنا في السيطرة على مفاصل الحركة الأدبية -إبداعًا ونقدًا-، وجاءت الكتابات المعبِّرة عن الأدب الإسلامي خاصة في شكله الروائي قليلة وغير مترابطة، ربما كمظهر آخر من مظاهر التراجع الحضاري، وربما لاهتمام الحركات الإسلامية بالخطاب المباشر مع الجماهير، وبقيت كتابات نجيب الكيلاني تغرد خارج السرب! أما الأقلام النسائية التي تعبِّر عن هذا الاتجاه فشِبه معدومة.

**والأعمال الروائية العربية**: إما تتجاهل المتديِّن؛ وكأنه غير موجود، أو تشوِّه صورته وسلوكه؛ فهو إما برجماتي، وإما معقَّد نفسيًّا، وإما شخصية منافقة يفتي وفقًا للهوى .. أما شخصية الفتاة المتديِّنة مستقيمة الفطرة -ناهيك عن الداعية المؤثرة-؛ فإن هذه الأعمال تخلو منها.

**ولا شك أن التيار الإسلامي -أيضًا- يتخبط!** فالبعض كان يتحرَّج من الأدب، ومن الروايات على وجه التحديد، ويعتبرها أكاذيب تلهي الناس وتهدر أوقاتهم.

**والحقيقة: أن الرواية تعمل بطريقة بالغة التأثير على الإنسان من الناحية النفسية**، فالعمل الروائي المتقن يأخذك لعالمه وشخوصه وقوانينه وأفكاره الظاهرة والخفية بطريقة ناعمة، فتجدك وقد تعاطفت حد التقمُّص مع الأحداث؛ وكأنك تعايشها بالفعل، وكأن ما يدور من سعادة وفرح أو ألم وحزن أو حيرة وتردد هو عين ما تشعر به، يكفي أن تطالع قارئًا مندمجًا مع روايته ستجده يقطب جبينه.. يبتسم أو تدمع عيناه ..

**أتذكر جيدًا ذلك اليوم الذي اندمجت فيه مع رواية**، وأنا في مكان مزدحم يضج بالناس من حولي؛ أنه ولشدة تفاعلي مع أحداثها وكانت تصف الحرب الأهلية الأمريكية؛ حيث أبدعت الكاتبة في تصوير الخراب والدمار ورائحة الجثث المتعفنة و... أنني أخذت أنظر للحياة من حولي وهي تسير بهدوئها المعتاد؛ وكأنها هي أمر غريب!!.. فأين طلقات الرصاص؟ وأين جثث الموتى؟ فأصوات الرصاص ومشاهد الترويع التي في خيالي أصبحت تحاكي الواقع الذي أصبح غريبًا، فالخيال الخصب يتحول إلى واقع عندما تصدقه، بينما الواقع الذي ترفضه قد يتحول إلى خيال، وكثيرًا ما تجده غاضبًا بعد انتهاء روايته حتى

لو كانت خاتمتها سعيدة مبهجة، فقط لأنه خرج من أجواء الرواية من زمانها ومكانها وشخوصها من أحب فيها ومن كره.. من يوميات أبطالها وتفاصيلهم، فما بالك لو جاءت خاتمتها مؤلمة قاسية مروعة؛ أنه يجد نفسه وكأنما يعتصر قلبه اعتصارًا.

**ومن هنا تكمن الخطورة البالغة لتأثير الرواية**، فعندما يقوم القارئ بقراءة مقال أو دراسة عن موضوع ما فإنك ستجد عقله متيقظًا منتبهًا، يناقش ويفكِّر وينتقد؛ مهما كانت الحجج قوية وساطعة.

**والأمر ليس كذلك في العمل الأدبي**؛ حيث تخاطب الرواية قلبك قبل أي شيء، بل إن الرواية الناجحة هي: التي تخاطب قلبك، فالمباشرة التي تخاطب العقل تقلل من قيمة العمل الأدبي، ولا بد من استذكار أن كاتب (أو كاتبة) الرواية نادرًا ما يكون مؤهلًا شرعيًّا أو فكريًّا لإعطاء الرأي الصواب فيما يطرحه في روايته.

**ولذلك عندما يكون القلب هو المخاطَب؛ فإن ما يقنعه هو:** عمق التأثير العاطفي، ومن ثم قد يتعرض الإنسان لحالة من التشويش عندما تُعرض أفكارٌ مخالفة بطريقة تجبره على التفاعل معها، تمامًا كتلك الروايات الكثيرة التي دافعت عن المرأة البغي المسكينة التي أجبرتها ظروفها بالغة القسوة على سلوك هذا الطريق، بينما قلبها أنقى من قطرات الماء العذب الهاطلة من السماء..

**ومن هنا كانت الأهمية البالغة لوجود أدب ملتزم**، يراعي القِيم والأخلاق الصحيحة، وينشر الفكر الصحيح بتلك الطريقة الناعمة المؤثرة التي تتلمسها ما بين الكلمات والسطور.

### • نسائي إسلامي:

**شهدت السنوات الأخيرة مزيدًا من الاهتمام بالأدب الإسلامي، والفن الروائي تحديدًا**، وشهدت ظاهرة بالغة الأهمية، ألا وهي: بزوغ نجم عدد من الروائيات الملتزمات اللاتي كتبن روايات اجتماعية بل ورومانسية أيضًا، ولكن انتصرن فيها للرؤية الإسلامية؛ خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة.

**وهي ظاهرة تستحق التوقف**، لأنها كانت لافتة للنظر؛ حتى أن موقع «قنطرة» الألماني قام بعمل تحقيق مطوَّل بعنوان: «ظاهرة الكاتبات المنقَّبات تثير جدلًا أدبيًّا في مصر».

**نظر النقاد التقليديون لهذا الأدب نظرة ريبة ورفْض!** واعتبروا أن هذه الأعمال تفتقد الأسس الجمالية للرواية، وعلى الرغم من أن هذه الروايات حققت شعبية كبيرة، حتى أن بعضها طبع (٢٦) طبعة، وهو ما يؤكد مدى تعطش الشارع الأدبي لنوعية جديدة من الروايات تحمل مضمونًا مختلفًا؛ إلا أن الغالبية الكبرى من النقاد يحملون مشروعًا مغايرًا؛ وإن لم يكن معاديًا للمشروع الإسلامي، ومن ثم بدت الحاجة الماسة لنوعية مختلفة من النقاد تتوافق مع النوعية الجديدة من المبدعين.

### • الماهية والأهمية:

**لكن في البداية لا بد من تعريف المقصود بـ «الأدب النسائي الإسلامي»..** إنه ليس أدب المنتقبات -كما يذكر الموقع الألماني-، فالمهم هو: مضمون العمل، وليس لباس صاحبته؛ حتى يكون التعريف على قدر من الموضوعية، وهناك أديبات محجَّبات وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يمكن تصنيف أعمالهن تحت هذه النوعية.

**فإذا انحزنا في تعريف الأدب الإسلامي لتعريف الدكتور مأمون جرار** -الأستاذ في جامعة عمَّان الأهلية، ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن-: «إن الأدب الإسلامي هو: الأدب الذي يُقدِّم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

**وهناك يجب التركيز على شرط الأدبية والإسلامية معًا»**، فإن الأدب النسائي الإسلامي هو: ذلك كلِّه؛ ولكن برؤية أنثوية.

**تكمن أهمية الأدب النسائي الإسلامي بفئتين من النساء:**

**الأولى: جمهور النساء المتدينات**؛ اللاتي يشتقن لقراءة أدب يحكي عنهن وعن عالمهن وعن المشكلات التي تواجههن، وعن مشاعرهن الخاصة الدفينة، بل حتى عن العواطف بين الرجل والمرأة بما لا يخدش الحياء.. وإلى من يذكِّرهن بالمنهج الصحيح بطريقة غير مباشرة تلامس القلب والمشاعر قبل أن تخاطب العقل.. وإلى من يدعمهن ويشد أزرهن.

**الثانية: النساء الحائرات**؛ اللاتي لعب الأدب المستهتر دورًا كبيرًا في تزييف الحقائق في قلوبهن قبل عقولهن، فكان ما كان من الحيرة والخيبة والألم الذي يعشن ويتجرَّعن مرارته! فتأتي هذه الكتابات كأنوار كاشفة وملهمة لهن.

## • قراءة من الداخل:

**إذا كـان الأدب النسائي الإسلامي يمثل ظاهرة جديدة فإن أفضل الطرق للتعرف عليه عن قرب هو:** قراءته ونقده، وفي السطور القادمة عرض وقراءة سريعة لبعض النماذج التي حققت نجاحًا، ولتكن البداية من رواية «صرخات أنثى»؛ فعلى الرغم من أنها الرواية الأولى للأديبة زينب علي إلا أنها أحدثت حالة من الاهتمام الشديد في أوساط النساء الملتزمات:

**فبطلة الرواية «آمال» نموذج للفتاة الملتزمة؛** التي تقوم لصلاة الليل كل ليلة، وتحافظ على وِردها وأذكارها، وهذه هي النقطة المميزة في شخصيتها: تستعين بالله -تعالى- في كل أمورها الصغيرة والكبيرة، وكلما صرخ قلبها لألم حلَّ به تلجأ لدعائها وصلاتها، ومن ثم ينجيها الله في كل مرة..

**تتزوج «آمال» برجل لديه غيرة وشكوك مرضية،** ومن ثم يُسمعها الكثير من الكلمات المؤلمة والجارحة، ولكنها تصرُّ على نجاح حياتها الزوجية، ومن ثم تصبر صبرًا شديدًا، وتلجأ إلى الله -تعالى- مع كل مشكلة حتى تصل لبر الأمان..

**هذه الرواية تم نشرها كحلقات مسلسلة في منتدى نسائي إسلامي شهير،** ومع كل حلقة كانت النقاشات الساخنة من عضوات المنتدى الملتزمات حول موقف «آمال» وعلاجها لمشكلةٍ ما من المشكلات الصعبة التي واجهتها تبيِّن مدى أهمية الرواية الإسلامية للداخل الإسلامي، وأن تأثيرها قد يفوق الوعظ المباشر بمراحل.

**ما يعيب الرواية من الناحية الفنية هو:** الخلط في بعض الأجزاء بين الرواية والمقال، واللجوء للنصح المباشر والاستشهاد بأكثر من نص داخل النسيج الروائي؛ حتى علَّقت بعض القارئات: أن الرواية تصلح ككتاب نصائح تحت عنوان: «كيف تسعدين زوجك؟»، أو «كيف تديرين منزلك؟».

**وهي ملاحظات صادقة،** فالكاتبة كانت تستطرد في شرح برنامج التنظيف اليومي والأسبوعي، أو كيفية غسيل الملابس البيضاء، أو حتى في فوائد بعض الأطعمة؛ ربما لتفيد القارئة التي تم توجيه العمل إليها، ولكن ذلك انتقص من القيمة الفنية للعمل الأدبي.

## • نضج فني:

**تأتي كتابات دعاء عبد الرحمن** كأشهر الكتابات التي تمثل هذه النوعية من الأدب التي لا تزال تتشكل.. والمتتبِّع لكتابات دعاء يلاحظ النضج الفني المتزايد في رواياتها..

**رواياتها:** «مع وقف التنفيذ» تمتلئ بالأشخاص والمواقف الدرامية المعقدة، وتدور في أجواء حي شعبي بسيط؛ حيث الظروف الاقتصادية القاهرة من خلال شخصية «فارس»؛ الذي كان يستحق التعيين في النيابة لحصوله على تقدير جيد جدًّا، واجتيازه جميع الاختبارات بنجاح إلا أنه لا يمتلك واسطة، ويعيش في حي شعبي، وتربطه علاقة صداقة بطبيب شاب ملتحٍ، ومن ثم يفقد حلمه، لكنه يحاول تعويضه بإصراره على النجاح كمحام ودراسته الأكاديمية حتى الحصول على درجة الدكتوراه..

**صديقه الملتحي الدكتور بلال،** وعلى الرغم من أنه ليس الشخصية المحورية في الرواية، لكنه النموذج المطلوب تقديمه؛ فالدكتور شديد الاهتمام بالدعوة في كل المواقف الحياتية البسيطة ولدية طريقة لطيفه للدخول إلى قلب من حوله؛ خاصة كبار السن الذين يقفون موقفًا متوجسًا من كل صاحب لحية!

**أما عروسه عبير؛** فهي الأخرى ليست محور الرواية، ولكنها نموذج تقدِّمه الكاتبة بلغة مرهفة، فعبير المنقَّبة التي أتمَّت الثلاثين من عمرها، والتي تتهم والدتُها النقابَ بأنه سبب تأخرها في الزواج، والتي تخطب أختها الصغيرة قبلها، والتي تسخر منها بعض الجارات بطريقة خفية، وتبدو متماسكة أمام الجميع؛ تذرف دموعها ليلًا على وسادتها.

**وتتساءل الكاتبة:** لماذا يظنُّ البعض أن المنتقبة إنسانة بلا مشاعر؟.. حقًّا هي صامدة متماسكة لكن بداخلها مشاعر وهواجس تؤرِّقها! ولكن وبطريقة غير متوقعة يتقدم لها الدكتور بلال الذي لم يكمل عامه الرابع والثلاثين بعد، ثم يرزقها الله بأربعة أطفال توائم، وكأنما يعوضها صبرها وانتظارها سنوات من عمرها..

**الرواية لا تخلو -أيضًا- من بعض الإشارات السياسية؛** من خلال المناقشات التي دارت في المعتقل والمشاهد التي رآها أبطالها في سجن طرة، بل والحوار المهم الذي دار بين الدكتور بلال وأحد النزلاء؛ حيث اتهمه النزيل أن المشايخ يضربون الزوجات والأخوات لأنهم

متشددون وإرهابيون، وكان حوارًا ممتعًا عن العلاقة بين الفن والسياسة والدعوة والواقع.

**حرصت دعاء عبد الرحمن - أيضًا - في هذه الرواية على أن توضح** مدى التلاحم الإنساني والاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين، وكيف أن من يمنح المسيحيين كامل حقوقهم هم الملتزمون، فعندما يتعرض الدكتور فارس لموقف تحكيم بين حماه المسلم وبين جاره المسيحي؛ لا يتردد في نصرة الحق الذي كان مع المسيحي، بينما تولى صديقه الدكتور بلال إقناع الرجل المسلم: أن الإسلام هو مع العدالة المطلقة، وأنه في ظل الشريعة الإسلامية لا يمكن أن يُظلم أحد بسبب دينه..

**ويتجلى ذكاء الكاتبة في:** إبراز كيف أن الجار المسيحي كان هادئًا مطمئنًا، بينما كان ابنه الشاب ممتلئًا بالغضب؛ وهو لا يتصور أن يأخذ حقه عبر تحكيم رجل ذي لحية!

**وبنفس هذه الطريقة الاجتماعية الرومانسية جاءت روايتها:** «اغتصاب.. لكن تحت سقف واحد»؛ لتناقش موضوع حجاب الفتاة وأنه يحميها من ظن السوء، وكيف أن المظهر السليم يحمي القلب الطيب؛ من خلال شخصية «مريم» التي تتعرض لتجربة قاسية قاربت الاغتصاب بسبب تبرجها؛ رغم أنها ترتدي غطاءً صغيرًا للشعر، وحديثها مع الشباب كأصدقاء وإخوة، ثم بسبب صديقة السوء التي صادقتها، واعتبرت أن كل إنسان مسئول عن عمله.

**في المقابل كانت أختها إيمان** -التي درست الشريعة في جامعة الأزهر- نموذجًا للفتاة التي يحترمها الجميع، والتي ييسر الله أمرها في كل صعب؛ حتى عندما تتزوج برجل لا يحبها، فقط ينفذ نصائح والده الذي هو عمها، فإن قربها من الله -تعالى- يجعل حبها يسكن قلبه بطريقة لا تتصورها على الإطلاق!

**أما روايتها الأخيرة: «إيماجو»؛** فتبدو الأكثر نضجًا من الناحية الفنية، فالإشارات فيها خفية لا تكاد تُرى أو تلحظ.

- **رومانسية اجتماعية:**

**تعد الأديبة منى سلامة التي عرفَتها - أيضًا - الساحة الأدبية النسائية الإسلامية:** فارسة الرواية الاجتماعية، ذات المذاق الرومانسي الهادئ، ولاقت كتاباتها نجاحًا وقبولًا منقطع النظير.

**تهتم منى سلامة اهتمامًا خاصًّا بالفتاة المصرية العادية -سمراء اللون-؛** التي لا تملك حظًّا كبيرًا من الجمال، التي لا توصف أبدًا بالقبح، ولكنها لا تمتلك الجمال الصارخ..

**الكثير من بطلات منى** يحملن هذه الصفات الشكلية، ويحملن -أيضًا- مشاعر إيمانية قوية في قلوبهن، وحجابًا واسعًا يغطي أجسادهن، لذلك فلا عجب أن وصلت كتاباتها لقلوب الفتيات بهذه البساطة.

**في روايتها: «مزرعة الدموع»** تدور الأحداث حول شخصية «ياسمين» الطبيبة البيطرية الملتزمة، التي تتزوج من مهندس بترول يفتقد إلى الحد الأدنى من المقومات الإنسانية! والتي لا تلبث أن تكتشف ارتكابه للفواحش، ومن ثم تطلب الطلاق منه؛ فيضربها بعنف وقسوة، فتهرب منه لاجئة لبيت والدها، وترفع عليه قضية خلع، ولكنه يهددها.

**ومن ثم توافق على عرضٍ للعمل بمزرعة،** بعيدة عن القاهرة، في طريق الإسماعيلية؛ حيث تسافر إلى هناك بصحبة والدها وأختها.

**وبفضل حجابها وتعاملها المتحفظ مع الرجال** تلفت انتباه رجل الأعمال الثري صاحب المزرعة؛ الذي عانى كثيرًا من جراء خطبته لفتاة مدللة بالغة التبرج من قَبل في سعى للزواج منها بمجرد حصولها على الخلع، لكنها تتردد كثيرًا خشية أن يكون ممن يستحلُّ الحرمات، فأُسرته الثرية المنفتحة، وقريباته المتبرجات، وتلميحات بعض الموظفات؛ تجعلها لا تطمئن له!

**فهي لا تبحث عن الثراء أو حتى الحب،** وإنما تبحث عمَّن يرضي الله ويحفظ حرماته، وهو ما تتأكد منه بعد عدد من المواقف..

**ليست ياسمين فقط، وإنما أختها ريهام** التي تقتدي بأختها وصديقتها المقربة التي لفتت انتباه زوجها عندما وجدها جالسة تقرأ القرآن بخشوع في صالة الانتظار بالمطار.. كل ذلك في قالب رومانسي اجتماعي، وبوليسي بعض الشيء..

**رسالة منى سلامة واضحة،** فأي فتاة ستقرأ كلماتها لن تتبرج من أجل أن تحصل على زوج! إنها لا تدعو لذلك ببرجماتية ولكن بطريقة شفافة، تصل للمعنى الذي تريده وهو: أن ما عند الله لا يُنال بمعصيته.

**وفي روايتها: «جواد بلا فارس»** بالغة الرومانسية تناقش الكاتبة فكرة «الظلم»، وكيف أن البحث عن ردِّ المظالم لا بد أن يكون بطريقة

عادلة؛ وإلا تحول المظلوم إلى ظالم؛ من خلال شخصية الدكتور آدم الذي تنكَّر لِقيمه حتى يسترد حقه؛ حتى أنه خطب فتاة بريئة فقط لينتقم من عمِّها، إلا أن أمره يتم كشفه، وتتحطم مشاعر الفتاة ولا تستردها إلا بالسير على طريق الالتزام الذي يشفي قلبها من جروحه.

**وبعد محاولات مشتتة وتائهة من الدكتور آدم** يهتدي لنفس الطريق، ومن ثم يبدآن معًا فصلًا جديدًا من قصتها.

**وفي أجواء مختلفة بعض الشيء تأتي روايتها: «قطة في عرين الأسد»؛** حيث تدور أحداث الرواية بين القاهرة والصعيد..

**الرواية -أيضًا- بوليسية اجتماعية،** تغوص في أعماق النفس البشرية، وأيضًا تلعب فيها الفتاة السمراء ذات الثلاثين ربيعًا «مريم» دور الشخصية المحورية، وهي فتاة ملتزمة للغاية.

**وعلى الرغم من أنها تعيش وحدها لأنها يتيمة** إلا أنها تحافظ جدًّا على نفسها، ومتحفظة جدًّا في علاقاتها، وهي تعيش حياة وحيدة قاسية بعد وفاة والديها، وبعد ذلك وفاة خطيبها الذي كان قد تم عقد زواجه عليها.

**يستطيع أهل والدها في الصعيد العثور عليها،** بعد أن فرَّ والدها قديمًا من الصعيد؛ لأنه كان مطلوبًا في عملية ثأر غامضة، وهناك -وبطريقة درامية- تتزوج من مراد رجل الأعمال؛ الذي بُترت ساقه، وظل يعاني من مشاعر الرفض أو الشفقة؛ خاصة بعد أن طلبت زوجته الطلاق، وتزوجت بآخر.

**ولكنها تعاني كثيرًا في زواجها من مشكلات زوجها النفسية، ومن ملابسات الزواج نفسه؛** حتى تنجح في نهاية المطاف، وعن طريق الحب اللا مشروط الذي تقدمه له ولأسرته؛ تستطيع كسب ثقته والخروج به من أزماته النفسية، وتحظى أخيرًا بالإحساس بالأمان والدفء الأسري..

**تسرد ذلك كله بطريقة مشوقة ومواقف مليئة بالمفاجآت غير المتوقعة.**

- **مذاق مختلف:**

**لكتابات حنان لاشين مذاق مختلف تمامًا،** فهي تعشق الغوص في أعماق النفس البشرية، وما يعتملها من ضغوط نفسية حقيقية أو وهمية.

**ففي روايتها: «غزل البنات»** تناقش أحلام اليقظة؛ خاصة لدى الفتيات.. تلك القصص الصغيرة التي تدور في رؤوسهن عن فارس الأحلام..

**تلك الأحلام** المتعة التي تشبه مذاق حلوى غزل البنات التي سرعان ما تذوب..

**تلك الأحلام** كيف تكون حاجزًا حقيقيًّا يمنعهن من اكتشاف الواقع وما به من جمال قد يفوق الحلم؛ لو تم تأمُّله جيدًا حتى أن بعضهن -وبعد أن تتسرب لحظة الحقيقة من بين يديها!- تتحول إلى حلم يقظة.

**ناقشت الكاتبة في روايتها:** الفارق بين حلم اليقظة الذي يمنح الإلهام، وذلك الذي ينهي على حياة صاحبه؛ لأنه يعيش فقط في عالم من الخيال، وذلك كله من خلال شخصية دعاء -الاختصاصية النفسية؛ التي تتعايش مع مشكلات البنات وتحاول حلَّها-، وفي خضمِّ ذلك تكتشف حقائق عن نفسها، هي الأخرى.

**أما في روايتها: «الهالة المقدسة»** فتناقش قضية الحياة والموت، وما بينهما عندما يغيب الإنسان عن وعيه وعن أحلامه وأفكاره وعلاقته بما يسمع من حوله..

**تحكي روايتها عن جدلية العلاقة** بين الفرد والجماعة، والطموح الشخصي ودفء الأسرة .. تدفعك دفعًا كتاباتها للتأمل ومحاولة الوعي بالذات وما يجري في دهاليزها، ولكن ذلك في إطار من الأحداث المشوقة.

- **روايات شائكة:**

**كتابات آلاء غنيم هي الأخرى ينبغي التوقف عندها،** لأنها قد تهدد هذا التيار الوليد كله! لأنها -وعلى الرغم من لغتها الثرية الدافئة، المليئة بالرموز والأفكار، والمسكونة بالمشاعر- تروج لأفكار بالغة الخطورة!

**يكفي في هذا الصدد الإشارة لروايتها: «الذاهبون إلى الشهادة»** التي وإن كانت تدور في إطار رومانسي مهذب إلا أنها تناقش التيارات والمذاهب الإسلامية الموجودة على الساحة..

**فالرواية منحازة للتيار الجهادي؛** كما تمثله القاعدة -مثلًا- في أفغانستان، ولكنها تنتقدها -أيضًا-؛ خاصة تلك العمليات التي نفذت في الغرب..

**الرواية - أيضًا - تتحدث عن الإخوان والسلفيين،** وما تطلق عليه: «السلفية المستقيمة»، ونحو ذلك؛ من خلال الحوار بين أبطالها الذين هم أبناء للحركة الإسلامية.

**والرواية - أيضًا - تتطرق للعلاقة بين السنة والشيعة؛** التي وصفت في جملة في الرواية أنها: تشبه نهر له رافدان.. فالبطل المحوري أبو البراء «عصام الشرقاوي» كان زميلًا أيام الدراسة لمهدي العراقي الشيعي؛ الذي يصبح أحد المرجعيات في النجف بعد ذلك.

**ورغم الخلاف الفكري كانت تجمعهما صداقة عميقة،** وكان ذلك أثناء الثورة الخمينية التي قرَّبت كثيرًا بينهما، وجعلت ثمة حلمًا مشتركًا - بحسب الكاتبة -.

**ولكن وبمرور الوقت أصبح كل منهما رمزًا لتيار معاد للآخر،** لكن مهدي ظل على احترامه لعصام الشرقاوي - أبو البراء -، ويرى أن الإعلام يشوه صورته.

**وفي لقاء لمهدي مع شاب سُنِّي يتهمه بالعمالة للإيرانيين؛** تُظهر الكاتبة الوجه الإنساني لمهدي وقدرته على التبرير والدفاع.

**وتناقش الكاتبة العلاقة بين الشيعة الفرس والشيعة العرب..**

**يستقيل مهدي من البرلمان العراقي،** ويصدر كتابًا يكشف فيه حقيقة تدخل الإيرانيين، وينتهي الأمر بقتله.

**وهي أفكار بحاجة لكثير من المناقشة؛** خاصة عندما يشهر سلاح الأدب في المعركة.

**بغضِّ النظر عن الاختلاف مع أفكار ولاء غنيم إلا أنها تمثل نمطًا مختلفًا من الأدب،** نمطًا مرتبطًا بعالم المتديِّنين، وما يدور فيه من أفكار وحوار ومراجعات.

**وفي لغتها رموز** لا يفهمها إلا أبناء التيار الإسلامي..

**هو نمط شائك؛ نعم، ولكنه قيمته الكبيرة:** أنه قد يشحذ نوعية جديدة من النقاد لإثراء الساحة الأدبية الإسلامية التي تتخفف تدريجيًّا من الوعظ المباشر، ومناقشة الأفكار بالتنظير لأفق أوسع وأشد رحابة.

## حراك جماعات التصوف السوداني.. الواقع وفرص النجاح

**د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني**

**خاص بـ «الراصد».**

### مقدمة

**الحراك الأخير داخل جماعات التصوف السوداني، وتضجر المتصوفة من توسع القبول السلفي داخل المجتمع السوداني شعبيًّا وحكوميًّا قديم،** وقد بدأ بمقالات في الصحف، وأحاديث في لقاءات عابرة، وفي تجمعات الصوفية في الموالد والحوليات، وغيرها، كما برز الصراع أكثر بعد أن تمت محاكمة تلميذ للشيخ الصوفي (دفع الله الصائم ديمة) ومتهمين آخرين وسبع سيدات؛ بعد أن وجهت لهم تهمة «الدجل والشعوذة»، بموجب قانون النظام العام بولاية الخرطوم لسنة ١٩٩٦م.

**ثم تطور هذا الحراك من الصوفية في السودان إلى اتهام الحكومة السودانية بأنها أصبحت وهابية، وتحابي السلفيين على حسابهم!** ونظموا لقاءات متعددة، ودعوا لأمور عديدة منها: إلغاء المواد التي تجرم ممارسة الدجل والشعوذة من القوانين السارية في السودان، وحذف ما وصفوه بـ (الأثر الوهابي) من المناهج، وإصلاح مجمع الفقه السوداني، وتخليصه من قبضة السلفيين، وأن يتم تخصيص وزارات في التشكيل الوزاري للصوفية، وغير ذلك.

**سنحاول من خلال هذا المقال:** استجلاء أبعاد هذا الحراك الصوفي وأسبابه، وهل سينجح في مساعيه تلك؟ كما سيوضح المقال بيانًا لحقيقة التصوف الذي ينتمي إليه هذا الحراك، ومدى إيمانهم بالعقائد الفاسدة مثل: القبورية والشرك والخرافة والدجل والشعوذة، ومدى رغبتهم في الرجوع لعصور الانحطاط والتخلف والخرافة والأساطير، وما هي مصادر دعمهم داخل المجتمع السوداني وخارجه؟ وعلاقتهم برموز التصوف العالمي مثل: علي الجفري، وغيره.

### ❁ بدايات الحراك الصوفي في السودان:

**البداية العلنية للحراك الصوفي الأخير بالسودان** جاءت بعد حادثة منع الحكومة السودانية لقيام ندوة صوفية كبرى بعنوان:

(التصوف.. قضايا آنية ورؤى مستقبلية)؛ حيث كان هذا المنع بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير! وكان يراد لهذه الندوة لأن تكون استفتاء على حجم الوجود الصوفي بالسودان، وقد ازدحم لها قيادات وقواعد الطرق الصوفية في السودان؛ براياتهم وطبولهم! من كل حدب وصوب، حول فضاء قاعة الصداقة بالخرطوم في شهر (إبريل) الماضي.

**بعد منع الجهات الأمنية لقيام الندوة** خرج قيادات التصوف السوداني مخاطبين لأنصارهم في الشارع العام، ومما طالبوا به في تلك المخاطبات: تضمين التصوف في ثنايا الدستور السوداني أسوة بالمملكة المغربية، والشكوى من تمدد نموذج الإسلام السلفي في البلاد، علاوة على إظهار امتعاضهم من تجاوزهم في الحوار الوطني السوداني الأخير!

**ومما قاله الصوفية بعد منع ندوتهم:** تأكيد أمين الأمانة العلمية بالمجمع الصوفي العام عوض الكريم عثمان العقلي: أن ما حدث يؤكد تحقق مصالح الجهات السلفية جراء هذا القرار بمنع المتصوفة من ملاقاة أنصارهم.

**كما استنكر شيخ الطريقة السمانية الطيبية القريبية محمد حسن الفاتح قريب الله** شكل العلاقة التي تصل بين السلفيين والحكومة، وقال: أن التقارب السوداني السعودي قد ساق الخرطوم إلى تبني نموذج عقدي سلفي، داعيًا إلى تضمين التصوف في ثنايا الدستور، أسوة بالمملكة المغربية.

**وحث قريب الله السلطات لتقريب الصوفية وتمثيلهم في لجان تعيد المساجد لأصحابها، وتعيد للصوفية دورهم؛** الذي لطالما باهى به الرئيس البشير، وقاد من ضمن جهود أخريات لرفع العقوبات الأمريكية ضد السودان، مشددًا على ضرورة أن تشركهم -السلطات- في الأمر (أمر الفقه، وأمر الأوقاف وإداراتها، وأمر الحوار الوطني؛ الذي دُعي له الناس وتم إغفالهم فيه).

**وسرت أقاويل حول اتجاه المتصوفة في السودان إلى تكوين حزب سياسي؛** يلم شعثهم، وينصر قضاياهم، ويجعلهم كتفًا بكتف مع زعماء جماعات دينية وسياسية تشارك في السلطة ومناصب الدولة، وتودع حياة الزهد والتقشف؛ التي يقوم عليها التصوف من ظهوره في تاريخ البشرية.

**❁ لقاء (أم ضوًا بان):**

**سبق ندوة قاعة الصداقة -الملغاة- اجتماع لستين من قيادات التصوف السوداني في منطقة (أم ضوًا بان) شرق الخرطوم،** تحدث فيه عدد من شيوخ التصوف السوداني، على رأسهم: الخليفة الطيب الجد العباس -شيخ السجادة البدرية-، وهو مستضيف اللقاء، وكشف قيادات الصوفية خلال ذلك الاجتماع عن قلقهم من التقارب الأخير لحكومة السودان مع دول الخليج، والذي أثمر عن زيارات متكررة لمشايخ سلفيين سعوديين، آخرهم: وزير الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

**حيث يخشى الصوفيون** من أن يكون التقارب مع التيار السلفي على حسابهم، وخاصة أنهم يمثلون نسبة (٧٠%) من الشعب السوداني (حسب زعمهم!)، ويمثلون قوة ضاربة، ولكنهم لم يتدخلوا في سياسة الدولة السودانية، ولكن بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له مؤخرًا واللقاءات التي تمت بين ممثلين عن التيارات السلفية بدول الخليج والحكومة السودانية؛ جعلت هناك تخوف كبير داخل الطرق الصوفية السودانية!

**كما تم في الاجتماع الاتفاق على:** تقديم طلب للحكومة السودانية لإشراك الصوفية في تشكيل الحكومة المقبلة؛ أسوة بالسلفيين الذين يشاركون في الحكومة بمقاعد وزارية وبرلمانية، كما طالبوا بإلغاء المادة (٢٢) في قانون النظام العام؛ التي تتحدث عن الدجل والشعوذة، ويعتبرها الصوفيون تستهدفهم وتستهدف معتقداتهم وتقاليديهم الدينية!

**كما حذر زعماء الصوفية المشاركون في الاجتماع** الحكومة من احتمالات تكوين جناح عسكري للصوفية، ونشوء قوة عسكرية ضاربة لهم على الأرض؛ إذا لم تستجب الحكومة السودانية لهذه المطلوبات.

**وأكد الشيخ الطيب الجد العباس ود. بدر -شيخ السجادة البدرية-** خلال الاجتماع أن الهدف من هذا الاجتماع هو: التصدي للهجمة الشرسة الموجهة ضد الصوفيين بالسودان؛ وخاصة المادة (٢٢) في قانون النظام العام؛ التي تجرم الدجل والشعوذة، والتي أصبحت سيفًا مصلتًا على رقاب الصوفية.

**مشيرًا إلى أن السودان** لم يشهد من قبل إقرار مثل هذه القوانين التي تكبل الصوفية، وتمنعهم من ممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الدينية!

**بينما حذر الدكتور علي محيى الدين وراق -رئيس المجمع الصوفي السوداني-** من تمدد الفكر السلفي الوهابي، مشيرًا إلى أن الصوفية لم تقف ضد الحكومة في أي وقت، بل وقفت معها وناصرتها في كل مراحلها، والآن تأتي الحكومة السودانية لتمكن السلفية من رقاب الصوفية؟!

**وقال:** لن يكون هناك صمت بعد الآن! وسيكون هناك تصعيد من الصوفية ضد الحكومة؛ من خلال تشكيل لجنة من كبار المشايخ لمقابلة الرئيس عمر البشير، وإسقاط هذه المادة التي تضطهد الصوفية.

**في السياق ذاته؛ قال أحمد الفكي** -ممثل الطريقة الإدريسية-: إنه يجب على الحكومة السودانية احترام هذا الجمع من أهل الطُرق، لأنه يمثل الصوفية في السودان؛ خاصة وأن الصوفية أصحاب قوة كبيرة ويمثلون (٧٠%) من مواطني الدولة السودانية -حسب قوله-، والاقتراب من مناهجهم يعتبر حربًا مفتوحة ضد الصوفية والتصوف، وذلك لن يحدث أبدًا.

**وضم ذلك الاجتماع:** الشيخ عبد الوهاب الكباشي، والشيخ عبد الرحيم محمد صالح، والشيخ السماني البصري، والشيخ محمد عبد الله -رئيس اتحاد شباب التصوف-، والشيخ البدوي، والشيخ برير، والشيخ الجيلي النور موسى، والشيخ المبارك، الشيخ البشير شمبات، والشيخ عمر بركات ولد حسونة، والشيخ إبراهيم الشيخ الفادني، والشيخ محمد عثمان ولد حسونة، والشيخ عمر عبد القادر عمر -ممثل المشايخ في النيل الأبيض-، والشيخ بابكر محمد الفادني، والشيخ بروفسور قرني الأزرق، والشيخ بدر الخليفة الطاهر، والشيخ محمد الشيخ سيف الدين أبو العزائم، والشيخ بكري أحمد الفكي -ممثل السادة الأدارسة-، والشيخ بابكر سالم بابكر -رئيس وفد التصوف بالولاية الشمالية-، والشيخ التقي، والشيخ المكاشفي، وعدد آخر من مشايخ الطرق الصوفية بالسودان.

**كما وخرج اجتماع مشايخ الصوفية بتكوين لجنة بقيادة:** الشيخ الطيب الجد العباس، والشيوخ عبد الرحيم محمد صالح، وعبد الوهاب الكباشي، والطيب الغزالي، وعباس الفادني، ومحمد عبد الله التجاني، لكتابة وثيقة لرئيس الجمهورية؛ تبين الحال والمآل، ويتم فيها إعلان رفض الصوفية للمادة رقم (٢٢) من قانون النظام العام؛ التي تنص على الآتي: «لا يجوز لأي شخص ممارسة أعمال الشعوذة والدجل والسحر والزار»، حيث يرى قادة الصوفية أن فيها اضطهاد واضح لهم!

### ۞ الرئيس البشير والحراك الصوفي:

**بمجرد شعور الحكومة بتطور الحراك الصوفي وانتقاله إلى العلن** دعا الرئيس البشير عدد كبير من زعامات وقادة البيوت والطرق الصوفية لمائدة إفطار ببيت الضيافة (منزل الرئيس)، في رمضان الماضي؛ لامتصاص الغضبة الصوفية، وتوضيح وجهة نظر الرئاسة في كل ما يحدث.

**وحاول الرئيس البشير صرف الصوفية عن ميدان معركتهم وهو:** السلفية والسلفيين، حيث تحدث لهم عن المؤامرات والمكائد التي تستهدف كيان أهل السنة، وحذَّر من الانسياق وراء دعوات الفتن والشقاق الطائفي، مشيرًا للفتنة التي وقعت في البيت الخليجي، وقال: «الفتنة تسير، ولا توجد دولة مستثناة، وأول الدول المستهدفة السودان».

**ودعا البشير إلى:** تفويت الفرصة أمام الطامعين في إحداث شرخ بين أهل السنة، وطالب في ذات الأثناء بعدم السماح بذلك.

**وأضاف قائلًا:** «نحن في وجه المدفع، والذين دمروا العراق لم يدمروه من فراغ، لأنه كان أقوى دولة في المنطقة».

**ولفت في ذات الوقت إلى:** أن تدمير الشام وسوريا مقصود.

**وأعلن البشير عن تشكيل لجنة لدراسة كل الملاحظات التي أبداها شيوخ الطرق الصوفية، وقال:** إن كل المساجد والزوايا تقام فيها صلوات التراويح والتهجد، وأصبح الأمر الآن «ليس ما يطلبه المستمعون من الأغاني، إنما ما يطلبه المصلون من شباب يتلون كتاب الله»!

**ودغدغ البشير مشاعر متصوفة السودان بقوله:** «إن الطرق الصوفية كانت سببًا في قيام أعظم ثورة إنسانية في القرن التاسع عشر وهي: الثورة المهدية بالسودان».

وقال البشير: «إن جده -هو: الشيخ حمد أبو دنانة- هو أول من نشر الطرق الصوفية في السودان؛ من خلال الطريقة الشاذلية».

وأضاف: «إن السودان بلد باركه الله، وهو أرض خير وتسامح»!

داعيًا رموز الصوفية بالبلاد إلى الاستمرار في التمسك بقيم المحبة والتسامح، والانتباه إلى ما يحاك ضد البلد من مؤامرات ودسائس.

ونوه بحملات قادها الاستعمار لتنصير السودان والسودانيين، ومضى قائلًا: «لم يستطيعوا تنصير سوداني واحد، واتجهوا للخطة الثانية وهي: قانون المناطق المقفولة، ومنع انتشار الإسلام والثقافة العربية في جنوب السودان وجبال النوبة وجنوب النيل الأزرق».

ومن جهته قال الشيخ عبد الوهاب الكباشي -التي تحدث في الإفطار نيابة عن شيوخ الصوفية-: «إن هناك عملًا منظمًا يدور ضد الصوفية، وتوجد مناهج دراسية تدرس في مدارس السودان تحط من قدر الصوفية».

مشيرًا لشكوى المتصوفة من قانون النظام العام، في مادة الدجل والشعوذة، وتكوين مجمع الفقه الإسلامي غير المتوازن.

### ۞ من وراء الحراك الصوفي؟

من الواضح: أن الحراك الصوفي في السودان له أصابع خارجية! سيما وأن كثير من قادة هذا الحراك الصوفي لهم ارتباطات خارجية، وبعضهم له علاقات خاصة بإمارة أبو ظبي، كما أن عددًا من المؤسسات الصوفية ذات الصلة بالحراك مثل: «المجمع الصوفي العام» بالسودان لها تعاون مع الداعية الصوفي الحبيب الجفري؛ وهو صاحب دعوته لزيارة السودان.

ومعلوم أن علي الجفري يسعى لضم صوفية السودان للمشروع الصوفي العالمي؛ حيث رتب لهم المشاركة في «مؤتمر غروزني»؛ الذي حضره لفيف من العلماء تم اختيارهم بطريقة انتقائية، واعتمد المؤتمر جمهورية الشيشان مركزًا لرصد الفرق الجديدة ودراستها، وأبعد «مؤتمر غروزني» الوهابية والسلفية والإخوان المسلمين من تصنيف أهل السنة التي تراها روسيا حاضنات إرهاب، و«مؤتمر غروزني» جعل روسيا هي مرجعية للدين الوسطي الجديد! وتلعب الدور الأكبر في إعادة ضبط الإسلام!!

وأفلح الجفري كذلك في الدفع بمشاركة عدد من رموز التصوف السوداني في «مؤتمر غروزني»، وهم: محمد حسن الفاتح قريب الله -شيخ الطريقة السمانية، ورئيس المجمع الصوفي العام-، وصلاح الدين سر الختم -نائب رئيس المجمع الصوفي العام-، ومحمد توم الأمين -مسؤول المال بالمجمع الصوفي العام-.

يلاحظ أن: تركيز الجفري في مشروعه بالسودان على الصوفية السودانية ذات الصلة الحميمة بالغرب؛ حيث يحظى أبرز معاونيه بالسودان محمد حسن الفاتح قريب الله -شيخ الطريقة السمانية، ورئيس المجمع الصوفي العام- بتقدير كبير في بريطانيا التي نشأ فيها! وهو يجيد اللغة الانجليزية بطلاقة، ويحظى بتقدير كبير لدي السفراء الأوربيين بالسودان! كما تتم دعوته سنويًّا لأنشطة دينية بالولايات المتحدة منها: الإفطار الرمضاني السنوي للرئيس الأمريكي، وغيرها!

كما يلاحظ: أن الحراك الصوفي الأخير يميل لمعتقدات: الدجل والشعوذة والخرافة، والوقوف مع القبورية، وتقديس الأضرحة والمقامات، والذكر الصوفي الجماعي المصحوب بالرقص والطبول، وتشجيع الموالد والحوليات، وغير ذلك من مواصفات التصوف المعروفة.

### ۞ مستقبل الحراك الصوفي في السودان، وفرص نجاحه:

يلاحظ أن: الحراك الصوفي كان آخذًا في التوسع، ودخول مناصرين جدد، ولكن بعد لقاء الصوفية بالرئيس عمر البشير -في الإفطار الرمضاني- بدأ الحراك يخفت تدريجيًّا، مع بقاء بعض الصوفية في المناداة ببعض الأمور مثل: إصلاح مجمع الفقه الإسلامي، حيث يرى القيادي الصوفي محمد مصطفى الياقوتي -وزير الدولة بوزارة الإرشاد والأوقاف سابقًا، وعضو مجمع الفقه الإسلامي-: أن طريقة إدارة المجمع تعتم على الوسطية، وتعتدي على الجانب الصوفي، ودلل على ذلك: بمنع إصدار كتاب يبيح الصلاة في المساجد التي توجد فيها أضرحة وقبور، ولفت إلى أن ذلك تم بناء على قرارات للجان مجمع الفقه؛ بحجة عدم استيفائها للشروط العلمية، بينما يتم السماح بإدخال

الكتب التي تحرم وتكفر الصلاة في المساجد التي فيها قبور وأضرحة، ويتم استيراد هذه الكتب بالحاويات من وراء البحار -كما ذكر الياقوتي-.

**بينما يرى صلاح الخنجر -عضو المجمع الصوفي العام-:** أن مجمع الفقه الإسلامي السوداني مزاجه العام: وهابي، وأن المتصوفة الأعضاء بمجمع الفقه الإسلامي لا أثر لهم في عمل المجمع.

**وقال في حوار مع «صحيفة الوطن» السودانية:** «بلادنا لها توجه ومشرب عام، ومذهب هو: المذهب المالكي، ولا نمانع في الأخذ ببقية المذاهب؛ ولكن بدلًا عن تغليب المذاهب الأربعة فإن رئيس مجمع الفقه السوداني وأمينه العام ورئيس دائرة الفتوى يميلون إلى أفكار ابن تيمية وابن القيم.

**ومعلوم أن مدرسة ابن تيمية هي سبب البلاء والتكفير والإرهاب والغلو والتشدد- حسب قوله!-،** وأماتها الله بجهود العلماء، وأحياها محمد بن عبد الوهاب في ثوب جديد -حسب قوله!-، ولا نرضى أن يكون السودان هو الحاضن لها؛ من خلال الواجهات الرسمية مثل: مجمع الفقه السوداني».

**ولا يبدو في الأفق أن الحراك الصوفي سيصل إلى مطالبه؛** سيما وأن هناك خلافات داخل الصوفية أنفسهم حول جدوى هذا الحراك وتوقيته، حيث يرى القيادي الصوفي وعضو مجمع الفقه الإسلامي د. علاء الدين أبو زيد أن: «المجمع لا يمالي السلفيين، وما يصدر من بعض الصوفية حول المجمع فيه نوع من التسرع ، وعدم التثبت.

**وعدد المتصوفة بالمجمع هم أكثر من السلفيين؛ فالسلفيون ثلاثة،** وهم: الشيخ الدكتور إسماعيل عثمان -رئيس جماعة أنصار السنة- ود. محمد الأمين إسماعيل، وأخيرًا انضم د. حسن محمد الهواري.

**وهؤلاء ثلاثة مقابل ثمانية متصوفة،** على رأسهم: الشيخ الطيب الشيخ الفاتح قريب الله، والشيخ محمد مصطفى الياقوتي، والدكتور العبيد معاذ -وهو ينتمي للطريقة السمانية-، والشيخ ياسين محمد طه -من الطريقة الختمية-، والشيخ سليمان كرم -أيضًا من الطريقة الختمية-، والبروفيسور عمر يوسف حمزة -وهو سماني-، وشخصي الضعيف تيجاني الطريقة».

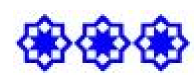
## مراجع:


١- قانون النظام العام بولاية الخرطوم، لسنة (١٩٩٦م).

٢- حوار «صحيفة الوطن السودانية»، مع صلاح البدوي الخنجر -عضو المجمع الصوفي العام بالسودان-، بتاريخ (١٥ يونيو ٢٠١٧م).

٣- (الصوفية في السودان يطالبون بإعادة تشكيل علاقتهم بالسلطة)، تقرير: مقداد خالد، منشور بـ «صحيفة الصيحة»، الخرطوم، بتاريخ (٢٦ مايو٢٠١٧ م).

٤- (الصوفية ومجمع الفقه.. نذر مواجهة في الأفق)، تقرير منشور بـ «صحيفة الجريدة» السودانية، بتاريخ (٢٩ مايو ٢٠١٧م).

## الخميني في فرنسا

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

**صدر هذا الكتاب بالعربية مطلع عام (٢٠١٧)**، بعد أن صدر بالفرنسية مرتين: في عامي (٢٠٠٩ و٢٠١٠).

**وعنوانه الكامل**: «الخميني في فرنسا: الأكاذيب الكبرى والحقائق الموثقة حول قصة حياته وحادثة الثورة».

**وهو من تأليف د. هوشنك نهاوندي**؛ الذي كان وزيرًا للإسكان، ثم وزيرًا للعلوم، ثم رئيسًا لجامعة طهران في عهد الشاه.

**وقد تولى ترجمته ونشره**: مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية ومقره بالرياض، ويقع الكتاب في (٢٦٠) صفحة من الحجم المتوسط.




**الكتاب مدهش بتفاصيله ومعلوماته ووثائقه الغائبة عن القارئ العربي**، ويتناوله مرحلة ما قبل قيام دولة الملالي! وهو يؤكد الحاجة الماسة لترجمة العديد من الكتب الفارسية والأجنبية المفصلية والموثقة عن دولة الملالي؛ حتى نفهم عدوَّنا بشكل أفضل ونحسن التعامل معه.

**الكتاب يتناول**: نشأة الخميني وظهوره على الساحة، ومن ثم انتقاله للعراق، ومن بعدها ذهابه لفرنسا، ويركز هنا على فضح الأكاذيب التي روَّجها الإعلام الغربي -وخاصة الفرنسي- لتلميع صورة الخميني وتضخيمه في ذهن الشارع الإيراني خاصة، والعالم عامة.

**ويتناول**: سياسة الشاه وتعامله مع الاضطرابات منذ ستينيات القرن الماضي، ومن ثم تعامله مع الثورة.

**ويتناول**: موقف الجيش الإيراني والقوى الدولية (أمريكا وفرنسا وروسيا) من إسقاط الشاه، ودعم الثورة والخميني.

**ويتناول**: دور اليسار الإيراني والعربي والعالمي في روسيا وأوربا وأمريكا في دعم الخميني.

**ويشير إلى انقلاب الخميني على داعميه في أوربا وأمريكا، وهذه النقطة تفتح من الأسئلة ما يفوق إجابات الكِتاب!** فكيف خدع الخميني داعميه؟ وكيف تخلَّص من رجال الغرب في إيران؟ وكيف هدم الجيش الإيراني وبقي الجميع يتفرج دون حراك؟

**هذه الأسئلة -وغيرها- لن تجد جوابها في هذا الكتاب**، وقد يكون أجاب عنها المؤلف في كتاب آخر، أو تكون من الأسئلة التي لا زالت تبحث عن إجابة، فللأسف أن ما نجهله عن الخميني وثورته ودولته أكثر بكثير ممَّا نعرفه بعد هذه السنين الطويلة!!

**جعل المؤلف كتابه في مقدمة و(١٠) فصول**، لكنه فرَّق فيها المعلومات بحسب التتابع الزمني أو البعد الجغرافي، مما جعلها جزرًا مفصولة برغم أنها تتعلق بفكرة واحدة؛ ولذلك لن أعرض للفصول

التي كتبها المؤلف، **ولكن سأعرض لأهم الأفكار والمعلومات التي كشفها المؤلف تجاه كل موضوع على حدة:**

**١ - الفكرة الأساسية في الكتاب هي:** بيان وفضح أكاذيب الإعلام الغربي -والفرنسي تحديداً- لتضخيم حجم وصورة الخميني؛ والتي تمثلت في تقديم وكالة «فرانس برس» سيرة ذاتية مزيَّفة له! حيث تم إسقاط جذوره الهندية! حتى لا تهتز شرعيته؛ لكون الدستور ينصُّ على: أن يكون رئيس الجمهورية إيراني الأصل! وبخصوص والد الخميني «مصطفى»؛ والذي كان سكرتيرًا وبلطجيًّا عند أحد الإقطاعيين، وتم قتله بسبب خلافات مع أحد المتضررين من والد الخميني.

**لكن في السيرة الفرنسية المزيفة** تم تحويل مصطفى إلى شهيد وضحية لإجرام الشاه! برغم أنه حين قتل مصطفى كان الشاه لا يزال ضابطًا صغيرًا! ثم تم تطوير الكذبة: أن مصطفى أُعدم نتيجة مقاومته للمستعمرين، وأنه كان يقود قريته!

**كما تم الزعم بأن:** والدته ابنة أحد رجال الدين المرموقين، وهي في الحقيقة: امرأة قروية فقيرة.

**كما تم تصوير مرحلة شباب الخميني بأنها نضال وكفاح،** وهي في الحقيقة: كانت مؤيدة للشاه، ومعترضة على سياسة مصدق لصالح الشاه وبريطانيا!

**ثم زعموا أن ابنه مصطفى قتل بسبب معارضته للشاه،** بينما مات مصطفى نتيجة سكتة قلبية لمرضه بالسكري.

**وكانت غاية التزوير منحه لقب:** «الإمام وآية الله العظمى» من الصحافة الغربية وليس من قبل المراجع الشيعة الأعلى منه!

**ومن ثم تم تبجيله وتقديمه بصورة:** الحكيم، والديمقراطي، وداعية حماية حقوق الإنسان! وقد قام كثير من رموز اليسار الفرنسي؛ كجان بول سارتر، وسيمون دي بوفوار، وميشيل فوكو، ومن أمريكا ريتشارد كوتام، وريشتارد فولك، والعديد من الصحف المرموقة؛ كصحيفة «لوموند» وغيرها، بالدعاية والتأييد للخميني حين كان في فرنسا؛ كتمهيد له وكحملة علاقات عامة لتقبل المجتمع الإيراني والعالمي لإزاحة الشاه، ومجيء الخميني لقيادة إيران.

**٢ - لم يكن للخميني دور بارز في عقود حياته الخمسة الأولى،** وكان مؤيدًا لمواقف المرجع أبي القاسم الكاشاني ضد المواقف القومية لرئيس الوزراء مصدق والداعمة للشاه، بل لقد قاد الخميني المظاهرات الشعبية المطالِبة بعدم مغادرة الشاه لإيران في (١٩٥٣/٢/٢٨م)! وهو ما يخالف الدعاية الكاذبة بأن الخميني بطل مقاومة للاستعمار!

**ولكن عدم قبض الخميني ثمن دعمه للشاه** -كما حدث مع آخرين من أتباع الكاشاني- كان سببًا لشعوره بالمرارة، وبدء حقده على الشاه، وابتعاده عن المشهد؛ حيث لم يلتفت له أحد، وبعد عدة أعوام -أي: في سنة (١٩٦٢م)- وقَّع الخميني مع آخرين بَرقية احتجاج للشاه على انتخابات المحافظات، ولكن مع إعلان نتائج الانتخابات أصدر الخميني فتوى اعتبر فيها أن الاستفتاء مخالف للشرع المنير!

**وبعد حوالي أسبوعين أصدر فتوى جديدة ضد نظام الشاه،** وأنه يتعمد مصادمة الإسلام! ودعا للحداد العام ولمقاطعة مراسم عيد النيروز، ولكن لم تلقَ هذه الدعوة استجابة من الشارع، لكن أبرزت الخميني كمعُارض سليط اللسان، والتفّ حوله المعارضون المبعثرون للشاه، واسترعى انتباه أجهزة المخابرات الأجنبية -كما يقول المؤلف-.

**وعاد الخميني بعد عدة أشهر، وذلك في عام (١٩٦٣) ليهاجم اليهود وإسرائيل،** لكنه بقي غير معادٍ للشاه؛ فقال يخاطبه: «سيدي الملك! إنهم يريدون أن يظهروك يهوديًّا؛ حتى أُكفِّرك، عندها سيخرجونك من إيران ويصفونك»!

**وأخذ الخميني يصعِّد من خطاباته؛** حتى هدَّد بإسقاط الحكومة، وعندها تم اعتقاله ونقله لطهران، وخرجت بعض المظاهرات تأييدًا له بتحريض من حزب «توده» الشيوعي! وتبين أن جمال عبد الناصر يموِّل هذه المظاهرات، وهو ما سيتوسع ويصل الدعم الناصري للخميني!

قضى الخميني (١٠) أشهر مسجونًا دون محاكمة، ثم عفا عنه الشاه؛ خاصة بعد أن قام (٥) من مراجع التقليد بترفيع الخميني من درجة «حجة الإسلام» إلى «آية الله»!

**وبعد أشهر هاجم الخميني الاتفاقية العسكرية مع أمريكا،** فاتخذت الحكومة قرارًا بنفيه، فذهب لتركيا، ولكنه لم يرتح هناك، وطلب

الذهاب للعراق، فتعاونت تركيا مع حكومة الشاه وسهَّلت انتقاله للعراق، وطويت صفحته عدة سنوات.

**٣- اجتمع على الشاه عددٌ من الأعداء المتشاكسين؛ من الإقطاعيين ورؤساء العشائر في الداخل،** الرافضين لفقد امتيازاتهم عبر الإصلاحات التي يطالب بها الغرب والشعب، وحزب «توده» وعبد الناصر والروس؛ الذين يريدون تحويل إيران لدولة شيوعية، والأمريكان؛ الذين أزعجهم رفع سعر البترول ومحاولته التحرر من التبعية، والأوربيين لاحقًا، وضعف شخصيته ومسالمته الزائدة مع الخصوم؛ اجتمع كل هؤلاء عليه فأسقطوه!

**٤- الخميني لم يكن صانع الأحداث، بل الواجهة الإعلامية لها،** فالذين كانوا يثيرون المشاكل على الأرض هم: اليساريون، من أنصار حزب «توده» وغيره، بتحريض من الروس، بل يكرر المؤلف عدة مرات وجود يساريين فلسطينيين في طهران مارسوا البلطجة وتأجيج الأوضاع!

**والذين كانوا يلمِّعون صورة الخميني ويشوهون صورة الشاه ويرتِّبون الأمور السياسية هم:** الأمريكان والفرنسيون، وكان إبراهيم يزدي -الإيراني الأمريكي، ووزير خارجية الخميني لاحقاً- هو مسؤول هذا الملف في فرنسا.

**والذين كانوا ينشرون خطابات الخميني هم:** إذاعة «بي بي سي» الفارسية، وخليط من المخابرات الأمريكية والفرنسية؛ التي تسجل خطابات الخميني وتبثها لإيران، عبر مركز بريد استحدث قرب مكان إقامته في فرنسا، أو عبر الحقيبة الدبلوماسية الأمريكية! والتوزيع في إيران يتولاه نشطاء حزب «توده»!

**وكان للإيرانيين اليساريين في أمريكا والأنشطة الإعلامية في أمريكا** دور ضد الشاه بتمويل من الحكومة الأمريكية!

**٥- الجيش الإيراني بقي وفيًّا للشاه لآخر لحظة،** لكن تردد الشاه في حسم الأمور، وسوء إدارته للأزمة، وتخاذل قياداته السياسية، واضطرابهم، وتآمر الأمريكان ضده، ومنعهم الجيش من التحرك؛ كل هذه الأمور أدت لفشل الشاه بالحفاظ على عرشه.

**كان الخميني في غاية الخوف من الجيش،** ولذلك لم يتردد -حين سنحت الفرصة- من قتل قيادات الجيش بكل وحشية، والكثير من أفراده -لاحقًا-، ثم تم تهميش الجيش -لاحقًا-، والتركيز على الحرس الثوري.

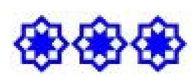
**٦- كان الروس يعدُّون الخميني: عميلًا وجاسوسًا لهم، وكان الأمريكان يعتبرونه: دمية بيدهم،** فكالوا له المديح بسبب ذلك، وكانوا لا يتوقعون أن يكون عنده طمع ورغبة بالسلطة والحكم المطلق.

**لكن الخميني استطاع أن ينقلب عليهم، ويفُوقهم في الخبث!** على طريقة مسخ رواية د. فرانكنشتاين، ويستقل بنفسه، ويقضي على أنصار الروس: (حزب توده)، وأنصار الأمريكان: (الجيش، والساسة)، ولم يستيقظ الغرب للحقيقة إلا بعد أن استتبَّ الأمر للخميني! في قصة لم تفهم أبعادها وتفصيلاتها بعد!!

**٧- في مواضع كثيرة من قصة صعود الخميني** تشعر أن ما ينقله المؤلف من أحداث وقعت في إيران قبل (٤٠) سنة جرى تكرار بعضها في الربيع العربي، أو على الأقل تم تداول وقوعها فيه!

**مثلًا:** قصة البلطجية الغرباء في المظاهرات: إطلاق النار من طرف ثالث على الشرطة والمتظاهرين، تمويل غربي للثورة بمئات الملايين، منع الجيش من التحرك، نشر أخبار وصور ومقاطع كاذبة عن القمع الوحشي للجيش والأمن تجاه المظاهرات، تسخير الإعلام الغربي (بي بي سي) لتأييد الثورة، تخلي الأمريكان عن حليفهم، الغضب من ارتفاع أسعار البترول، وغيرها.. وهي حَرية بالفحص والتأمل -قديماً وحديثاً-!

**هذه أهم الخطوط الفكرية في هذا الكتاب،** وهناك المزيد من المعلومات التفصيلية لهذه المحاور في الكتاب، والذي ينبغي مطالعته لكل مهتم بدولة الملالي.







## هذه هي الحقيقة: التطرف ينبع من (النت) والعولمة، وليس من المساجد والمصاحف!

**قـالوا:** أظهـرت دراسـة ألمانيـة: أن الـشباب الألمـاني الـذي ينـضمُّ لمجموعات إسلامية متطرفة لا يعرف كثيرًا عن الإسلام -غالبًا-.

«حيث يمكننا القول: إن هؤلاء الشباب يصنعون مكونات إسلامهم الخاص»!

وذلك حسبما أوضح ميشائيل كيفر -من معهد العقيدة الإسلامية التابع لجامعة أوسنابروك-؛ حيث درس كيفر بالتعاون مع باحثين من معهد أبحاث الصراعات والعنف التابع لجامعة بِيلِفِلد الألمانية مجموعة من (١٢) سلفيًّا شابًّا؛ من خلال تحليل (٥٧٥٧) منشورًا على موقع (واتس أب) للمجموعة التي تتراوح أعمار أعضائها بين (١٥) إلى (٣٥) عامًا.

وقـال البـاحثون: إن قابليـة الـشباب للتعـرض لخطـر المحتويـات المنشورة على الإنترنت كبير.

وقال تسيك: إن تصورات المجموعة «ساذجة، وإنها تنظر للأمور بشكل رومانسي».

مضيفًا: أن الـشباب يحلمـون بـالوقوف في سـاحات معـارك الجهـاد ليصبحوا رجالًا من خلال هذه المعارك.

وتـابع تـسيك: أن «الجهـاد الرقمـي» أمر محبَّب لـدى الشباب؛ لأنـه يجيـب عـلى القـضايا الطبيعيـة بـشكل متطـرف، ويعطـي حلـولًا لقـضايا التنمية؛ «حيث أصبح الجهاد ثقافية أساسية، الجهاد موجـود بالفعل في غرفة الأطفال».

**«القبس»، باختصار (٢٠١٧/٧/١٠)**

## ويكفيكم هذا التفاوت بيننا!

**قالوا:** كيف نسخرُ من المسلمين لأنهم يتزوجون (٤) نساء؟! ونحن نسمح بزواج الشواذ، ونسمح بممارسة الفاحشة مع الحيوانات؟!!

**المفكر الأمريكي هنري ماكوو**

## أهل داعش

**قالوا:** داعش ليست واحدة، هنالك التي نعرفها في الرقة والموصل، وامتدادها وراياتها السوداء.

أما داعش الأخرى فهي: التي تتغطى بمكياج العلمانية، وهي الابن الشرعي لهؤلاء الذين صفقوا للأسد وهو يقتل شعبة بدم بارد، وانحازوا للانقلابات، وهي تحز رقبة الديموقراطية وشرعية الصناديق، وهتفوا باسم «أدونيس» الذي أعاد علينا قراءة مزامير الكراهية.

داعش هذه التي نـرى وجهها القبيح في بلـداننا هي التي تـستقوي بهـؤلاء لإقنـاع شـبابنا بأنهـا تواجـه «الفجـور» الـذي يرفـع أصـواته في شوارعنا.

**حسين الرواشدة، «صحيفة الدستور» (٢٠١٧/٧/٧)**

## اعتراف متأخر، وقتل متواصل في أماكن أخرى!

**قالوا:** اعترف الأمين العـام للأمـم المتحـدة أنطونيـو غـوتيريش، بـأن مذبحـة سربرنيتسا التي ارتكبتهـا القـوات الـصربية في (يوليـو ١٩٩٥): «تعـد أكبر ظلـم حـصل في أوروبـا منـذ تأسيس الأمـم المتحـدة، وعلينا الاعتراف بأننا سمحنا بوقوعها»!

وقال: «اليوم نستذكر ونكرِّم الآلاف من الـذين قُتلـوا، ونعـرب عـن تضامننا مع أسر وأصدقاء من قضوا في الأحداث الفظيعة التي وقعت في

سربرنيتسا في (يوليو ١٩٩٥).

مؤكدًا أن: «تلك الأحداث هي حقائق تاريخية موثقة بشكل تام»، وأن المحكمة الجنائية، ومحكمة العدل الدوليتين، قررتا اعتبار ما حصل في سربرنيتسا: «إبادة جماعية»، و«المجتمع الدولي -وخاصة الأمم المتحدة- اعترف بمسؤوليته عن مأساة سربرنيتسا».

وكانت القوات الصربية بقيادة راتكو ملاديتش دخلت بلدة سربرنيتسا في (١١ يوليو ١٩٩٥)، بعد إعلانها منطقة آمنة من قبل الأمم المتحدة، وارتكبت مذبحة جماعية راح ضحيتها أكثر من (٨) آلاف مسلم، تراوحت أعمارهم بين (٧ إلى ٧٠) عامًا، وذلك بعدما قامت القوات الهولندية العاملة هناك بتسليم عشرات الآلاف من البوسنيين إلى القوات الصربية.

«وكالات»، (٢٠١٧/٧/١١)

### كارثة تحرير الموصل!

**قالوا:** اضطريت أضحِّي بالأم والجنين عشان الأب يعيش!

مختصر قصة تحرير الموصل المزعوم، وخبرة قادة العراق الجدد في القتال.

حساب د. فراس الزوبعي على (تويتر)

### هنا يعارضون الغرب!

**قالوا:** مدارس الأولاد في الغرب فقط ناجحة جدًّا، وسيتم فتح مدارس للبنات فقط..

والبعض عندنا يطالب بالاختلاط!

حساب د. مالك الأحمد على (تويتر)

### هذه إنجازات العلمانية الملحدة!

**قالوا:** حقوق الإنسان هو: غطاء وجه الإلحاد القبيح..

أنور خوجة يدمِّر (٢١٦٩) مسجدًا ليلة إعلان ألبانيا دولة ملحدة!

حساب RobinOfArabia، تغريدة على (تويتر)

### هذه موضوعيّتهم!

**قالوا:** كشفت دراسة أمريكية -اليوم الاثنين-: أن التغطية الإعلامية للهجمات الإرهابية المتَّهم فيها مسلمون، تتضاعف (٥) مرات، مقارنةً بتلك المخصصة لتغطية الهجمات التي يرتكبها غير المسلمين.

وتوصلت الدراسة -التي أجراها باحثون من جامعة جورجيا الأمريكية- إلى: أن اهتمام وسائل الإعلام بالهجمات التي يرتكبها مسلمون تزداد بنسبة (٤٤٩) بالمئة، مقارنة بالهجمات المماثلة التي يتهم فيها أشخاص لا يتبعون الإسلام!

واعتمدت الدراسة على رصد جميع التغطيات الصحفية التي تناولت أي هجمة إرهابية تقع في الأراضي الأمريكية، خلال الفترة ما بين الأعوام (٢٠١١ و٢٠١٥).

كما أوضحت الدراسة: أن المسلمين كانوا مسؤولين عن (١٢.٤) بالمئة فقط من الهجمات الإرهابية، خلال فترة البحث، لكن في المقابل يحظون باهتمام إعلامي يتخطى (٤١.١) بالمئة من حجم التغطية الإعلامية الخبرية للصحف الأمريكية.

«وكالات»، (٢٠١٧/٧/٤)

### مشروعهم الطائفي حاضر وقيد الإنجاز

**قالوا:** عصابات الحوثي تغيِّر المناهج الدراسية، وتحذف أسماء الصحابة -رضوان الله عليهم- من الكتب الدراسية الرسمية الحكومية.

حساب قناة «صفا» الفضائية على (تويتر)

### العدو الحقيقي لإيران والشيعة

**قالوا:** منذ أن أطلق الخميني شعار: (يوم القدس العالمي) للتجارة بفلسطين! قتلت إيران أكثر من (٢) مليون عربي، ولم تقتل إسرائيليًّا واحدًا!

حساب منشق عن «حزب الله» على (تويتر)

## العنف في التراث الديني الشيعي.. وحيٍ (المسورة)

د. موسى آل هجاد الزهراني، صحيفة «مكة» الإلكترونية، (٢٠١٧/٧/٨)

**عندما يقرأ الشيعي البسيط نصوصًا في كتب تراثه**، من العهد البويهي (٩٣٢هـ-١٠٥٦م) إلى الصفوي الأول والثاني من (١٠٥٢هـ-١٦٤٢م) إلى سنة (١١٤٨هـ-١٧٣٦م)، أو يسمعها من علماء الحسينيات، تنطق بمثل كلام نعمة الله الجزائري (ت:١١١٢هـ):

«**معنى الناصب الذي ورد في الأخبار**: أنه نجس، وأنه شرٌّ من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافرٌ نجسٌ بإجماع علماء الشيعة الإمامية -رضوان الله عليهم-، فالذي ذهب إليه أكثر الأصحاب هو: أن المرادَ به: من نصب العداوة لآل بيت محمد..»[١].

**فإنَّ الناصبيَّ -عنده- هو**: كل من ينتسب إلى أهل السنة؛ لأنهم يقدمون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما في الخلافة -كما هو معلوم-.

**كما قال -أيضًا-**: «وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وآله-: أن علامة النواصب تقديم غير علي عليه»[٢]، وبالتالي فإنه سيستحضر نصَّ الجزائري السابق: أن السني: «نجسٌ، وأنه شرٌّ من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافرٌ نجسٌ بإجماع علماء الشيعة الإمامية»، ويُنزل هذا النص على أرض الواقع؛ فيحكم على أهل السنة بالكفر، ويلزم من هذا: استحلال دمائهم!

وهو في هذا ينطلق من فتوى الجزائري -في مرجعه المتقدم-، وقوله: «والثاني: في جواز قتلهم واستباحة أموالهم»[٣].

**وأسوأ من هذا: ما بيَّنه شيخهم يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ)**: «إن إطلاق (المسلم) على الناصب، وأنه لا يجوز أخذ ماله من حيث الإسلام، خلاف ما عليه الطائفة المحقة -سلفًا وخلفًا-، من الحكم بكفر الناصب ونجاسته، وجواز أخذ ماله، بل قتله»[٤].

**ولو تتبع الباحث نصوص كتب علماء الشيعة** -الذين يوصف بعضهم بأنه (آية الله العظمى) أو (حجة الإسلام) أو (الولي الفقيه)!-؛ فإنه سيصاب بالدهشة للإيغال في تكفير من سوى الشيعة الاثني عشرية، واستحلال قتلهم، وأخذ أموالهم!

**وهذا الفكر هو أكثرُ المذاهب والطوائف التي تُكفِّر الناس عمومًا، وبعض طوائف الشيعة أيضًا.**

**وما يحدث في (منطقة القطيف) وحي (المسورة) -تحديدًا- من**: استهداف للعاملين في الأمن من العسكريين والمدنيين بشكلٍ يومي، وتوجيه القنابل والأسلحة إلى صدورهم ما هو إلا تطبيقٌ عمليٌّ لتلك النصوص التي تطفح بها كتبُهم القديمة والحديثة؛ فضلًا عن دروس الحسينيات، المقترنة بالنواح المصطنع، وادعاء المظلومية.

**والأغرب من كل هذا**: أن هذا الوطن -المملكة العربية السعودية- الذي احتضن في شرقه الشيعة الاثني عشرية عقودًا طويلةً، ومنحهم من الحقوق ما يربو -أحيانًا- على حقوق غيرهم، فلم يميز بين شيعيٍّ وسُنيٍّ في الحقوق..

**الأغربُ**: أنه ليس له نصيبٌ من ولائهم، ولا ولاء كثيرٍ من علمائهم، وإن تظاهروا بالتقية الدينية أو السياسية، بل ولاؤهم لمرجعياتهم الشيعية الفارسية وغيرها.

---

(١) الجزائري، السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي، (١١١٢هـ)، «الأنوار النعمانية»، دار القارئ-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، (٢/٣٠٦-٣٠٧).

(٢) السابق، (٢/٣٠٧).

(٣) السابق، (٢/٣٠٧).

(٤) البحراني، يوسف، (ت١١٨٦هـ)، «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، تحقيق محمد تقي الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم-إيران، (١٢/٣٢٣-٣٢٤).

**ولو أنَّ الدولة تعاملت معهم على حسب ميولهم، ومنحتهم الفرصة للسفر للعيش في موطن الفكر الاثني عشري في إيران أو العراق**؛ لذاقوا الأمرَّين من التمييز بأنواعه! ولعادوا يلثمون تراب الوطن، ويحمدون الله على نعمه التي لن يجدوها في تلك البلاد!! حتى إن أحد أصدقائي -وهو شيعيٌّ من مملكة البحرين- قال لي عندما كنتُ أجمع مادة رسالتي للدكتوراه عن (الفكر الاثني عشري في القرنين التاسع والعاشر)، قال: «إذا ذهبنا إلى إيران فإننا نُعامل هناك أسوأ معاملة؛ لأننا عربٌ! قلت: وهم يعرفون أنك شيعيٌّ؟ قال: ويعلمون أني (سيدٌ)»! -وهذا اللقبُ والانتساب له أهميته في الفكر الشيعي بطبيعة الحال-.

**مثل هذه الحوادث التي أقضت مضاجعنا كل يوم**؛ من المفترض أن تستدعي جهود علماء الشيعة الاثني عشرية على جميع الأصعدة؛ لاتخاذ ما يلي:

١- **التبرؤ من النصوص والتفسيرات الداعية لقتل من ليس على مذهبهم** -من أهل السنة وغيرهم-، وإصدار بيانٍ يُجمع فيه علماؤهم على ذلك.

٢- **تخصيص برامج في القنوات الفضائية** -حتى القنوات الرسمية أو شبه الرسمية مثل: «السعودية الأولى والإخبارية والعربية» وغيرها- **للحديث من قبل علماء الشيعة السعوديين -وليس غيرهم**- لمناقشة وتفنيد تلك النصوص، بأسلوبٍ علميٍّ مقنعٍ؛ بعيدًا عن التقية أو استعطاف السلطة.

٣- **عقد المؤتمرات الصحفية وغيرها لإخراج المنطقة من حالة العنف التي تعيشها**، و تأسيس الحوار الجاد مع شباب الشيعة في مراكز الأحياء والملتقيات الحوارية، وتفعيل دور الجامعات في إعطاء حرية النقاش لشباب الشيعة؛ دون قيود على الفكر في إطار الإجابة على الإشكالات والشبهات التاريخية والمعاصرة.

**وأنا أعتقد أنهم عندما يجدون المناخ الحر فإنهم سيظهرون ما لديهم من إشكالات فكرية**، وتاليًا يُجاب عليها، بعيدًا عن النسق التقليدي الجاهز الذي غلب فيما مضى على الجو الفكري العام.

**وبما أننا نتحدث عن الغرابة والأغرب**؛ فإني أستغرب جدًّا قلة كتابات الفئة التي تدعي بأنها (ليبرالية) عن الحوادث الطائفية في (القطيف)، أم أنَّ الوطنية الليبرالية لها معاييرُ لم يتنبَّه لها (جون لوك) (ت ١٧٠٤م) صاحبُ الفلسفة (الليبرالية) الأول؟!

## إمبراطورية إيران الإعلامية

**مصطفى حسين، موقع «المثقف الجديد»، (٢٠١٧/٣/١٩)**

**منظومة إعلامية كبيرة أسستها إيران تتدخل في شأن الدول العربية**، ممثلًا بذلك: طبيعة موقف إيران من العرب والأنظمة العربية.

**واجتاحت العرب بحملة إعلامية**؛ من خلال القنوات الفضائية الإيرانية الناطقة بالعربية، والإذاعات، والصحف، ومراكز الدراسات، مستغلة الوضع الأمني الرهان.

**ترتبط مؤسسة الإعلامية إيرانية ارتباطًا مباشرًا إداريًّا** مع مكتب المرشد الخامنئي، ويشرف المرشد ومؤسسة الحرس الثوري على تمويل الإعلام والوزير والمسؤولين الكبار.

**يعمل الإعلام إيراني ممثلًا بعشرات القنوات الفضائية باللغة العربية، والمئات من الوكالات الخبرية، ومراكز الدراسات** على تنفيذ أجندات سياسية تصب في مصلحة إستراتيجية النظام الإيراني التوسعية في الدول العربية، وهذا ثبت من خلال ما تقدمه القنوات الإيرانية من برامج وتغطيات إخبارية لأحداث الوطن العربي.

**تواجد الإعلام الإيراني على الإنترنت والتلفزة يعتبر من الأقوى في العالم**، حيث ينطق بأكثر من ثلاثين لغة وبحسب «رابطة العلماء الأميركيين» يقدر إنفاق طهران على الميزانية السنوية للإعلام الخارجي قد تصل إلى (٩٠٠ مليون) دولار أميركي، وهذا في حين كانت إيران خاضعة للحصار الاقتصادي!

**ويعمل في وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية ما يقارب (٤٥ ألف) شخص**، يمثلون طواقم متكاملة من جميع أنحاء العالم، بهدف: حفظ منافع النظام الفارسي في جغرافية إيران، والسيطرة على الأخبار المعارضة، ونقل الرؤية الإيرانية للعالم.

**تسعى إيران من خلال هذه القنوات والمكاتب الإعلامية التحريضية** -التي تأجيج الوضع الداخلي للدول العربية، وتخلق قلاقل تهدد السلم الأمني- لبسط سيطرتها على دول المنطقة.

**كما تسعى من خلال ما تقدمه من دعم لبعض الجماعات الإرهابية أو المشاغبة في الدول العربية بهدف:** خلق مناصرين ومؤيدين لها في هذه البلدان.

**لكل بلد سياسته في الإعلام، والمؤسسة الإعلامية الإيرانية عبارة عن:** مخطط سياسي وإستراتيجي، يأتي في بداية الأمر بمثابة عمل دبلوماسي ثم توجيهي، وأخيرًا مرحلة تبني الفكرة الإستراتيجية، وله مرتكزات ثابتة، وهذه المرتكزات تتغير تكتيكيًّا حسب تغير الأهداف والظرف السياسي، لكنها لا تغيب نهائيًّا.

**طالما سلك النظام في طهران التقية في جميع مفاصله؛** إلا أن الإعلام الإيراني بجميع مفاصله أصبح مرآة تظهر فيه السياسة الإيرانية وعدوانيته تجاه البلدان العربية بجلاء تام، يظهر من خلال هذا الإعلام: المواقف الإيرانية من مجمل القضايا العربية والإستراتيجية العامة التي تهدف إليها إيران في المنطقة.

**وتبعًا لهذه الإستراتيجية أنشأت إيران -أو موَّلت-** عشرات فضائيات تبث من الأراضي العربية وبأقمار عربية؛ كقناة: «أغانينا، قيثارة الفضائية، بلادي، السلام، الحرة عراق، وبغداد، العراقية، آفاق، الفرات، الفرات (٢)، الإمام الحسن، المرجعية، الفرقدين، أهل البيت –المدرسي- صوت العترة، فرسان العراق، الشعائر، الأوحد، الأنوار -تستعد لإطلاق قناة جديدة باللغة الإنجليزية باسم: أنوار الحسين-، الأنوار (٢)، باقة إيرانية -تحتوى على أربع قنوات-، أي فيلم عربي - (I film Arabi)، أي فيلم انجليزي- (I film English)، الغدير، النبراس، الإمام الحسين، الاتجاه، النعيم، الأضواء، طه، المعارف، فتية كربلاء، البيان، حشدنا، الموقف، الكاظمي، المهدي، المنهاج، الولاء، الإباء، العقيلة، الصراط، الكوت، أهل البيت -تتظاهر بأنها دينية وتقدم برامج إسلامية في الظاهر، ويتم تمرير أهداف الثورة الإيرانية من داخلها-، النجباء، الكاظمي، المرجعية، كربلاء، الأهواز، الحجة، فورتين، المعارف، القمر، الراية، الحجة، الولاية، الدعاء، الإشراق، الثقلين، هدهد-للأطفال-، الأوحد، بالإضافة إلى قناة أهل البيت، وفدك -تقدم برامجها باللغة العربية والفارسية والإنجليزية-.

**تأتي هذه الإمبراطورية الإعلامية في سياق أن إيران تعتبر نفسها بأن لديها جميع ملفات «قيادة العالم الإسلامي»؛** حيث اعتبر مساعد القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية للشؤون الثقافية والاجتماعية حميد رضا مقدم فر، أمام المؤتمر الدولي «دور العالم الإسلامي في هندسة القوى العالمية» إيران المحور الأساس والرئيس لهندسة العالم الجديد، وأكد أنها باتت تتبوأ اليوم مكانة متميزة بين دول العالم الإسلامي؛ حيث بإمكانها أن تقوم بالدور المحوري بين «الشعوب الإسلامية»، لذلك تؤمن إيران أنها تمتلك المؤهلات الفكرية والسياسية والدينية والمستقبلية، وحتى الإلهية (ولاية الفقيه)، واستخدم هذا النظام الإعلام خاصة لترويج ونشر هذه المبادئ.

**لذلك أنشأت إيران عام (٢٠٠٥) وبرئاسة على لاريجاني** -الرجل المقرب من خامنئي، ورئيس البرلمان الإيراني الحالي-: «اتحاد العالمي للإذاعات والتلفزيونات الإسلامية في العالم»، والتي يضمُّ أكثر من (٢١٠) أعضاء من (٣٥) بلدًا من القارات الخمس.

ويعمل هذا الاتحاد تحت الإشراف الإيراني، ويدار بتمويل الدولة الفارسية، كما يخطط ليكون لديه نحو (٦٠) قناة تلفزيونية و(٧٠) إذاعة و(٣٥) موقعًا الكترونيًّا، إضافة إلى مؤسسة إنتاجية وموقع للتبادل الإخباري المصوَّر.

**إيران تحلم بالسيطرة على الدول العربية!** وبعد التطورات التي شهدتها المنطقة والتي تعتبرها طهران واقعة في مجالها الحيوي والإستراتيجي؛ فكثفت رقعة نشاطها الإعلامي بهدف: «تصدير الثورة الخمينية» على شكل أوسع، فكانت عدة قنوات انطلقت منها؛ كقناة «المسيرة» التابعة للإرهابي عبد الملك الحوثي، وأخرى قناة «الساحات» التي تحمل شعار تغطية أخبار ساحات الثورة في اليمن، وقناة «عدن لايف» التابعة للرئيس اليمني الجنوبي الأسبق علي سالم البيض -إلا بعد إعلان دعمه لعاصفة الحزم أخذت إيران قرارًا بإقفالها-.

**كما أسست إيران قناة خاصة بكتائب حزب الله العراق،** تحت عنوان: «الاتجاه»، وأخرى تخص المملكة العربية السعودية، تحت مسمى: «قناة النبأ»؛ التي تهتم بأخبار المنطقة الشرقية، وتعمل لإثارة البلبلة في هذه المنطقة من بوابة الانتماء المذهبي، وقناة أخرى تختص بالشأن البحريني، تحت مسمى: «قناة اللؤلؤة»، وأطلقت قناة «الميادين»؛ والتي تعتبر من أهم محطات التي أسستها إيران ودفعت مصاريفها بشكل كامل.

وتوسعت هذه الإمبراطورية الإعلامية؛ لتكون هناك قنوات أخرى تدار بأموال إيرانية كـ «قناة آسيا»، التابعة لأحمد الشلبي، و«قناة بلادي»، القريبة من إبراهيم الجعفري، و«قناة الفرات»، الناطقة باسم المجلس الأعلى العراقي، بقيادة عمار الحكيم.

**تتمحور الدولة الإيرانية الخمينية على «الثورة الخمينية؛** المتمثلة بـ «ولاية الفقيه»، وتصديرها إلى دول الإقليم؛ لاسيما البلدان العربية، لذلك سخرت إيران زهاء (٥٠) قناة ناطقة بالعربية، وعلى أشكال عدة: ثقافي ودعوي وتعبوي وسياسي، وبرامج أطفال، وإنتاج مسلسلات تاريخية؛ لتصدير الثورة الخمينية.

**ويحارب هذا النظام من خلال هذا الإعلام المنظومات الفكرية والسياسية المخالفة له،** وأخيرًا بشكل ملحوظ ركزت الدولة الفارسية تركيزًا تامًّا في خطابها الإعلامي على بلدان الخليج العربي.

**حين نرى الاستقواء والفرعنة على البحرين بموضوع الادعاءات بملكيتها؛** من خلال خطابها الإعلامي والسياسي اليومي، ويأتي هذا الخطاب بالسعي لتحقيق أهداف التوسعية في قلب الخليج العربي بإشعال النار والفتنة؛ من خلال الإعلام، وتحريض المندسين، حيث خصصت قنوات فضائية وصفحات وسيعة جدًّا في الإعلام الإيراني يتكلم عن مملكة البحرين وعن تشكيل «جمهورية بحرين الإسلامية شيعية»، تابعة لنظام ولاية الفقيه.

**حيث أصبح الغطاء السياسي والإعلامي أبرز أوجه التدخل الإيراني المكشوف في شؤون البحرين الداخلية،** بشكل يصعب إخفاؤه أو التستر عليه، كما لعبت تصريحات المسؤولين الإيرانيين والحركة الإعلامية الضخمة دورًا كبيرًا في تأجيج الوضع الداخلي في البحرين.

**وقد تولى معظم المواقع الإعلامية قيادات الحرس الثوري،** بدء من محسن نبوي لفترة عامين من (١٩٨٧ حتى عام ١٩٨٩)، ومِن ثم أورثها محمد علي أبطحي لمدة ثلاثة أشهر، وبعد ذلك جاء دور شعبان شهيدي مؤدب و تولى الإدارة بين عامي (١٩٨٩ حتى ١٩٩٤)، ومن ثم استلم محمد سرافراز رئاستها منذ عام (١٩٩٤) حتى تاريخ تعيينه رئيسًا لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون عام (٢٠١٤)، و أخيرًا تولى رئاسة هذا القسم ضابط جديد من حرس الثورة المدعو: (محمد أخگري).

**يشرف القسم الخارجي -التابع لمؤسسة الإعلام الإيرانية- على:** المحطات المرئية والصوتية المختصة بمخاطبة الإيرانيين في الخارج، وبشكل أدق بالشعب الفارسي، وأيضًا بالشعوب الأخرى في الدول المحيطة والدول الأخرى.

**وتضم شبكة المحطات التلفزيونية عدة قنوات منها:** «قناة العالم، قناة برس تي في، قناة سحر (١ و٢و٣)، وقناة جام جم (١و٢و٣)، قناة الكوثر، وقناة الأفلام، وهيسبان تي في -باللغة الاسبانية-. وتبث قنوات سحر -ثلاثة قنوات- برامجها باللغات الفارسية، العربية والانجليزية، إضافة إلى الإسباني، البوسنية، التركية، الآذرية، الفرنسية والألمانية.

**وأما فيما يتعلق بالمحطات الإذاعية؛** فإن هذه الدائرة تمتلك نحو (٣٢) محطة إذاعية تبث باثنتين وثلاثين لغة مختلفة هي: الإنجليزية، البوسنية، الألبانية، الإيطالية، العربية، الفارسية، المنغولية، الألمانية، التركية، الروسية، الطاليشية، الأوزبكية، الدرية، الآذرية، الإندونيسية، الهوس، الفرنسية، الأوكرانية، السواحيلي، البشتو، الارانية، التاجيكية، الصينية، الأرمنية، اليابانية، الهندية، البنغالية، الأردية، الإسبانية، الكردية، الجورجية و التركمانية.

**هذا بالإضافة إلى «قناة العالم»؛ التي تعتبر من ضمن القنوات العملاقة في الإعلام،** تبث باللغة العربية، وتمتلك قسمًا ضخمًا للإعلام الخارجي، يضم العديد من القنوات والراديوهات الناطقة بمختلف لغات العالم، وتلعب دورًا مهمًا في ترويج مبادئ ثورة الخميني.

**كما تمتلك إيران ما يفوق (١١ ألف) موقع إلكتروني، و(٢١٠٠) مركز دراسات،** تعمل باللغة العربية لخدمة مشروعها في المنطقة على حساب بلدان العربية، ونشر أيديولوجيتها بين مختلف الأوطان العربية (بالإضافة إلى المئات المراكز والمواقع التي تعمل باللغات الأخرى)، وفقًا لإحصائيات «ويكيليكس».

**المطلوب: أن تعمل دول العرب عامة ودول مجلس التعاون الخليج العربي بشكل خاص** لوضع ضوابط للإعلام المتسلل إلى أمنها القومي أولًا.

وثانيًا: العمل على تغيير المنهج الإعلامي وارتقائه، وتجاوز الإعلام الفارسي المتسلل، وبأسلوب أجدى ومهنية أعلى.

## تأزم العلاقات الإيرانية التركية: الدوافع والآفاق

وحدة الرصد والتحليل، مركز «صناعة الفكر» (٢٠١٧/٣/١٢)

### مقدمة

**تمثل تركيا وإيران قوَّتين إقليميتين صاعدتين،** تمتد مصالحهما إلى خارج حدودهما الجغرافية، في ظل تشابك مناطق النفوذ بينهما؛ خاصة في العراق وسوريا.

**وتشهد العلاقات التركية الإيرانية** تأزمًا غير مسبوق، تمثَّل في: حدة تصريحات القيادة التركية تجاه جارتها ومنافستها إيران، والردود الإيرانية المنفعلة عليها، حيث شملت مواقف القيادة التركية مستويات سياسية عدة، تصدرها الرئيس رجب طيب أردوغان خلال كلمة له في «معهد السلام الدولي» بمملكة البحرين، أكد فيها رفضه لتوجهات البعض لتقسيم سوريا والعراق، وعدم الوقوف مكتوفي الأيدي أمام الظلم الحاصل هناك، وضرورة التصدي للقومية الفارسية في البلدين.

**بالمقابل ردت إيران باستدعاء السفير التركي لديها،** وأبلغته استنكارها وانزعاجها من التصريحات التركية، ثم توالت تصريحات سياسيي البلدين التصعيدية، قبل أن ينعكس لقاء التهدئة بين رئيسي البلدين؛ أردوغان وروحاني، في العاصمة الباكستانية، على هامش قمة «منظمة التعاون الاقتصادي»، بالاتفاق على تحسين العلاقات؛ بحسب وكالة الأنباء الإيرانية.

**أتى هذا التصعيد في العلاقة بين البلدين بعد التدخل التركي العسكري في شمال سوريا** (عملية درع الفرات)، وما نتج عنه من مساندة للجيش الحر السوري بهدف: إقامة منطقة آمنة، وتزامنت هذه التطورات مع تغيرات شهدتها علاقة البلدين مع القوى الدولية، وفي مقدمتها: الولايات المتحدة، بالإضافة إلى انشغال الدولتين في استحقاقين ديمقراطيين مهمين على مستقبل نظامها السياسي والانعكاسات الخارجية، والمتمثلين في: الاستفتاء التركي على التعديلات الدستورية في (أبريل/نيسان) القادم؛ الذي يستهدف: تغيير النظام التركي من برلماني إلى رئاسي، والانتخابات الرئاسية الإيرانية في (مايو/أيار) القادم، والمتوقع أن تشهد تنصيب المرشد الثالث للجمهورية الإيرانية خلفًا لخامنئي.

**تتناول هذه الورقة البحث عن دوافع التصعيد بين البلدين، وظروفه، وآفاقه، والمحددات الحاكمة له:**

**◙ قراءة المستجد في مواقف تركيا وإيران:**

**خلال أسبوع واحد زار زعيما تركيا وإيران دول الخليج العربي،** فبينما زار الرئيس رجب أردوغان كلًّا من البحرين والسعودية وقطر، زار الرئيس روحاني الكويت وعُمان.

**سعى الرئيس التركي خلال الزيارة إلى:** تعزيز التعاون مع دول الخليج؛ التي تواجه تهديدات إيرانية؛ في محاولة منه لتقديم بلاده شريكًا قادر على المساهمة في حفظ الأمن وتبادل المصالح.

**في حين حاول الرئيس الإيراني:** إحداث اختراقات في علاقة بلاده بدول الخليج، بعد أن شهد توترًا معها خلال المرحلة الماضية؛ باستثناء سلطنة عُمان التي تتمتع بعلاقات جيدة مع طهران.

**تعمد الرئيس التركي في أثناء زيارته مملكة البحرين** -التي غالبًا ما تشتكي من تدخلات إيران في شؤونها الداخلية- إلى انتقاد سياسة إيران الطائفية في المنطقة، ودعا للتصدي للقومية الفارسية في العراق وسوريا، وكان الرئيس أردوغان صرَّح -سابقًا- بأن الحشد الشعبي يمثل تهديدًا لأهالي الموصل في العراق ومنهم: التركمان، وقال أن دور هذا الحشد، وما وصفه بـ «التوسع الفارسي» في العراق، ليس بالأمر الإيجابي.

**ردة فعل طهران تمثلت باستدعائها سفير تركيا لديها،** وأبلغته استنكارها الشديد لتصريحات الرئيس أردوغان، لكن أنقرة وعلى لسان وزير الخارجية مولود تشاويش أوغلو -خلال ندوة على هامش المؤتمر الـ (٥٣) للأمن في مدينة ميونخ الألمانية- كررت الانتقادات التركية للسياسة الإيرانية في المنطقة، ووصفتها بالطائفية.

**وهو مصطلح كثر تداوله في الآونة الأخيرة من قبل الساسة الأتراك، بصيغ متعددة؛ منها:** «سياسة إيران الطائفية تقوِّض -للأسف- السلام في عدد من الدول الإقليمية؛ مثل: البحرين والسعودية، وعدد آخر من بلدان الخليج.

**كذلك؛ فإن إيران تسعى إلى تحويل سوريا والعراق إلى دولتين شيعيتين،** وهذا أمر خطير للغاية، ولذلك نحن بحاجة إلى أن

نحث إيران على التوقف عن هذا الطموح الذي يمس بالاستقرار والأمن».

**المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيراني بهرام قاسمي رد قائلًا:** «إن أولئك الذين يدعمون المنظمات الإرهابية، ويتسببون بسفك الدماء، ويمهدون الطريق للتوترات وعدم الاستقرار في المنطقة؛ لا يمكنهم الهروب من المسؤولية من خلال اتهام الآخرين».

**وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف انتقد ما عدها المواقف اللامسؤولة للحكومة التركية تجاه بلاده**، ووصف تركيا بأنها: جارة ذاكرتها ضعيفة وتنكر الجميل؛ حيث يتَّهمون الجمهورية الإيرانية بالطائفية، وكأنهم تناسوا موقفنا في ليلة حدوث الانقلاب العسكري الأخير، وكيف أننا بقينا نتابع الأوضاع حتى الصباح.

**المتحدث باسم الرئاسة التركية إبراهيم كالن صرح قائلًا:** «لا يمكن غضُّ النظر عن جهود إيران للحصول على نفوذ خارج حدودها»، مؤكِّدًا أن بلاده لا تريد تصعيد الموقف مع إيران، لكن «عليها أن تعيد حساباتها».

**وكان مستشار المرشد الإيراني علي أكبر ولايتي صرح:** «أن الشعبين العراقي والسوري سيطردان الجنود الأتراك إذا لم تسحب أنقرة قواتها من تلك الدولتين».

**المتحدث باسم الخارجية التركية حسين مفتي أوغلو، قال:** أنَّ إيران مسؤولة عن التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة، مشيرًا إلى أن النظام الإيراني لا يتورع عن إرسال من لجؤوا إليه بسبب الأزمات في المنطقة إلى ساحات الحروب؛ في إشارة إلى اللاجئين الأفغان والباكستانيين.

**الجدير بالذكر: أن العلاقات التركية الإيرانية** مرت منذ صعود حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام (٢٠٠٢) بمرحلتين:

**الأولى:** استمرت إلى عام (٢٠١١)، تعززت فيها العلاقة بين البلدين، نتيجة حاجة التبادل للمصالح بينهما؛ وخاصة الاقتصادية، في ظل الحصار المفروض على إيران حينها، ورغبة تركيا في أن تمارس دور الوسيط في تسوية ملف البرنامج النووي، وتبنيها دبلوماسية تصفير المشاكل.

**المرحلة الثانية:** بروز التباينات على التفاهمات حول بعض المواقف السياسية، وهو ما أدى إلى اهتزاز الثقة -الضعيفة أصلًا- بين أنقرة وطهران، وتجلت تلك التباينات في مواقف الدولتين من الثورة السورية، وزيادة التدخل الإيراني في شؤون العراق.

**وازدادت العلاقات سوءًا نتيجة التدخل الإيراني عسكريًّا في سوريا**، بقيادة قائد فيلق القدس قاسم سليماني، وحشد إيران للمليشيات الموالية لها؛ «مليشيات حزب الله» من لبنان، و«مليشيات الحشد الشعبي» من العراق، و«ألوية فاطميون وزينبيون» الأفغاني والباكستاني.

**أثرت تلك التوترات في مؤتمر الأعمال**؛ الذي كان مقرَّرًا في الـ (٢٥ من فبراير / شباط) في طهران بين تركيا وإيران، وكان سيمثل تركيا: وزير الاقتصاد نهاد زيبكجي، وسيمثل إيران: وزير الصناعة والتعدين والتجارة محمد رضا نعمت زاده، لكن بسبب التوترات المتصاعدة بين البلدين ألغى زيبكجي رحلته، ثم أُجِّل المؤتمر، وحتى الآن لم تحدَّد مواعيد جديدة.

**◘ نقاط التشابك:**

**تتسم العلاقات الإيرانية التركية بـ:** التباين والتنافس، مع ضعف للثقة بينهما، وتجمعها الجغرافيا والاقتصاد، وتفرقها السياسة والتنافس على النفوذ في المنطقة.

**استطاعت إيران خلال السنوات القليلة الماضية** أن تحدث اختراقات إستراتيجية على حساب جارتها التركية وجيرانها العرب، حيث وجدت تركيا ذاتها العام الماضي محاصرة بالنفوذ الإيراني في كل من العراق وسوريا، في ظل علاقات صعبة مع روسيا من جهة، قبل تحسنها، وفتور في علاقاتها مع شركائها في «حلف الناتو» من جهة أخرى، بالإضافة إلى محاولة انقلاب فاشلة.

**في المقابل حظيت إيران بشراكة مع روسيا في حربها المساندة لنظام بشار الأسد**، وبعلاقات جيدة مع إدارة الرئيس الأمريكي السابق، وحصلت بعد ذلك محاولة لإعادة التوازن في علاقات البلدين الخارجية؛ بعد التفاهم الروسي التركي، وتغير الموقف الأمريكي من إيران وتركيا لحساب الأخيرة.

سوريا: فوجئت إيران بسرعة التفاهمات بين تركيا وروسيا، وتجاوزهما لحادثة إسقاط أنقرة للطائرة الروسية، ومن ثم التنسيق بين البلدين حول خروج المدنيين والمسلحين من حلب، على عكس ما كانت تريد إيران وحلفاؤها (نظام بشار الأسد والمليشيات الشيعية)؛ من الاقتحام العسكري والقضاء عليهم.

ومن ثم جمعت تركيا الروس بقيادة المعارضة السورية، وتكلل الاجتماع باتفاق أنقرة، وبعدها أشركت روسيا إيران إلى جانب تركيا في اجتماعات موسكو؛ التي ضمت وزراء خارجية ودفاع البلدان الثلاثة، وتوج بإعلان موسكو الذي دشن حوار المعارضة مع النظام السوري -لاحقًا-، في مؤتمر (أستانة) و(جنيف٤)، وهو ما شكل بداية لعودة النفوذ التركي في سوريا.

العراق: خلال العام الماضي تصاعدت حدة الانتقادات الإيرانية لوجود قوات تركية داخل الأراضي العراقية في معسكر «بعشيقة»، ويرى بعض المراقبين: أن إيران كانت وراء رفض حليفتها الحكومة العراقية مشاركة القوات التركية في الحرب على تنظيم داعش في مدينة الموصل العراقية.

بدورها رفضت تركيا خروج قواتها؛ متعللة بخطر وجود المليشيات الكردية على حدودها، ورفضت مشاركة مليشيات الحشد الشعبي في المعركة، وطالبت قوات التحالف الدولي بمنعه من دخول الموصل ومدينة تلعفر التي فيها التركمان.

واتهمت تركيا الحكومة العراقية بتبني سياسة طائفية، وممارسة انتهاكات ضد أهل السنَّة، وإقصائهم، وترى في مليشيات الحشد الشعبي أداة إيرانية تهدد مصالحها.

* الدوافع:

◘ الدوافع التركية:

● المحافظة على مصالحها الإقليمية، وتحجيم النفوذ الإيراني في المنطقة:

منذ فوز «حزب العدالة والتنمية» برئاسة الحكومة في العام (٢٠٠٢) بدأت السياسة الخارجية تولي اهتمامًا بمحيطها الجنوبي، ومع مماطلة مفاوضاتها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي اتجهت أكثر تجاه المنطقة العربية، واستطاعت تقوية علاقاتها بدول المنطقة؛ مع تبنيها سياسة تصفير المشاكل.

لكن دعم تركيا لثورات الربيع العربي عقَّد علاقاتها ببعض دول المنطقة؛ إلا أن تدخل إيران العسكري الفج في سوريا، ودعمها للحوثيين في اليمن -ومن قبل في العراق-، وكذلك زيادة حدة التصريحات الإيرانية المستفزة تجاه دول الخليج؛ أسهمت في عودة التحسن إلى العلاقة التركية الخليجية.

● تعزيز علاقتها السياسية والاقتصادية والأمنية بدول مجلس التعاون الخليجي العربي:

تحتاج تركيا إلى علاقات إيجابية مع دول مجلس التعاون الخليجي، على غرار علاقتها بدولة قطر؛ تمكنها من استقطاب الاستثمارات الخليجية.

فتركيا تعتقد: أن تبنيها سياسة حادة تجاه إيران سيعزز من علاقتها بدول الخليج؛ وخاصة المملكة العربية السعودية، وتنعكس -أيضًا- على عقد بيع صفقات أسلحة لدول الخليج، المشهورة بكثرة الإنفاق العسكري.

● استغلالها للتغير في سياسة الإدارة الأمريكية الجديدة:

تسعى تركيا إلى استغلال فرصة التغير في سياسة الإدارة الأمريكية الجديدة تجاه إيران؛ التي قد تعمل على كبح طموحات إيران التوسعية، وتُضيِّق حجم نفوذها بالمنطقة.

◘ الدوافع الإيرانية:

■ المحافظة على نفوذها في المنطقة:

ترى إيران: أن أي مرونة تجاه تركيا ستقلل من إنجازاتها التي حققتها خلال الفترة الماضية في العراق وسوريا، وينعكس سلبًا تجاه حلفائها، في مقابل عودة حظوظ أسهم تركيا وحلفائها؛ وخاصة في سوريا ودول الخليج العربي.

■ خشية إيران من تعزيز العلاقات التركية مع دول الخليج:

تخشى طهران من تعزيز علاقة أنقرة بدول الخليج العربي؛ وعلى وجه التحديد المملكة العربية السعودية، لذا تحاول تطويق تركيا والحد من مكانتها، لإدراكها بخطورة التقارب والتنسيق بين تركيا ودول الخليج العربية على مصالحها في المنطقة.

**كما تعمل على تبني سياسة مراوغة**؛ لتقريب تركيا منها، ومنع تحولها إلى خصم جديد.

### ◘ محددات حاكمة للعلاقات بين البلدين:

**تتوافر عدة محددات ثابتة ومتغيرة** تحكم مستوى العلاقات التركية الإيرانية في حالتي: التصعيد والتفاهم، منها: جغرافية الحدود المشتركة، وملف الأكراد، والاقتصاد والطاقة، وتطلعات البلدين الخارجية -وقد سبق بيان بعضها في الدوافع أعلاه-.

**الجغرافيا**: تجمع الجغرافيا بين تركيا وإيران في حدود مشتركة تبلغ نحو (٥٠٠ كم)، وتتشارك الدولتان خطر احتمالية تمكن الأكراد من إقامة «كردستان الكبرى» على المنطقة الحدودية بينهما وأجزاء من العراق وسوريا.

**وهو ما يفرض على البلدين** استمرارية التنسيق والتعاون بينهما؛ ولو بالحدود الدنيا، التي تمنع الأكراد من استغلال أي فرصة لإقامة دولتهم على حساب البلدين.

**الاقتصاد**: بلغت قيمة التبادل التجاري بين إيران وتركيا (٨ مليارات و٤٠٠ مليون و٤٠٠ ألف) دولار خلال الشهور العشرة الأولى من العام الماضي (٢٠١٦)، وهو ما سجل انخفاضًا بلغ (٢١٥ مليونًا و٨ آلاف) دولار خلال الفترة المشابهة من العام الماضي.

**ووفقًا للمعهد الإحصائي التركي**؛ فقد بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين (٩.٧ مليارات) دولار خلال عام (٢٠١٥).

**الغاز الإيراني**: تستورد تركيا عشرة مليارات متر مكعب من الغاز الطبيعي من إيران سنويًّا، أي: نحو خمس احتياجاتها السنوية، وكان رئيس شركة «الغاز الوطنية الإيرانية» صرح: أن إيران ستخفض سعر تصدير الغاز الطبيعي إلى تركيا (١٣.٣) بالمئة، وتدفع إلى أنقرة (١.٩ مليار) دولار تعويضًا، عقب قرار محكمة تحكيم دولية.

**يأتي التصعيد التركي بعد أن أوشك فصل الشتاء على الانتهاء، وعودة العلاقة مع روسيا**، وهو ما يقلل من خطر انقطاع الغاز الإيراني في هذه الفترة، مع إدراك الحاجة المتبادلة إلى تحسن العلاقة وانعكاسها على قيمة التبادل التجاري بين البلدين، في ظل تشدد سياسة الولايات المتحدة بعهد الرئيس ترامب تجاه إيران.

### ◘ آفاق العلاقات بين البلدين:

**في ضوء طبيعة العلاقات التركية الإيرانية**، ورصد المواقف الأخيرة ودوافعها، وتحليلها، مع استحضار المحددات الحاكمة للعلاقة بين الدولتين؛ يكمن أفق العلاقة بين التصعيد والاحتواء كما اعتادت الدولتان، مع بقاء التباين تجاه القضايا والمصالح والتنافس على النفوذ.

### ◘ السيناريوهات:

#### الأول: التصعيد:

**قد تسعى قيادة أحد البلدين أو كليهما إلى تصعيد المواقف، بهدف**: الاستقطاب الإقليمي، وتعزيز النفوذ، وصرف الاستحقاقات الداخلية باتجاه الخارج.

**إلا أن إمكانية تحقق هذا السيناريو ضعيفة**؛ نظرًا لطبيعة المرحلة التي يمر بها البلدان، في ظل تشاركهما في علاقات دولية متوترة مع القوى الدولية، ولكن شريطة: تجنب الاحتكاك المباشر بين الدولتين في العراق أو سوريا.

#### الثاني: الاحتواء:

**قد يسعى البلدان إلى احتواء الأزمة**، واستمرار التعاون بينهما في تبادل الاحتياجات الثنائية اقتصاديًّا، والتنسيق السياسي في بعض القضايا المتعلقة بالمصالح المشتركة.

**إلا أنه من المتوقع أن تبقى الأسباب الرئيسية المتعلقة بالنفوذ تثير المشاكل بينهما طرديًّا**، مع تطور إمكانيات البلدين الصاعدين، ورغبتهما في توسيع نفوذهما في ظل محيط عربي هش، تمزقه الحروب والاستقطابات الإقليمية.

**ما يعزز هذا السيناريو**: انشغال الدولتين بشؤونهما الداخلية خلال المرحلة المقبلة، وتغير علاقات الدولتين بمحيطيهما الإقليمي والدولي؛ خصوصًا أن القوى الدولية لا تفضل صعود أي منهما، بالإضافة إلى مرونة السياسة التركية وقدرتها على الموائمة بين علاقاتها مع دول الخليج؛ وخاصة المملكة العربية السعودية من جهة، وإيران من جهة أخرى، مع تأكيد استمرار تباين موقف الدولتين من قضايا المنطقة، وتناقض مصالحهما، والتنافس على النفوذ.

## تضامن القاعدة وإيران.. واقع ينفيه الطرفان (تقية)

صحيفة «العرب» اللندنية، (٢٠١٧/٧/٣)

**(خلاصة بحث علي عبد العال: (موقف القاعدة وداعش من إيران)،** ضمن الكتاب (١٢٤)، (إبريل ٢٠١٧) «إيران والإخوان الشيعة القطبيون»، والصادر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث - دبي).

**الصلة التي تجمع التنظيمات الإسلامية المتطرفة** -وإن اختلفت مذاهبها- لا تحتاج حججًا وبراهين، بل تؤكدها الوقائع، وصلة إيران بأغلب التنظيمات الإرهابية -حتى التي لا تقاسمها المذهب- لا تحتاج جهدا لبيانها.

**فلول تنظيم القاعدة الهاربة من أفغانستان مطلع الألفية** وجدت الملاذ في إيران، قبل التوجه للعراق للمساهمة في توسع الحريق بعد حدث (١١ سبتمبر ٢٠٠١)، ثم سقوط العراق تحت الاحتلال في العام (٢٠٠٣).

**استقبلت السلطات الإيرانية لجوء أُسر تنظيم القاعدة إلى أراضيها «بهدوء»؛** على حد وصف مصطفى حامد أبي الوليد المصري -مؤرخ القاعدة، ومنظر المجاهدين العرب-، «وعرضت عليهم تسهيل عبورهم إلى خارج البلاد»..

**ثم وضعت أسرة أسامة بن لادن وبعض القيادات رهن الإقامة الجبرية** بمجمع سكني في طهران، تشرف عليه استخبارات الحرس الثوري، بينما هرب داخل إيران من هرب، وآوت المناطق السنية في بلوشستان أعدادًا أخرى.

**كانت إيمان -ابنة أسامة بن لادن- قد هربت من حراسها الإيرانيين،** في شهر (ديسمبر ٢٠٠٩)، ولجأت إلى السفارة السعودية في طهران؛ فاستضافتها السفارة لأكثر من ثلاثة أشهر ونصف الشهر، إلى حين مجيء والدتها نجوى الغانم من سوريا، فوصلت إلى طهران في مارس (٢٠١٠)، وقامت مع ابنتها بمراجعة الدائرة المختصة بالأجانب، ثم سافرتا إلى سوريا على متن رحلة تجارية.

**وأما أم حمزة -وهي إحدى زوجات ابن لادن، وهي: خيرية صابر-؛** فقد وصلت إلى باكستان، ثم تولى وسيط من «القاعدة» إيصالها إلى المجمَّع السكني في «أبوت أباد»؛ حيث كانت تقيم مع زوجها إلى حين مقتله في مايو (٢٠١١)، ولكنها لم تكن الخيط الذي أوصل الأميركيين إليه، ربما لأنهم لم يتتبعوا تحركاتها، أو لأنهم فقدوا أثرها في باكستان.

**وطبقًا لرواية مصطفى حامد؛** فإن إيران خلال حوالي عام بعد الغزو الأميركي عام (٢٠٠١) اتبعت سياسة «الباب المفتوح» إزاء الذين فروا من أفغانستان، ولقد سمح الإيرانيون للعرب وعائلاتهم بدخول البلاد، «حتى أنهم عرضوا المساعدة على بعضهم».

**ويضيف موضحًا:** «في الواقع فإن بعض رجال الدين الشيعة تحمسوا لإيواء العرب في إيران وحمايتهم وعدم تسليمهم، وقد جابهتهم معارضة معاكسة، فظهرت كتابات رأيناها على بعض الجدران في طهران تدعو إلى إبعاد العلماء الشيعة الطلبانيين إلى أفغانستان!

**وأقول -أيضًا-:** إن هؤلاء قدموا دعمًا مهمًّا غير منظور للعرب في زاهدان وطهران».

**أما العبور الثاني؛** فيحكي قصة المرور الطوعي لبعض المقاتلين، بهدف: الوصول إلى العراق عبر إيران؛ للتصدي للغزو الأميركي الذي كان متوقعًا للعراق.

**ففي إطار حكايته عن قصة خروج أبي مصعب الزرقاوي من أفغانستان إلى العراق مع مجموعته؛** حكى سيف العدل -المسؤول الأمني في القاعدة، واسمه: محمد صلاح الدين زيدان، وهو مصري الجنسية-، قائلًا: «الأميركان لمسوا أن الإيرانيين يغضون الطرف عن نشاطنا في إيران؛ فبدأوا بشن حملة إعلامية مركزة على إيران، وبدأوا يتهمونها بأنها تساعد القاعدة والإرهاب العالمي».

**يضيف سيف العدل:** «كانت ردة فعل الإيرانيين: أن بدأوا بملاحقة الشباب واعتقالهم، والبدء بعملية ترحيلهم إلى أوطانهم السابقة، أو إلى حيث يريدون، المهم: أن يخرجوا من إيران».

**وتابع:** «الخطوات التي اتخذها ضدنا الإيرانيون أربكتنا، وأفشلت (٧٥) بالمئة من خطتنا! تم اعتقال العدد الأكبر من الشباب: مجموعة أبي مصعب الزرقاوي، تم اعتقال حوالي (٨٠) بالمئة من أفرادها، كان لا بد

من وضع خطة سريعة لخروج أبي مصعب والإخوة الذين بقوا طلقاء معه، الوجهة كانت: العراق، الطريق: الحدود الشمالية بين العراق وإيران، الهدف كان: الوصول إلى مناطق السنة في وسط العراق، والبدء بالتحضير والبناء لمواجهة الغزو الأميركي وهزيمته -بإذن الله-.

**وقد تمكنَّ أبو مصعب الزرقاوي مِن الهرب،** مع الإخوة من إيران، بِخطة ومكيدة مُحكمة -يسرها الله ﷻ-».

**أخيرًا، يحكي أبو الوليد المصري مفصلًا؛ فيقول:** «بعض العرب وافقوا على أن تشرف السلطات الإيرانية على عبورهم للحدود، أو أن تسلمهم لحكوماتهم -حسب رغبة بعضهم-؛ خاصة الجدد الذين وفدوا إلى أفغانستان في وقت متأخر، وليست لهم سوابق جهادية، فأسكنتهم في فندق كبير في طهران إلى أن تسلمتهم حكوماتهم، تحت إشراف «الأمم المتحدة»؛ كنوع من الضمانة».

**لكن فر بعضهم «خوفًا من أن تسلمهم إيران لحكومات بلادهم؛** على خلاف ما يرغبون هم فيه، فتفرقوا في مدن مختلفة كي يختبئوا فيها، وتم إلقاء القبض عليهم في فترة لاحقة، وحدث القليل من الاشتباكات المسلحة، فأودعوا السجون».

**ويعتقد أبو الوليد (مصطفى حامد):** أن هؤلاء الذين بقوا في إيران وقد أذيع أن من بينهم قياديين في القاعدة والجهاد الإسلامي في مصر، وآخرين لديهم مكانة أو خبرات مميزة، قد تم التحفظ عليهم هناك كأوراق للمساومة، فهم «يعاملون كأوراق لعب، وإيران تريد أن تستخدمهم لعقد صفقة».

**كما يرى:** «أن القاعدة كانت تريد الارتباط بإيران، ولكن لأهداف مختلفة، لقد أرادت: أن تنشئ خطوط عبور خاصة بها عبر البلد.. القاعدة حاولت إيجاد خطوطها الخاصة صوب أفغانستان؛ دون علم الحكومة الإيرانية، وعبر بلوشستان».

**كان من بين مَن خرج: أُسر قيادات في التنظيم:** أسرة أسامة بن لادن، وفيهم إحدى زوجاته (خيرية صابر)، برفقة ابنها حمزة، وابنته فاطمة -بنت أسامة بن لادن-، برفقة زوجها سليمان أبو غيث، وسعد وعثمان وبكر وإيمان أبناء ابن لادن من زوجته الأولى نجوى الغانم، إضافة إلى أحفاده من ابنه سعد وهم: أسامة وأسماء وضُحى.

ومن القيادات: أبو الخير المصري، والمسؤول الشرعي أبو حفص الموريتاني، والمسؤول الأمني سيف العدل، ومصطفى حامد أبو الوليد المصري، وسليمان أبو غيث، وغير هؤلاء.

**يروي أبو الوليد المصري قصة فرار مجموعات من الأُسر -وكان يقودهم «شاب عربي» لم يسمه-؛ فيقول:** «نجا بصعوبة هو ومن معه من النساء والأطفال (عرب وأستراليين)، ثم عبر الحدود إلى باكستان، وبعد عدة أشهر نجح في الاتصال بعدد من السكان البلوش الإيرانيين السنة في مدينة زاهدان الحدودية، ورتب معهم بيوتًا للعرب المنهكين؛ الذين عبروا الحدود مع المهربين.

**فاختبأ العرب المرعوبون في بيوت البلوش؛** الذين قدموا لهم كل دعم ممكن من جهد المقلين، إلى أن ضج العرب من الكلفة النفسية للاختباء في أماكن ضيقة ومزدحمة؛ فطلب قادتهم من عبد الله الاتصال بالمسؤولين الإيرانيين للتفاوض (للاستسلام)».

## سوق «الشأن الإيراني»

د. مدى الفاتح، «القدس العربي»، (٢٠١٧/٦/٢١)

**منذ بزوغ نجم إيران كأحد اللاعبين الرئيسيين في المنطقة،** وتجاوزها لمساحتها وحدودها لما يصل إلى ما هو أبعد منذ ذلك العهد؛ الذي يمكن التأريخ له بحرب الخليج الأولى: ازدهر في العالم العربي «سوق المتناولين للشأن الإيراني»؛ فظهرت الكتابات والإسهامات التي حاولت إلقاء الضوء على ما وصف بأنه من أهم تحديات القرن!

**هذه «البضاعة» التي وجدت رواجًا كبيرًا كان الكثير منها -للأسف!- مغشوشًا!** لكن ذلك لم يمنع استهلاكها أو الترويج لها؛ لما تحمله من رسائل، ربما لأنه لم تكن هناك رؤى منافسة أو بديل منهجي.

**البضاعة المغشوشة تلك لم يسلم منها الاتجاهان المتناقضان:** الاتجاه الذي يتعامل مع إيران كتحدٍّ جادٍّ، والآخر الذي يتعامل معها كقبلة للممانعة.

**ما يشغلني في هذا المقال ليس الاتجاه الثاني؛** الذي وجد رواجًا إبان الدعاية التي صاحبت حرب (٢٠٠٦) في لبنان، وما تم

الترويج له -آنذاك- من انتصار لميليشيات المقاومة «الشيعية» المدعومة من طهران، ذلك الاتجاه الذي انحسر إثر تدخل هذه «المقاومة» في سوريا، ومشاركتها في نصرة النظام، وفي الحرب ضد الشعب هناك.

**وإنما سنتعرض هنا لبعض الإشكالات المرتبطة بالاتجاه الأول:** المندد بالمشروع الإيراني، وهي إشكالات متنوعة بحسب حالة أصحابها، من هؤلاء -مثلًا- من تسيطر عليه فكرة وحيدة، وهي: أن إيران إنما تستهدف عقيدة أهل السنة، وأنها تريد: نشر التشيُّع، وتخريب الدين الصحيح.

**هذا الرأي لا يخلو من صحة بالتأكيد،** ولكن الاكتفاء بترديد مثل هذه العبارات الفضفاضة يقود في نهاية المطاف لتسطيح الصراع!

**أصحاب هذه النظرة** -وتهربًا من مناقشات واقع القرن الواحد والعشرين؛ الذي هو واقع معقَّد ومربك ومتشابك-، يلجأون إلى التنقيب في كتب التاريخ، واستعادة وقائع الدولة الصفوية؛ من أجل إثبات الصراع التاريخي بين الشيعة وعموم أهل السنة.

**استلهام التاريخ مفيد، ولكن المشكلة تكمن في:** فقدان القدرة على الربط بين التاريخ وما هو قائم بين يدي الناس، ولذلك فإن أصحاب هذا الطرح يعجزون في كثير من الأحيان عن تبيان السبب الذي يجعل إيران تدعم حركات المقاومة ضد الكيان الصهيوني، وهنا سوف تشمل المقاومة «حزب الله»، ولكن -أيضًا- وإن كان بدرجة أقل «حركة حماس» السنية.

**لن يفسر طرح الهوس «الصفوي» بملاحقة أهل السنة علاقة إيران بتركيا الدولة السنية الناهضة،** وما تحمله في طياتها من وشائج اقتصادية، رغم الاختلاف حول بعض ملفات المنطقة، كما لن تفسر الكثير من تحركات طهران التي ظلت لعقود مناهضة للغرب، عكس بعض دول «السنة» التي كانت -وما تزال- تفتخر بكونها من حلفائه.

**بالمقابل؛ نجد أن هناك طرحًا آخر مبنيًّا على نقد تلك المدرسة الأولى،** وهو طرح يدَّعي المهنية والروح الأكاديمية، ويقوده في كثير من الحالات بعض الذين درسوا أو ترددوا لفترات طويلة على إيران.

**خلاصة هذا الطرح نجدها في مخرجات بعض مراكز البحوث والدراسات؛** التي يمكن وصفها بالخالية من الدسم! لأنها رغم ما تقدمه في كثير من الأحيان من أطر موضوعية ومنهجية إلا أنها تتعمد -مدعية التسامي عما هو طائفي-: أن تتجاهل البعد العقدي للتحركات الإيرانية، فتكتفي بالتركيز على الجوانب السياسية، وكأنها تتناول بلدًا علمانيًّا أو ملحدًا لا مكان للعقائد فيه!

**من المؤسف انتشار مثل هؤلاء الباحثين في بعض المراكز؛** التي وجدت أساسًا لمجابهة الخطر الإيراني، فإذا بهم يسعون لإقناعنا بأن «الجمهورية الإسلامية» ليست سوى مجرد دولة «عادية»، تبحث عما يدعم اقتصادها ويعزز أمنها!

**المدرستان تقدمان رؤية مضللة وغير واقعية، وتخدمان بشكل غير مباشر السياسة الإيرانية في المنطقة،** فالأولى المرتكزة بشكل وحيد على صراع السنة والشيعة، والتي تلقى قبولًا ورواجًا كبيرًا عند شرائح اجتماعية واسعة؛ يتم الاستدلال بها من قبل طهران على ضيق أفق العرب، وهوسهم الطائفي غير المبرر.

**أما الثانية -والتي هي على النقيض-؛** تتحدث عن تنافس سياسي مجرد مع السلطة التوسعية في إيران، فتجد تشجيعًا من قبل الأخيرة رغم ما تقدمه من نقد لاذع -أحيانًا- لسياستها، بسبب أنه اتجاه يبدو قابلًا للنقاش والالتقاء عند نقطة المنتصف، طالما تم تحييد العامل الديني.

**هذا هو السبب في أن إيران تفضل دعوة أمثال هؤلاء لحلقاتها البحثية وملتقياتها الحوارية،** كما ترحب بهم إذا كانوا يريدون تغطية أحداث مهمة؛ كالانتخابات الإيرانية -مثلًا-، وحينها سيذهب هؤلاء وسيحدثوننا عن «صراع الأجنحة» وعن «العرس الديمقراطي» في إيران، كما سنرى تغطيتهم السطحية لفرحة الشارع بفوز «الإصلاحي» روحاني، وربما يحدث أن يلتقطوا صورًا في ذلك الشارع مع العامة فرحًا بفوز «رمز الاعتدال»!

**إلا أن هذا ليس كل شيء، فهناك ضمن هذا السوق الكبير:** دجالون يتم تقديمهم كخبراء ومتخصصين في الشأن الإيراني، وهم في حقيقتهم: مجرد ديكور يعمل على إكمال المشهد؛ بإضفاء صبغة تبدو وكأنها علمية عليه، في حين أن كل ما يقولون ليس سوى دعاية! دعايات عن ضعف إيران وترنحها الاقتصادي، ومشكلاتها الداخلية المعقدة، رغم أن كل من عنده نظر لن يستطيع منع نفسه من التساؤل البسيط:

إيران بهذا الضعف قد احتفلت بوضع أربع عواصم عربية في جيبها، فما بالك لو كانت في أحسن حالاتها؟

**من أهم مشكلات هذا الدجل: الخلط بين التحليل والخبر،** فلا شك أنه يجب ألا يحجر على رأي أي شخص، وعلى رؤيته وتحليله مهما بدا للآخرين غير مقنع، إلا أن الأخبار شيء آخر؛ فهي لا تقبل أن تؤخذ من أكثر من زاوية، ولا يمكن لحدث أن يكون خبرًا إلا إذا كان موثقًا.

**من أمثلة ذلك الخلط:** الخبر «العاجل» الذي تناقلته عدة منابر إخبارية تابعة لمحور «الاعتدال» عن تدخل الحرس الثوري الإيراني لحماية الأمير القطري، إثر الأزمة مع دول الخليج المجاورة.

**كان من الواضح أن مصدر الخبر هو: أحد «الدجالين»؛** الذين أرادوا ركوب الموجة التي كانت تروِّج لعلاقة «خاصة» بين الدوحة وطهران، وانطلاقًا من هذا لم يستبعد «المصدر» تدخلًا إيرانيًّا مباشرًا، ووصولًا للحرس الثوري إلى قصور الإمارة، وهو ما تم تناقله ليس على كونه تخمينًا أو مجرد تحليل، بل كخبر عاجل في سياق مجموعة من الأخبار المفبركة الهادفة للتحشيد والتهييج!

**مثال آخر على فوضى الخلط هذه:** ما تعلق بتحليل العمل الإرهابي الذي استهدف العاصمة الإيرانية مؤخرًا؛ حيث تجاهل كثيرون إعلان تنظيم «الدولة» مسؤوليته، مركزين على فرضية وحيدة، وهي: أن هذا العمل معد من قبل إيران، ومشكلة هذه الفرضية أنها تمنع مناقشة الأسباب الموضوعية التي جعلت «التنظيم» يتجه لاستهداف العمق الإيراني، في سابقة هي الأولى من نوعها.

**مع تجاهل ذلك تتناسل نظريات المؤامرة المترابطة والمتناقضة التي تربط إيران بالتنظيم،** وتكاد تجزم أنها قد سهلت له هذه الضربة للاستفادة منها إعلاميًّا.

**إيران بالنسبة للبعض من الضخامة** بحيث يستبعدون حدوث أمر داخل أو خارج حدودها، دون تخطيطها وعلمها المسبق.

**من الحقائق الموضوعية -على كل حال-:** أن الحرس الثوري قد يكون المستفيد الأكبر من هذا الحادث، وبالنظر إلى دخول هذه المؤسسة في منافسة لإثبات الأهمية مع أجنحة أخرى نافذة داخل السلطة الإيرانية، يبدو ذلك أمرًا مهمًّا.

**هذه المنافسة يدلل عليها:** تصريح أخير لعلي لاريجاني -رئيس البرلمان- عن اختلاف وجهات النظر حول دور الحرس الثوري.

**ربما يكون الحرس هو المستفيد الأكبر من هذه الأحداث؛** التي جعلته يرد على المشككين بأهمية الدور الذي يلعبه في المنطقة؛ خاصة تجاه تسليح وتجنيد «الحلفاء» في جزيرة العرب. أو لعلها تكون -كما وصفها البعض- مجرد مسرحية لإثبات قدرة الحرس الثوري؛ الذي وصل بسرعة إلى مكان الحادث وقتل الإرهابيين، وهو ما سيمنح المؤسسة حرية أكبر في التحرك والتسلط، دون أن تجد معارضة؛ خاصة من جهة البرلمانيين الذين يشعرون تجاهها ببعض الغيرة.

**كل هذا سيحدث؛ حتى إن لم يكن هناك تنسيق فعلي مع التنظيم؛** الذي اعتدنا على قيامه بتحركات متهورة وغير مدروسة، فلم يخطر ببال المنفذين -مثلًا- أنه قد ينتج عن عملهم هذا مزيد من الإجراءات القمعية تجاه المناطق السنية التي تعاني مسبقًا من التمييز.

**كل ذلك يبقى في دائرة الاحتمال، الشيء الوحيد المؤكد هو:** استفادة إيران من ذلك الحدث، وتوظيفه لتبرير وجودها في كل من سوريا والعراق، باعتبارها قد صارت معنية بخطر الإرهاب وليست مجرد طرف ثالث.

**المهم هو:** أن يبقى الاحتمال احتمالًا، والتحليل تحليلًا، والخبر خبرًا، ويا له من أمر صعب في زمن الاستقطاب الحاد الذي نعيش فيه!

> **طابور إيران الخامس: «آيات الله» الصغار في مصر**
>
> **شريف عبد الحميد، قناة «المحمرة»، (٦/٧/٢٠١٧)**

**للنظام الإيراني «طابور خامس» من السياسيين والإعلاميين والمثقفين في العالم العربي،** هم بمثابة «أبواق طهران» المدافعين عنها وعن مواقفها السياسية في كل المحافل والمناسبات؛ حيث لا يتورع «آيات الله» الصغار هؤلاء عن دعم نظام «الملالي» بكل قوة؛ على الرغم مما ارتكبه هذا النظام من مذابح في حق المواطنين العرب في سوريا والعراق واليمن، وفي غير بلد عربي، في سياق الحرب الطائفية التي تشنها طهران من منطلقات طائفية محضة ضد أهل السنة؛ سواء في داخل إيران أو خارجها.

**وتعد قيادات حزب «العمل» المصري** أحد أهم القوى السياسية التي حرصت على تأييد إيران، والتواصل معها بشكل دائم منذ منتصف عقد الثمانينيات من القرن الماضي، ما جعل الحزب وصحيفته «الشعب» صوتًا مدافعًا عن سياسة طهران في كل مناسبة.

**ووفق الكاتب والباحث أسامة الهتيمي كان من بين أهم مظاهر العلاقة الإيرانية المتميزة بحزب «العمل»:** أن أصدر الحزب الكثير من الكتب والدراسات التي تتحدث عن كون الدولة الإيرانية «نموذجا للنهضة والتنمية»، يجب أن يُحتذى في مصر والعالم العربي!

### ○ الرابط الخفي:

**ثمة رابط خفي** بين هذا التوجه الذي تبناه حزب «العمل» تجاه إيران، وبين تولي المستشار الدمرداش العقالي منصب نائب رئيس الحزب حتى عام (١٩٨٥)، وكان «العقالي» قد أصبح شيعيًّا في السبعينيات من القرن العشرين، ووجد لنفسه موطئ قدم في قيادة حزب سياسي كبير نسبيًّا، ما دفع الحزب إلى تبني وجهات النظر الإيرانية حيال القضايا المطروحة في العالم العربي.

**وتصاعد تحكم إيران في مقدرات حزب «العمل»** بعد تولي الكاتب الراحل عادل حسين منصب الأمين العام للحزب؛ حيث اتهمته السلطات المصرية صراحةً بالعمل لحساب إيران، وبأنه أداة التواصل بين الدولة الإيرانية وعناصر الجماعات الأصولية المسلحة، وتم احتجازه لنحو (٤٥) يومًا.

**وبعد ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١) واصل حزب «العمل» بقيادة مجدي أحمد حسين تأييد طهران على طول الخط،** من خلال موقع صحيفة «الشعب» على شبكة الإنترنت؛ فضلًا عن المؤتمرات الجماهيرية التي كان يعقدها الحزب في المسجد الأزهر كل يوم جمعة، والتي كانت تتضمن خطبًا وكلمات لقيادات الحزب تدعم وتؤيد السياسات الإيرانية.

**وأسس مجدي أحمد حسين حزبًا جديدًا، تحت اسم:** «حزب العمل الجديد»، تغير فيما بعد إلى «الاستقلال»، متخذًا له مقرًّا فخمًا في حي «جارن سيتي» -أحد أرقى وأهم أحياء القاهرة-، وهو أمر غريب إذا علمنا أنه كان يدير الحزب في السابق من شقة متواضعة بحي «المنيل»! كما استبدل الرجل سيارته القديمة من ماركة «شاهين» بأخرى من موديل حديث، كما زار طهران أكثر من مرة.

**وحسب الهتيمي؛ فقد عكست اللقاءات التي عقدها مجدي حسين في طهران حجم التقدير الإيراني له،** وأن طهران لا تتعامل معه باعتباره زائرًا عاديًّا، إذ التقى حسين -وفق مقال كتبه ونشره في صحيفة «الشعب»- كلا من وزير الخارجية علي أكبر صالحي؛ الذي استقبله استقبالًا حافلًا، وجلس معه قرابة الساعة، وفي تصرف «غير بروتوكولي» -بتعبير حسين نفسه- أصر الوزير على مصاحبته إلى الممر الخارجي المفضي إلى المصعد.

**كما التقى حسين -أيضًا- الدكتور علي لاريجاني** -رئيس مجلس الشورى-؛ والذي رحب به ترحيبًا شديدًا.

**وعندما زار الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد مصر؛ التقاه حسين،** وأثنى خلال اللقاء على «الدور الإيراني» في المنطقة العربية، واصفًا طهران بأنها: «راعية المقاومة الفلسطينية»! كما صرح حسين خلال لقائه مع سعيد جليلي -أمين المجلس الأعلى لمجلس الأمن القومي الإيراني- في العاصمة الإيرانية طهران بأن: «الشعب المصري استلهم ثورته من الثورة الإيرانية».

**وثمة حديث متكرر يتردد في أروقة الحزب عن تشيع مجدي حسين،** استنادًا لبعض الأفكار التي يطرحها في الندوات واللقاءات التثقيفية الخاصة بأعضاء الحزب وكوادره، وهناك من يصر على أنه تشيع بالفعل، ومن بين هؤلاء: الصحفي أسامة عبد الرحيم؛ الذي كان ناشطًا في الحزب، كما عمل -أيضًا- في صحيفة «الشعب» الإلكترونية؛ إذ يقول: «بعد وفاة عادل حسين أحضر المستشار الدمرداش العقالي مرجعًا شيعيًّا إيرانيًّا اجتمع مع مجدي حسين، وهو من قام بدعوة مجدي للتشيع».

**أما الكاتب الدكتور رفعت سيد أحمد -أحد قادة حزب «العمل» سابقًا-** فهو يشرف على لجنة دعم المقاومة الإسلامية في الجنوب اللبناني برئاسة «حزب الله»، ويرأس «مركز يافا للدراسات»؛ الذي تموله جهات شيعية، والذي يُصدر العديد من الدوريات والكتب للدفاع عن أفكار ومنهج «حزب الله»، في حين يهاجم بعض الدول السنية بقسوة.

**وتولى أحمد السيوفي -أحد صحفيي جريدة «الشعب» السابقين-** منصب مدير مكتب قناة «العالم» الشيعية الإيرانية في القاهرة، وطالب السيوفي في أكثر من ندوة ومناسبة عامة بـ «تجاوز الحديث عن مسألة الشيعة والسنة»، قائلًا: «لا نريد التوقف أمامها كثيرًا؛ فهي توضع بين يدي العلماء الذين لعبوا بشكل كبير في هذا الموضوع ولهم مقارنات كبيرة بين المذهبين، فعلينا أن نغلق هذا الملف».

**فيما يتعلق بالجانب السياسي؛ قال السيوفي أن:** «هناك ثلاث دول تقاطع إيران هي: أمريكا وإسرائيل ومصر، وليس من العدل: أن تكون مصر في قطيعة مع إيران، فمن الناحية الجغرافية؛ مصر لها وضع إفريقي متميز، وإيران لها وضع آسيوي متميز، وبالتالي سيصبح كل منهم نافذة على قارة الآخر من خلال العلاقة بينهما».

**واعتبر السيوفي أنه:** «لو كانت هناك إرادة سياسية حقيقية يمكن أن يحدث تفاهم بين الطرفين، لأن الخلافات بين مصر والولايات المتحدة، ومصر وإسرائيل، أكثر من الخلافات بين مصر وإيران، فلماذا -إذن- القطيعة بين القاهرة وطهران؟ إن هذا الأمر غير منطقي، ولا بد من تصحيحه فورًا!».

**ومن عملاء إيران -أيضًا-:** الكاتب المصري المتشيِّع صالح الورداني؛ الذي كان عضوًا في تنظيم «الجهاد»، والذي كتب في أحد كتبه قائلًا: «بعد خروجي من المعتقل في منتصف الثمانينيات احتككت بعدد من الشباب العراقي المقيمين في القاهرة، من المعارضة وغيرهم، وكذلك مع الشباب البحرينيين الذين كانوا يدرسون في مصر، فبدأت التعرف على الفكر الشيعي وعلى أطروحات التشيُّع؛ من خلال مراجع وكتب وفروها لي، ومن خلال الإجابة على كثير من تساؤلاتي الفكرية».

### ○ العرَّاب الفارسي:

**ويعد الكاتب الصحافي فهمي هويدي أحد أشد المدافعين عن إيران،** وله كتاب بعنوان: «إيران من الداخل»، يدافع فيه باستماتة عن النظام الإيراني! وكان هويدي هو أول صحفي عربي يجري حوارًا مع الرئيس الإيراني وقتها محمود أحمدي نجاد، عقب فوزه بالانتخابات الرئاسية التي أُجريت عام (٢٠٠٩)، إلى حد أن البعض أطلق على هويدي لقب: «العرَّاب الفارسي».

**وتحت عنوان: «فهمي هويدي مدافع صلب عن النظام الإسلامي في إيران»،** قالت «وكالة أنباء فارس» في تغطيتها للزيارة: «استقبل الرئيس نجاد الكاتب المصري فهمي هويدي الذى يزور طهران حاليًّا، والمعروف بعلاقاته الوطيدة مع المسئولين في إيران».

**ووصفت الوكالة «هويدي» بأنه:** «من المنظرين المصريين المعارضين لمواقف حكومة الرئيس (الأسبق) حسنى مبارك، مشيرة إلى أن «هذه أرفع مقابلة من نوعها للكاتب المصري مع المسئولين الإيرانيين خلال زياراته المتعددة لطهران، حيث يعد من أكثر المدافعين عن السياسة الإيرانية».

**ويقف هويدي مع إيران في كل الأزمات،** ولا يرى أي خطورة في محاولاتها التبشيرية لنشر التشيُّع في مصر والعالم العربي، إذ كتب قائلًا: «لا يوجد تبشير بالشيعة، فهذه مجرد دعوة لمذهب يقوم به بعض الأفراد المقتنعين بأن من واجبهم الدعوة إلى هذا المذهب، كما لا يوجد ما يسمى: «المد الشيعي» أصلًا؛ إنما يوجد إعجاب بالنموذج الشيعي في إسقاط الشاه، ويوجد إعجاب بالنموذج الشيعي في مقاومة إسرائيل».

**ويغض هويدي الطرف كل أطماع إيران في المنطقة العربية، ويرى أنه (لا وجود للأطماع الإيرانية):** «هذا ما يريدونه في الغرب: أن نخاف من إيران! فلا نتحد معها سياسيًّا، لأنهم يعرفون لو أن السنة اتحدوا مع الشيعة سياسيًّا لتغيرت موازين القوى في العالم كله، ولكن المقصود من الدول المهيمنة الكبرى: ألا يحدث أي تقارب بين إيران والدول السنية»!

**وحسب الباحثيْن مهدي مبارك ومحمود الشهاوي؛ فإن من بين أبرز المشاهد في علاقة هويدي وإيران:** هجومه على الدكتور أحمد الطيب -شيخ الأزهر- أثناء زيارة الرئيس الإيراني «نجاد» ووفد مصاحب له إلى المؤسسة، بعد حديث «الطيب» في المؤتمر الصحفي الذي أعقب اللقاء عن اضطهاد السنة في طهران وبغداد.

**وفي كتابه «من الحوار اكتشف الحقيقة»** يكشف الكاتب الشيعي السوري هشام آل قطيط صراحة عن تحوُّل هويدي إلى اعتناق المذهب الشيعي؛ حيث يقول -آل قطيط-: «إن أحد أبرز المثقفين المتحولين إلى المذهب الشيعي: الأستاذ القدير فهمى هويدي، الكاتب

المصري الشهير، صاحب كتاب «إيران من الداخل»، وغيره من المقالات والكتب الجيدة» (ص ٢٢٠ من الكتاب).

### ○ اللوبي الإعلامي الإيراني:

**يقول محمد محسن أبو النور - الباحث في العلاقات المصرية - الإيرانية - أنه:** «منذ نجاح ثورة (٢٥ يناير) في إسقاط مبارك والدولة الإيرانية تسعى إلى توثيق علاقاتها بعدد من الإعلاميين المصريين البارزين، وذلك بهدف: استخلاص مواقف داعمة ومؤيدة للتحركات الإيرانية، بل ومدافعة - أحيانًا - عن سياساتها التي - غالبًا - ما تثير لغطًا وحساسيات لدى الأنظمة والشعوب العربية».

**ويضيف أبو النور أن:** «من بين هؤلاء الإعلاميين المصريين: الكاتب الصحفي والإعلامي وائل الإبراشي، صاحب برنامج «العاشرة مساء» على قناة (دريم ٢)، والمقدم السابق لبرنامج (الحقيقة)»، مشيرًا إلى أنه: «كان من المعلوم لدى المتابعين لبرامج الإبراشي الحالية والسابقة ذلك الانحياز في مواقفه للدولة الإيرانية وسياساتها».

**ويوضح أبو النور أن:** الإبراشي هو من قدم تلك الحلقة الخاصة من برنامج (الحقيقة) عن زواج «ملك اليمين» التي أثارت جدلًا كبيرًا في الشارع المصري، والتي قدم فيها الإبراشي بطلها المدعو: المهندس عبد الرؤوف عون باعتباره: «داعيةً ومفكرًا إسلاميًّا، وأنه واحد من آل بيت النبي محمد ﷺ».

**ويشير الباحث إلى أن:** إيران حرصت - أيضًا - على أن توثق علاقاتها وتتواصل مع ما يسمى: «بوكالات وشركات البث المباشر»؛ والتي تقوم بإعداد وتقديم مواد تلفزيونية كخدمة إعلامية لبعض القنوات الفضائية التي ليس لها مكاتب خاصة في القاهرة.

**وكان من أبرز هذه الشركات:** «الشركة المصرية للإعلام»؛ التي تعود ملكيتها للإعلامي خالد السيوفي - نجل أحمد السيوفي، مدير مكتب «قناة العالم» -؛ والذي يقوم بعمل تقارير يومية لـ (٢٠) قناة شيعية.

**واعتقلت المخابرات المصرية خالد السيوفي بتهمة:** بث برامج على الهواء بدون ترخيص، حيث أمدت الشركة عشرات القنوات الشيعية في الخليج بمواد تلفزيونية دون أن تحصل على إذن من الهيئات المختصة ببث هذه المواد.

**ومن بين الشركات - أيضًا -:** شركة «فيديو كايرو سات»، وهي شركة بارزة تعود ملكيتها إلى المهندس محمد جوهر - صاحب «قناة ٢٥» -؛ التي تم استقطابها عن طريق إرسال تعاقدات بينها وبين قنوات شيعية في العراق، من بينها: قناتا «الاتجاه والزوراء»، وهي قنوات تقدم مبالغ مالية كبيرة في مقابل الخدمات الإعلامية.

**ويكشف أبو النور عن أنه في أعقاب ثورة (يناير):** انتشر ما عرف بـ «موسم الحج إلى طهران»؛ حيث يتم تنظيم رحلات سفر لنحو (٣٠ أو ٤٠) إعلاميًّا مصريًّا وإعلامية إلى طهران كل أسبوع أو أسبوعين، حيث تقوم هيئات إيرانية بتنظيم برنامج خاص لهؤلاء الإعلاميين للتعرف على إيران خلال فترة الزيارة، ولاستخلاص مواقف متضامنة مع إيران؛ إذ أن الإعلاميين والصحفيين بشكل لا إرادي يتعاطفون مع الدولة الإيرانية نتيجة حالة الإبهار التي تنتابهم مما يشاهدونه! حيث لا يرون إلا كل ما هو جميل ومنظم في إيران.

**وهو بالطبع أمر متعمد؛** فليس للإعلامي أو للصحفي حق التنقل بحرية كاملة، وفي حال رغب في التنقل بمفرده يكون في صحبته أحد رجال الاستخبارات الإيرانية.

**ويورد أبو النور بعض أسماء الشخصيات والهيئات القائمة على تنظيم رحلات الإعلاميين لطهران، ومنهم:** الكاتب والصحافي طارق السنوطي؛ الذي اعتبره الأبرز في هذه المسألة، وهو رئيس القسم الدبلوماسي بصحيفة «الأهرام المسائي»، ومنهم - أيضًا -: الباحث أحمد عبد الرحمن.

**ويذكر أن:** عدد الإعلاميين الذين سافروا لإيران منذ ثورة (٢٥ يناير) وحتى الآن بلغ - تقريبًا - نحو (٥٠٠) إعلامي.

## علاقة إيران بقيادات الإرهاب في ليبيا... ومخطط طهران لنشر الفوضى في شمال أفريقيا

«إيران بوست»، (٢٠١٧/٦/١٢)

**تظهر وثائق وزارة الخزانة الأمريكية:** أن تاريخ العلاقة بين إيران وتنظيم القاعدة الليبي والعناصر ذات الصلة بتنظيم القاعدة بما في ذلك «الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة»؛ يرجع إلى ما قبل بداية الثورة في (٢٠١١).

**أكـدت وثـائق وزارة الخزانـة الأمير كيـة إلى:** وجـود علاقـات إيرانية مع المقاتلين ذوي الصلة بتنظيم القاعدة الـذين انـضموا للـصراع ضد القذافي.

**وأخيرًا؛ وفي فعل درامي من قبل وزارة الخزانة الأمير كية في (٢٠١١)** زعمت الوزارة وجود «تحالف بين القاعدة وإيران»، وأشارت إلى بعض عملاء تنظيم القاعدة في ليبيا الذين كانوا يعملون مع ابن لادن، وكانوا يعيشون في وقت ما في إيران.

**وفي الوقت نفسه؛** كـان هنـاك عـدد مـن الرسـائل المرسـلة مـن ابـن لادن أو إليه؛ التي عثر عليها في منزلـه بـأبوت آبـاد عقـب اغتيالـه، والتـي تشير إلى بعض أتباعه الليبيين الذين يعيشون في إيران.

**وفي (فبراير-شباط ٢٠٠٦)** صنفت وزارة الخزانة الأمير كية خمسة أشـخاص وأربعـة كيانـات كإرهـابيين «عـن دورهـم في تمويـل (الجماعـة الإسلامية الليبية المقاتلة)، وهـي جماعـة تابعـة لتنظيم القاعـدة ومعروفـة بالقيـام بأنـشطة إرهابيـة في ليبيـا وبالتعـاون مـع تنظيم القاعـدة في جميـع الأنحاء، وكان من بينهم: الليبـي محمـد بـن حامـدي؛ الـذي وصـف بأنـه «من الممولين الرئيسيين للجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة».

**وذكـرت الوثيقـة:** أنـه قبـل أربعـة أعـوام «احتجـز» المـسؤولون الإيرانيون ابن حامدي عندما وصل إلى إيران قادمًا من أفغانستان، ومع ذلك -وكما قال الصحافي الأمير كي تومـاس جوسـلين- أفـادت إحـدى هيئات الأمم المتحدة في ذلـك الوقـت بـأن ابـن حامـدي «ربـما يكـون قـد أرسل أكثر من (١٠٠ ألف) دولار من إيران إلى المملكة المتحدة؛ باعتباره مموِّلًا للجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة».

**وفـيما يتعلـق بفكـرة احتجـاز إيـران لمقـاتلي «القاعـدة»؛** نقـل جوسلين عن أحد كبـار المسؤولين بالاسـتخبارات الأمير كيـة قولـه: «إن الاحتجاز قيد الإقامة الجبرية يعد فرصة جيدة لعقد الاجتماعات».

**وبعد عام من تصنيف بن حامدي في (يونيو-حزيران ٢٠٠٧)؛** صنفت وزارة الخزانة مواطنًا ليبيًّا آخر باعتباره عميلًا للجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة وهو: نور الدين دبسكي، ووفقًا لوثيقـة وزارة الخزانـة فـإن دبسكي «سافر إلى أفغانستان في بداية التسعينات، وانضم لتنظيم القاعدة وتلقى تدريبًا عسكريًّا في معسكرات تنظيم القاعدة.

**ويعتقـد أن دبـسكي** مـن كبـار أعـضاء الجماعـة الإسـلامية الليبيـة المقاتلة، وعضو في اللجنة العسكرية لتلك الجماعة الإرهابية.

**انضم دبسكي إلى الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة عندما كـان في أفغانـستان،** وفي (أغـسطس-آب ٢٠٠٥) تـم اعتبـاره أحـد أعضاء الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة في إيران».

**وبعـد ذلـك بـاثني عـشر شـهرًا؛** صـنفت وزارة الخزانـة المـواطن البحريني عادل محمد محمود عبد الخالق باعتباره إرهابيًّا؛ نظرًا «لتقديمـه الدعم المالي والعيني واللوجيستي إلى تنظيم القاعدة وللجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة».

**وذكرت الوثيقة أنـه:** «في الفـترة بـين (٢٠٠٤ و٢٠٠٧) سـافر عبـد الخالق إلى إيران خمس مرات نيابة عن تنظيم القاعدة والجماعـة الإسـلامية الليبية المقاتلة؛ لتسهيل بعض المهام، وخلال كل من هذه الـرحلات كـان يلتقي بأحد كبار المسؤولين بـ (القاعدة) عن عمليات التسهيل.

**وخلال نفس تلك الفـترة الزمنية** قـدم عبـد الخـالق دعـمًا ماديًّـا إلى تنظيم القاعدة والجماعة الإسـلامية الليبيـة المقاتلـة؛ مـن خـلال تزويـدها بالأجزاء الكهربائية التي تـستخدم في المتفجـرات، وأجهـزة الكومبيـوتر، والمعاطف، وأجهزة الـ (جي بي إس)، وغيرها من الأجهزة.

**بالإضافة إلى أن عبد الخالق كان يرتـب** نقـل المقـاتلين والأمـوال والمواد لمعسكرات الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة بباكستان».

**وفي (٢٨ يوليـو-تمـوز ٢٠١١) قالـت وزارة الخزانـة:** أن الحكومـة الإيرانيـة عقـدت تحالفًـا مـع تنظـيم القاعـدة تـسمح بمقتـضاه للجماعـة الإرهابيـة بنقـل مقاتليهـا وذخيرتهـا وأموالهـا إلى قواعـد في أفغانستان وباكستان.

**وفي وقـت الانتقـال نحـو انـسحاب القـوات الأمير كيـة مـن أفغانستان،** يعتقد محللو الاستخبارات الأمير كية: أن إيران وسوريا كانتا تعملان لفترة طويلة مع تنظيم القاعدة للقضاء على الجيش الأمير كي في العراق، وكانت إيران تلجأ إلى تكتيكات مشابهة لتعزيز رحيـل القـوات الأمير كية من أفغانستان.

**وصنفت وزارة الخزانة ستة من عملاء «القاعدة»،** نظرًا لقيـامهم بـالإشراف عـلى شـبكة تنظـيمهم في إيـران، ومـن بيـنهم كـان: عطيـة عبد الرحمن الليبي، وهو مواطن من مدينة مصراته بشرقي ليبيا.

**وأفاد التصريح بأن:** «أسامة بن لادن هو من عينه لكي يعمل ممثلًا لـ (القاعدة) في إيران، وهو المنصب الذي يمكنه من دخول إيران والخروج منها بتصريح من المسؤولين الإيرانيين».

**ووفقًا إلى صفحة بوثيقة «مكافآت وزارة الخارجية من أجل العدالة»** -التي كانت قد صدرت من قبل حول عبد الرحمن، وكانت تقدم جائزة لاعتقاله-: كان العميل -أيضًا- «يجند أعضاء الجماعات الإسلامية الأخرى، ويسهل المباحثات معهم للعمل تحت تنظيم القاعدة.. (و) كما أنه عضو بالجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة وجماعة أنصار السنة».

**ويرجع تحالف عطية عبد الرحمن مع تنظيم القاعدة إلى الفترة الأصلية للعرب الأفغان في الثمانينات**، ووفقًا لوزارة الخارجية انضم عطية «لأسامة بن لادن في أفغانستان عندما كان لا يزال في مرحلة المراهقة، ومنذ ذلك الوقت حاز وضعًا مميزًا في تنظيم القاعدة؛ كخبير مفرقعات، وفقيه إسلامي».

**الصلة بين إيران وكبار أعضاء تنظيم القاعدة الليبيين:**

**وأضافت الوثيقة:** أن عبد الرحمن كان تعرف على أبو مصعب الزرقاوي شخصيًّا في مدينة «هرات»، في أواخر التسعينات، واصطحب أسامة بن لادن نفسه في رحلة إلى الحدود الأفغانية الباكستانية في خريف (٢٠٠١).

**وفي (أكتوبر-تشرين الأول) السابق على تصنيف وزارة الخزانة لعبد الرحمن كإرهابي**؛ كانت الحكومة الأمريكية تتمنى أن تتمكن من قتله في هجوم بالدرون في شمال وزيرستان الخاضعة لهيمنة طالبان، ولكن من الواضح أنه تمكن من تفادي الطائرة.

**ويمكن النظر إلى مثال آخر على وجود صلة بين إيران وكبار أعضاء تنظيم القاعدة الليبيين في وثائق بن لادن نفسه**؛ التي تمت مصادرتها من منزله بأبوت آباد؛ ففي تقرير مرسل لابن لادن من أحد عملائه، يرجع تاريخه إلى (٢٠ أبريل ٢٠١١) كانت هناك فقرة مكثفة حول مساعي «القاعدة» في ليبيا، تكرر فيها ذكر إيران.

**ولمح العميل إلى:** أن «الإخوة» من الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة «الذين يخرجون من السجون وغيرهم في شرق ليبيا (في بنغازي ودرنة والبادية والمناطق المحيطة) يقولون: إن هناك صحوة جهادية إسلامية نشطة، وإنهم كانوا ينتظرون هذه الفرصة منذ فترة بعيدة للغاية».

**وأفاد:** بأن أحد العملاء الذي يطلق عليه: «أنس» سمح له بالسفر من ليبيا إلى إيران، ومن الواضح أن أنس ليبي الأصل، كان محتجزًا لفترة من الزمن في إيران مع أبو مالك الليبي المعروف باسم: (عروة الليبي)؛ باعتباره أحد أهم الإخوة، والذي سمح له -أيضًا- بالسفر من إيران إلى ليبيا.

**ووصفت الرسالة «عروة» باعتباره:** أحد أهم الإخوة في الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، وأضافت الوثيقة أنه «ظل في إيران ولم يأت إلينا، وقبل شهر سافر إلى ليبيا ووصل بسلام، ودعا بعض الإخوة، وكان واحدًا من أهم الإخوة في الميدان، ونتوقع أن يكون له دور كبير في ليبيا».

**ولكن بعد عدة أيام من الخطاب المرسل لابن لادن** ظهرت تقارير في ليبيا تفيد بأن قوات القذافي قتلت أبو مالك.

**وعند النظر إلى هذه القائمة من عملاء تنظيم القاعدة الليبي** أخبرت بعض الشخصيات بالاستخبارات الأميركية «المجلة» بأن جميعهم بينهم عنصر مميز يجعلهم أقوياء ومهمين من ناحية الحوكمة الجهادية في ليبيا: «فإذا ما أخذت جماعة مثل: الجماعة الإسلامية المقاتلة، هناك اختلاف رئيسي بين عملائها الذين سافروا إلى أفغانستان ولم يعودوا إلى ليبيا، وبين هؤلاء الذين عادوا واعتقلهم القذافي: فمن خلال صدور عفو عام في (٢٠٠٩-٢٠١٠) حصل مقاتلو الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة على حريتهم مقابل الموافقة على خلع الحكومة.

**وفي ليبيا -ما بعد القذافي- كان الأعضاء السابقون بالجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة هم الأكثر اعتدالًا**؛ حيث كانوا أكثر استعدادًا للعمل مع حكومة انتقالية ذات مصداقية، أو المشاركة في شكل من أشكال الحكومة المنتخبة أو النظام الديمقراطي.

**وفي المقابل**؛ فإن العائدين كانوا أكثر استعدادًا للانضمام لتنظيم داعش».

**وهناك الكثير من المسؤولين عن المأساة الكبرى التي تشهدها ليبيا -ما بعد سقوط القذافي-**، بعضهم معروف تمامًا، والبعض الآخر ليس معروفًا بهذا القدر.

ولكن من بين الكثير من الأطراف التي تسببت في مرض السياسة الليبية الحالي والذين يستحقون قدرًا أكبر من الاهتمام هو: الدور الخفي الذي تلعبه إيران هناك، فعندما وصلت رياح ثورة (٢٠١١) للسواحل الليبية أعربت بعض الأصوات القيادية في طهران علانيةً عن تأييدها لخلع نظام القذافي؛ رغم رفضهم الصارم للتدخل الغربي في النزاع.

ومباشرة بعد سقوط طرابلس؛ صرح وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي في حوار مع صحيفة «جام جام» الإيرانية بالقول: «لقد كنا على اتصال مع الجماعات المتمردة في ليبيا قبل سقوط القذافي».

وأضاف: أن حكومته أرسلت شحنات من المساعدات غير العسكرية للكثير من الجماعات هناك.

وأضاف: أنه في أعقاب خلع القذافي تلقى الرئيس الإيراني في ذلك الوقت محمود أحمدي نجاد رسالة شكر من رئيس «المجلس الوطني الانتقالي» مصطفى عبد الجليل.

وبعيدًا عن هذا المستوى الرسمي من التفاعل بين القيادتين الثوريتين؛ من المحتمل أن يكون هناك تاريخ خفي للعلاقات بين إيران من جهة، والمقاتلين الليبيين الذين ينتمون لـ «القاعدة»، ويتقاطع تأثيرهم العسكري والسياسي والثقافي على البلاد مع ظهور تنظيم داعش.

وكما اتضح من اكتشافات وزارة الخزانة الأمريكية، وأرشيف أسامة ابن لادن نفسه -الذي حصلت عليه القوات الأمريكية من منزله بأبوت آباد بباكستان - كان الكثير من كبار المتطرفين الليبيين يعملون من داخل إيران، وينقلون الأموال عبر إيران، ويستخدمون إيران كنقطة وسيطة بين قواعد التدريب في أفغانستان وباكستان ومعقلهم في شمال أفريقيا.

وفي بداية اندلاع الثورة الليبية صنف أحد كبار مساعدي ابن لادن أحد هؤلاء العملاء على وجه خاص باعتباره: «أحد أهم الإخوة في الميدان، والذي نتوقع أن يكون له دور في ليبيا».

## لماذا اهتم نور الدين وصلاح الدين بإنشاء المدارس السُّنِّية؟

د.علي بن محمد عودة الغامدي، «المرصد السني»، (٢٠١٧/٧/٧)

لقد اهتم العبيديون منذ أن استولوا على مصر والشام سنة (٣٥٨ هجرية) بنشر عقيدتهم الباطلة -مثلما تعمل إيران اليوم-؛ فأنشأوا «دور الدعوة الإسماعيلية» في كل مدينة وبلدة في تلك البلاد.

واستطاعوا خلال قرن من الزمان تحويل الكثير من المسلمين فيها الى عقائدهم الإسماعيلية الباطنية الباطلة، ومما يدل على انتشار مذهب الرفض الباطني العبيدي: أن حلب -قلعة السنة عبر العصور؛ والتي تدمر الآن بسبب سنيتها!- قد انتشر فيها هذا الدين الباطل قبل سيطرة السلاجقة عليها، فلما أمر حاكمها المرداسي سنة (٤٦٢ هجرية) بالدعوة في خطبة الجمعة للسلطان السلجوقي والخليفة العباسي بدلًا من العبيدي، فخرج معظم من كان في جامع حلب الكبير احتجاجًا على هذا، وأخذوا معهم حصر المسجد، وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب، وليأت أبو بكر وعمر بحصر للمسجد!!!!

وقد عمل السلاجقة في بلاد العراق وفارس على القضاء على الرفض؛ الذي نشره البويهيون بأنشاء المدارس التي كان على رأسها: «المدرسة النظامية»؛ التي أنشأها الوزير السلجوقي، ذو العبقرية الفذة، نظام الملك.

ولم يتمكن السلاجقة من إنشاء مدارس في الشام؛ بسبب مقاومة العبيديين الروافض في ذلك الحين، وبسبب الحرب الأهلية التي اندلعت بين ملوك البيت السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥ هجرية).

ولما وصلت الحملة الصليبية سنة (٤٩٠) إلى الشام لم يكن في بلاد الشام مدارس، ولم يبدأ إنشاء المدارس إلا في عهد نور الدين؛ الذي منع الروافض في حلب من إقامة لطمياتهم المعروفة.

ولا يمكن للمنع وحده أن يقضي على العقائد الباطلة، فلا بد من تعليم النشء العقيدة الصحيحة؛ لذلك اهتم نور الدين بهذا أشد الاهتمام، بحيث لم يقل عن اهتمامه ببناء الجبهة الإسلامية المتحدة وجهاد الصليبيين، وسار بعد ذلك صلاح الدين على خطاه في إنشاء المدارس السنية على المذاهب الأربعة.

فقبل نور الدين لم يكن في حلب مدرسة واحدة، وكذلك لم يكن في دمشق مدرسة واحدة، وفي نهاية العهد الأيوبي أصبح في حلب (٤٦) مدرسة، وفي دمشق (٩٢) مدرسة، وفي القدس (١٢) مدرسة، ناهيك عن المدارس الأخرى في بقية مدن الشام المهمة مثل: حمص وحماة والخليل، غيرها من بلاد الشام.

ويمكن لمن يريد أن يعرف المزيد عن تلك المدارس: أن يرجع إلى كتاب عز الدين بن شداد: «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» أجزاء حلب ودمشق وفلسطين... إلخ، وهناك كتاب النعيمي في مجلدين عن مدارس الشام، وعنوانه: «الدارس في تاريخ المدارس»، وكتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» للعليمي، وغيرها كثير.

أما في مصر؛ فيمكن لمن أراد أن يتعرف على مدارسها التي أنشأها صلاح الدين ومن جاء بعده: أن يقرأ خطط المقريزي المشهورة «المواعظ والاعتبار».

ومن أشهر مدارس الشام: «المدرسة العادلية» بدمشق، إلى الشمال الغربي من الجامع الأموي، والتي بدأ بناءها نور الدين محمود سنة (٥٦٨)، لكنه توفي قبل أن تكتمل، ثم واصل بناءها الملك العادل وأتم بناءها ابنه المعظم عيسى.

وكان من أشهر مدرسيها: القاضي جمال الدين بن بدران المصري، وفخر الدين بن وفخر الدين بن عساكر، ومحيي الدين بن الزكي -الذي ألقى أول خطبة جمعة في القدس بعد استرداده من الصليبيين-، وسيف الدين الآمدي، وغيرهم من كبار العلماء.

وكان لهذه المدرسة مكتبة ضخمة؛ إذ أوقف عدد من العلماء كتبهم عليها ليستفيد منها طلبة العلم؛ حتى أن بعض العلماء اكتفوا بما فيها من كتب، وصنفوا كتبهم.

وترتب على كثرة المدارس: أن ازدهرت الحياة العلمية في بلاد الشام، وبرز فيها علماء عظام مثل: ابن قدامة، والعز بن عبد السلام، وابن الصلاح، وغيرهم.

ومن المدارس العجيبة: «المدرسة الدخوارية»؛ التي اختصت بتدريس الطب، حيث أنشأها الطبيب المشهور مهذب الدين عبد الرحيم ابن حامد، الملقب بـ «الدخوار»؛ الذي أوقف عليها أوقافًا كثيرة تدر دخلًا كثيرًا للنفقة عليها وعلى الأطباء وطلبة الطب الذين يدرسون بها، وكانت تشبه إلى حد كبير كليات الطب الحديثة.

ومن أشهر مدارس حلب: «المدرسة الظاهرية»؛ التي أنشأها الظاهر غازي بن صلاح الدين؛ الذي جعل إدارتها بيد القاضي بهاء الدين بن شداد -قاضي جيش والده-.

وهذه مجرد لمحات موجزة عن تلك المدارس؛ التي أحيت السنة وأماتت بدعة الرفض، وأدت إلى ازدهار الحياة العلمية، وهو ما يمكن أن يكتب فيه مجلدات كثيرة.

## ماذا بقي من ثورتنا؟

مجاهد مأمون ديرانية، «مدونة الزلزال السوري»، (٢٠١٧/٧/٦)

١ - ينبغي أن نملك ما يكفي من الشجاعة والواقعية لنعترف بأن ما فقدناه كثير كثير، وأن نملك ما يكفي من التفاؤل والإنصاف لنقرر أن ما بقي معنا كثير كثير.

باختصار: سوف ندرك حجم ما فقدناه عندما نقارن حالة الثورة اليوم بحالتها في مطلع عام (٢٠١٣)، حينما غطى العلمُ الأخضر سبعةَ أعشار الأرض السورية، وسوف ندرك حجم ما بقي معنا عندما نقارن حالنا اليوم بحالنا في بداية عام (٢٠١١)، عندما أحكم نظامُ الاحتلال الأسدي قبضتَه الفولاذية على أربعة وعشرين مليون سوري، يوم كان الهمسُ بكلمة انتقاد خجولة ضد النظام حلمًا من أشد الأحلام تحليقًا في عالم الخيال!

٢ - نعم، ما أكثرَ ما خسرناه وضيّعناه! وهما كلمتان مقصودتان غيرُ مترادفتين: «خسرنا» -بشرف- أراضيَ ومكتسبات سالت دفاعًا عنها دماؤنا أنهارًا،وبذلنا في سبيلها كرائمَ التضحيات، و«ضيَّعنا» -بغباء- أراضيَ ومكتسبات لم نحسن الدفاع عنها، فتخلَّينا عنها لعدو خَدَّاع رفعَ راية الجهاد وتقنَّعَ بقناع الدين.. والدينُ والجهاد منه بَراء!

وإنَّ مأساتنا لَتتضاعف ويزيد الجرح ألـمًا حينما نعلم: أن ما ضيَّعْناه بغباء يبلغ عشرةَ أضعاف ما خسرناه بشرف! أكثر من نصف

مساحة سوريا (حرفيًّا) سلَّمناها لداعش بلا مقاومة تُذكَر ولا قتال، ثم عادت داعش فسلَّمتها للمليشيات الكردية والإيرانية والنظام.

**أما ما فقدناه بشرف؛** وبعد مقاومة واستبسال سوف يسجلها التاريخ (في داريا والزبداني والوعر ووادي بردى وسائر المناطق التي طال صمودها قبل الانهيار)؛ فلا يكاد يبلغ معشار ما خسرناه بسبب داعش، وإنَّ من أعجب العجب: أن ما نذرفه على العُشر الأخير من دموع يبلغ أضعافَ ما ذرفناه على الأعشار التسعة الباقيات!!

**٣- ذلك ما ضاع، أما ما بقي فما أكثرَه وما أعظمَه!**

**بقيت معنا:** أراضٍ محرّرةٌ تكفي -بالميزان العسكري الصرف- «رأسَ جسر» إلى التحرير الكامل؛ لو عرفنا كيف نخوض المعركة.

**بقيت في أيدينا:** أسلحة كان حصولنا على عُشر معشارها في أول الثورة ضربًا من الخيال.

**بقيت في قلوبنا:** روح الثورة التي اتَّقدَت نارُها بالتضحيات العِظام الجِسام، ومهما ذهب منها فإنَّ في جمرتها الباقية من العنفوان ما يوقد مئة ثورة.

**بقيت في أنفسنا** الكرامة الّتي ضللنا الطريقَ إليها ثلاثين سنة، بل خمسين؛ حتى اهتدينا إليها وتذوَّقنا طعمها الجميل، فلن نعود إلى الذلة راغبين مستسلمين بعد اليوم.

**بقيت في أذهاننا:** التجربة المُرّة التي خضناها مع الغلوِّ والغلاة، فصار في مخزون السوريين من الوعي ما يوزَّع على شعوب العالم الإسلامي ويزيد.

**بقيت لدينا:** كفاءاتٌ وإبداعاتٌ صنعتها الثورة وطاقاتٌ وخبراتٌ صقلتها الثورة، كفاءات وخبرات في كل المجالات: العسكرية والسياسية والإدارية والقانونية والإعلامية، لو أُحسن تنظيمها وتفعيلها لقادت الثورة حتمًا إلى الانتصار بأمر الله.

**٤- وماذا الآن؟**

**نستطيع أن ندفن رؤوسنا في الرمل ونقنع أنفسنا بأننا في أحسن حال!** فلا نبحث عن عيوبنا وأمراضنا، ونتركها حتى تستكمل الفتك بثورتنا -لا قدَّر الله-، وهو أمر سيصنعه فريق منا بالتأكيد.

**ونستطيع أن نصنع صنيع العاجزين؛ فنرفع راية الاستسلام ونقول** لم يبقَ شيء وعلى الثورة السلام، وهو أمر سيصنعه آخرون.

**ونستطيع أن نتقمص الدور الأسوأ على الإطلاق، فنقول:** لماذا ثرتم أصلًا ودمرتم البلد؟ أما كنا عايشين؟، وهو أمر صنعه ويصنعه قوم متبلِّدون، نقول لهم: بئس مَن يترك الجلاد ويلوم الضحية! ونقول لهم: ما أسوأه من وصف لحياة لا تزيد عن حياة البهائم في أقفاص حدائق الحيوان!

**ونستطيع أن نكون خيرًا من أولئك جميعًا، وأقربَ إلى فهم القانون الإلهي القرآني الصارم؛** فنبحث عن الأسباب ونعالجها قبل فوات الأوان.

**لقد كسبنا في أول الثورة مكاسبَ كبيرةً خسرنا -من بعدُ- كثيرًا منها،** فمَن سأل عن سبب التراجع بعد التقدم وعن الخسارات بعد الانتصارات؛ فليقرأ قوله ﷺ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠].

**اللهمَّ لك الحمد! لولا أنك عفوت عن كثير لأهلكَتْنا أفعالُنا منذ حين!**

**٥- يا أيها الناس! لا تكونوا من الآيسين؛** فتنفضوا من الثورة أيديكم، فإنها أعظم مشروع قام به أهل سوريا في نصف القرن الأخير، ولا تكونوا من المتواكلين؛ فتنتظروا تغييرًا بلا تغيير، فإن الله وعدكم بتغيير مقابل تغيير؛ فقال: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

**ولا تكونوا من المتبلدين** الذين يريدون أن نعود إلى أقفاص البهائم وحياة العبيد!

**لو ماتت ثورتنا اليوم -لا قدَّر الله- فسوف يبدأ جيل قادم بثورة أخرى بعد سنوات؛** فيدفع مثلَ الثمن الذي دفعه هذا الجيل، لأن احتمال الحياة في قفص النظام الأسدي مُحال، فلماذا ندفع الثمن نفسه مرتين؟

**إن إصلاح ثورة بقي من جَذوتها نصفُها أو نصفُ النصف** أهون من بدء ثورة جديدة من الصفر بعد حين، فتداركوا ثورتنا قبل أن تحل الكارثة ونفقد ما بقي في أيدينا من إرث الثورة العظيم.

## مدينة الذهب الأسود على موعد مع المجهول!

د فراس الزوبعي، «الوطن» البحرينية، (٢٠١٧/٧/٥)

**ما يعرف بالعراق المصغر بسبب تنوعه العرقي والديني، وبمدينة الذهب الأسود بسبب غناها بالنفط وحقوله: كركوك.**

**تلك المدينة العراقية الغنية التاريخية،** التي يبلغ عمرها (٥٠٠٠) سنة، تقف على موعد مع المجهول! وربما تسير على خطى الموصل في التدمير، وأتمنى أن أكون مخطئًا في التقدير.

**منذ أيام وهناك تركيز مقصود في مواقع التواصل الاجتماعي على أن: تنظيم الدولة «داعش» خرج من الموصل؛** إلا أن (٢٠٠) مقاتل منهم يعتزمون الذهاب إلى كركوك.

**وقد تكون هذه الأخبار توطئة لما سيحدث فعلًا،** فلم يعد خافيًا أن تنظيم «داعش» كشركة مقاولات متخصصة في الهدم والتدمير والتخريب، وأن مقاتليها يشبهون بلدوزرات وآليات الهدم؛ تستعين به جهات سياسية لتسوية الأرض التي تريد السيطرة عليها.

**ومن المتوقع أن تسمح الحواجز الأمنية في كركوك** بدخول بعض أفراد هذا التنظيم إلى داخل المدينة لتنفيذ عمليات إجرامية، بعدها تدخل القوات الحكومية وميليشيات الحشد الشعبي التي بدأت بالفعل بالسيطرة على المناطق الجنوبية من المدينة؛ من خلال المتطوعين فيها من التركمان الشيعة من أهل المدينة الموالين لإيران؛ بالإضافة إلى بعض العرب الموالين لإيران أيضًا، ثم تبدأ عمليات القصف وتدمير المدينة، وتهجير أهلها منها.

**لكن لماذا كركوك؟**

**ولماذا الآن؟**

**وما الهدف؟**

**ومن المستفيد من ذلك؟**

**كركوك تمتلك كل المقومات لتكون الهدف التالي؛** فالمدينة محاطة بالنفوذ الإيراني في محافظات صلاح الدين وديالى والسليمانية في إقليم كردستان.

**كما أن السيطرة الكردية فيها لحزب «الاتحاد الوطني الكردستاني»** التابع لجماعة جلال الطالباني، وهم على علاقة متميزة بإيران، وعلى خلاف مع الحزب «الديمقراطي الكردستاني» الحاكم في أربيل، كما أن إيران لها نفوذ داخل المدينة.

**والأهم من ذلك كله:** الثروات التي تحظى بها المدينة، وهي مدينة متنازع عليها، الكرد يريدون ضمها إلى كردستان، وبغداد تريد فرض سيطرتها عليها.. **ومن يسيطر عليها يسيطر على الثروة!**

**أما لماذا الآن وفي هذا التوقيت؟**

**فهذا يتعلق بأمور عدة، أهمها:** تلويح كردستان بالانفصال عن العراق، وإعلان الدولة الكردية، وعزمها إجراء استفتاء شعبي بهذا الخصوص.

**وانفصال كردستان بدون ضم كركوك لها أمر غير ممكن،** فكركوك تعني لهم موارد الدولة الجديدة.

**يضاف لذلك:** قرب الانتخابات البرلمانية في العراق، وكل الجهات تحشد لها، وهو موسم وسوق المزايدات المرتبطة بالدم والخراب.

**كما أن الموصل انتهى العمل من تخريبها وتدميرها كليًّا،** وهناك ميليشيات الحشد الشعبي التي لا بد من إشغالها وإلا عاد أفرادها إلى مدنهم، وبدؤوا بإشغال الحكومة والأحزاب بالمطالبة بحقوقهم، وافتعال المشاكل هناك؛ خصوصًا وأن أكثرهم فقراء مسلحون، اعتادوا القتل.

**وهنا يظهر أن المستفيد من هذا العمل المتوقع: إيران أولًا؛** التي لا تريد السماح للأكراد بالانفصال عن العراق، وتريد إحكام سيطرتها على المدن العراقية.

**يضاف لها:** الأحزاب والحكومة العراقية الذين يريدون إجراء عملية استباقية للسيطرة على كركوك، وإجراء عملية تغيير ديمغرافي كبير فيها، وفي العملية وسيلة لعدم الدخول في مواجهة مع الأكراد والظهور بمظهر المساعد الذي يقدم لهم يد العون للتخلص من «داعش».

**هذا هو السيناريو الذي حصل في كل المحافظات** التي دخلتها جماعة «داعش»، ودمرتها بعد ذلك الحكومة والميليشيات.

## معارك خطيرة منسية في حرب التغيير الديموغرافي

مطيع البطين، «ترك برس»، (٢٠١٧/٧/١٠)

**إنَّ التعامل مع مخطَّط التَّغيير الدِّيموغرافي على أنَّه:** مجرَّد تحويل وتبديل في البنية السُّكانيَّة هو تعامل يتَّسم بالسَّطحيَّة إلى حدٍّ بعيد في فهم الموضوع ومناهضته، والسَّعي بعد ذلك لإفشاله!

**ولذلك؛ فإنَّ التَّركيز على أعداد المهجَّرين، وبشاعة الوسائل الَّتي يقوم بها المنفِّذون للتَّغيير الدِّيموغرافي؛** قصفًا وتجويعًا وحصارًا وتهجيرًا واغتيالات وتصفيات في السجون، واعتقاد أنَّ هذه الحرب محصورة في ساحة هذه المعركة هو تركيزٌ وحصرٌ خاطئٌ، وتوصيف قاصر، يهمل معارك خطيرة كبرى ينبغي معرفتها، وتبيين مدى خطورتها، والعمل بعد ذلك على إفشال أهداف هذه الحرب في ميادينها المختلفة؛ معركةً فمعركةً وساحةً فساحةً.

**وإنَّ إعطاب العجلة الواحدة في العربة يعيقُ حركتها، وإعطاب العجلات جميعًا يوقف سيرها تمامًا،** فإذا كنَّا اليوم لا نستطيع ضرب عربة التَّغيير فإنَّنا وإلى حدٍ بعيدٍ نستطيع إعطاب العجلات وصولًا بعد ذلك إلى ضرب ماكينة التغيير، وبالتَّالي إيقاف عربة التَّغيير عن استكمال طريقها والوصول إلى أهدافها.

**فما هي هذه المعارك المهمَّة المغفلة التي ينبغي معرفتها وخوضها؟**

### أولًا: معركة التَّوثيق:

**وهي معركة تبيِّن بالحجج والوثائق**مَن هم أصحاب الحق ِّ والأرض والبلد الأصليُّون، مقابل هجمة التَّزييف والتَّحريف للصُّورة الحقيقيَّة للبلاد وأهلها، وهي قضيَّة نحتاج إليها في كلِّ المراحل الحاضرة والمستقبليَّة للأجيال، وفي مختلف المواضع والمحافل.

**أمّا عن المفردات التي نحتاج توثيقها؛ فما أكثرها! وأهمَّها وأخطرها:**

١ - **العقارات وملكيَّتها**، وخصوصًا بعد حرق السِّجلات العقاريَّة في مناطق متعدِّدة (القصير وحمص كأمثلة).

٢ - **السجل المدني**؛ الذي تم استهدافه في العديد من المدن والمناطق.

٣ - **المباني ذات الدلالة**، نوثِّقها قبل وبعد وتاريخ البناء (السيدة سكينة في داريا مثالًا).

٤ - **البيوع للإيرانيين**، والأساليب المتبَّعة والوسائل التي تمارسها إيران في ذلك (محلات العصرونية في دمشق مثالًا).

٥ - **الأملاك المصادرة** من قِبل النِّظام في سورية (حي الأتراك في دمشق مثالًا).

٦ - **أعداد المجنَّسين وأصولهم**، وعلى أي أساس يتمُّ التَّجنيس؟ والقوانين التي يتَّبعها النِّظام لاستكمال التَّجنيس على أساس طائفي.

٧ - **أراضي الوقف ومصادرتها.**

٨ - **مفرداتٌ كثيرةٌ مهمةٌ**؛ كشهود العيان، والتَّقارير الدوليَّة، والوثائق المسرَّبة ذات الصِّلة، وحملات التَّهجير، والسِّجل المدنيِّ، و...

**إنَّ البدءَ بعمليَّات التَّوثيق هذه بشكلٍ واسعٍ ومنهجيٍّ أمرٌ يُفشِل إلى حدٍ بعيد مخطَّط التَّغيير الديموغرافي،** ذلك أنه يدل على وجود المشروع المضاد الذي يعتمد الحقائق بدلًا من التزييف في مخطَّط التغيير.

### ثانيًا: المعركة الثقافيَّة:

**وحتى ندرك مدى خطورة هذه المعركة** يكفينا أن ننظر إلى ممارسات إيران المخيفة لأجل تغيير هويَّة سورية ثقافيًا؛ من خلال إنشاء مقاطعات إيرانية صارخة في دمشق ومحيطها، مقاطعات يتم التعامل فيها بالعملة الإيرانية، واللغة السائدة فيها هي الفارسية، والسكان فيها إيرانيون أو شيعة من جنسيَّات مختلفة.

**تمَّ هذا حتَّى الآن في:** حيِّ الأمين، وحيِّ العمارة، والجورة، وزين العابدين، ومنطقة السَّيدة زينب، بل وتم توسيع هذه الأحياء والمناطق على حساب محيطها.

**إضافة لهذه المقاطعات الطائفيَّة** تعمل إيران على إشاعة مظاهر اللطميَّات والرايات وغير ذلك؛ مما يساهم في محو ثقافة البلد وإحلال ثقافة طائفيَّة إيرانيَّة.

**ثالثًا: المعركة المخابراتيَّة:**

**وهي معركة خطيرة خفيَّة،** يقودها ضباط مخابرات يخترقون الفصائل ويوجهونها، ويغذون فيها فكر القتل والتكفير، واستحلال الدماء والاستهانة بحرمتها ومصونيتها، ويوظفون الإيديولوجيات في هذا الصراع الكارثيِّ؛ والذي يساهم بشكل واضح وخطير في تغيير ديموغرافيَّة البلاد.

**رابعًا: معركة الخرائط:**

**هذه المعركة تبدو جليَّة في تصريحات إيرانية وميلشياتية طائفية يعبرون عنها بقولهم:** «الهلال الشيعي»، ومؤخرًا «البدر الشيعي»؛ كما وصفه قيس الخزعلي -زعيم ميليشيات «عصائب أهل الحق» في العراق-، أو رسمهم لطرق تمرُّ بالكثير من المدن في المنطقة، تبدأ من طهران وتمرُّ ببغداد ودمشق وبيروت وغيرها، وكذلك العمل على إحاطة دمشق بحزام شيعي(كما حصل في بغداد تاريخيًّا)، وتصريح زعيم ميليشيا «حزب الله» بأنَّ طريق القدس يمر من الزبداني وحلب و...

**إنَّ ضرب هذه الطرق وهذه الخرائط في أيِّ نقطة أو موضع منها هو:** كسب وربح لكلِّ أبناء المنطقة، فإذا لم نستطع ضرب كلِّ هذه المواضع فإن الضرب والتركيز على موطن واحد يكفي لإفشال هذه الخرائط وإلى حد بعيد.

**خامسًا: معركة المصطلحات:**

**إنَّ حصر الجريمة في حرفيَّة التغيير الديموغرافي القاضي بحدوث أمرين معًا** (الأوَّل: استهداف شريحة معينة، والثَّاني هو: المجيء بشريحة أخرى تحلُّ محلَّها)؛ هو تحريفٌ للأنظار، وتهوين من شأن الجرائم الأخرى التي تصبُّ في المخطط ذاته، فجرائم الترحيل والتهجير الطوعي أو القسري، والتطهير العرقيِّ، أو المصالحات والهدن التي تنتهي باتِّفاقات تفضي إلى انزياحات سكانيَّة؛ كلها جرائم لا تنفكُّ عن العنوان الأبرز: **جريمةِ التغيير الديموغرافي.**

**أما الأخطر من ذلك كله فهو:** استخدام مصطلح: «الحرب الأهلية» لتضييع الحقوق، وعدم محاسبة أصحاب جرائم التغيير الديموغرافي!

**سادسًا: المعركة الإعلامية:**

**وهي معركة مهمَّة خطيرة،** تحاول من خلالها إيران حشد كل الدعم لما تقوم به على أساسٍ مذهبيٍّ يعتمد على مسألة: حماية المراقد والدفاع عنها، وتنفي أنها تهدف إلى: التغيير الديموغرافي؛ كما صرَّح زعيم ميليشيا «حزب الله» التابعة لها، بينما يقوم الإعلام في دول المنطقة المستهدفة بهذا المخطَّط بدورٍ سطحيٍّ، ولا يتعامل مع القضية كقضية محوريَّة ومعركة مصيريَّة.

**يقتضي خوض المعركة الإعلامية:** العمل بحرفيَّة عالية، وبرامج متواصلة هادفة، تحدِّث وتعرض باستمرار إجراءات التغيير، وتفضح المباشرين والمساهمين، وتقوم بحشد الرأي العام ضدَّ هذا التَّغيير، وتضغط بقوة لإيقاف هذا المخطط وإعادة الحق إلى أصحابه.

**سابعًا: المعركة الحقوقية والشرعية والقانونية:**

**وهي -لا شكَّ- معركة مهمَّة،** تقوم بها الشخصيات والمؤسَّسات المعنيَّة، تقوم بالتوصيف الصحيح للواقع، وتوظيف القوانين في مختلف المحافل الدوليَّة؛ لتبيين الحق، والمطالبة بمحاسبة المجرمين ومحاكمتهم، وكذلك العمل على إبطال أعمال التجنيس على أساس طائفي، وتطويب الأملاك المعتمد على الإكراه والإلجاء والابتزاز.

**هذه هي أهم المعارك في حرب التَّغيير الديموغرافي؛ والَّتي تُظهر:** أنَّ هذه الحرب طويلة الأمد، ساحاتها متعدِّدة واسعة؛ فكريَّة، بشريَّة، حقوقيَّة، ثقافيَّة، سياسيَّة، جغرافيَّة، وتاريخيَّة.

**حرب تخوضها إيران -ومَن معها- حاملين مخططًا متكاملًا، يستهدفون فيه:** الإنسان، والعمران، والثَّقافة.

**هي حرب طويلة الأمد،** ونحن نتعامل معها بردَّات الأفعال!

**وهي استراتيجيَّة،** ونحن نتعامل معها عاطفيًّا! وفي آخر اهتماماتنا.

**وهي مدروسة،** ونحن نريد إفشالها عشوائيًّا!

**هي معركة** نحتاج في خوضها إلى استنفار الاختصاصيِّين وأصحاب الكفاءات وصنَّاع القرار؛ لا أن تبقى ندبًا وتنظيرًا مجردًا.

**هي معركة** تستند إلى المال والدَّولة والإيديولوجيَّة، وتستهدف: العراق وسورية والأردن ودول الخليج وتركيا.

**فلماذا يتركنا إخوتنا نواجهها لوحدنا، ولا يحسبون حساب مرحلة قريبة؟!** نخشى عليهم أن يقولوا وقتها: أكلنا يوم أكل الثَّور الأبيض!!!

## هل سيستفيد «الروهينغيا» من تدويل قضيتهم؟!

د. زياد الشامي، موقع «المسلم»، (٢٥ شوال ١٤٣٨هـ)

**بداية؛ لا بد من التنويه بالفترة الزمنية الطويلة** التي تعامى فيها المجتمع الدولي عمومًا عن محنة ومأساة مسلمي الروهينغيا، والتزم خلالها الإعلام العالمي -والغربي على وجه الخصوص- بسياسة (الصمت والتجاهل المشين) تجاه حقائق الاضطهاد والتنكيل الممنهج ضد أكثر من مليون روهينغي يعيشون على أرضهم التاريخية «أراكان» في ميانمار.

**فمن المعروف: أن محنة أقلية «الروهينغيا» لم تكن بدايتها عام (٢٠١٢م)**؛ كما تحاول بعض وسائل الإعلام أن تروج له! بل تعود جذور محنتهم إلى عام (١٧٨٤م) الذي تم فيه احتلال مملكة «أراكان» المسلمة -التي حكمها (٤٨) ملكًا مسلمًا لمدة (٤) قرون تقريبًا- من قبل ملك بورما حينها «بودابايا» الذي ضمها إليه، لتبدأ رحلة محنة المسلمين الذين تمت معاملتهم كالغرباء المهاجرين غير النظاميين منذ ذلك الحين.

**ويمكن اعتبار عام (١٩٨٢م) محطة مفصلية في محنة مسلمي الروهينغيا**؛ حيث أصدرت حكومة ميانمار في ذلك التاريخ قانونًا سمته: «قانون المواطنة»، وتم بموجبه سحب بطاقة المواطنة من آلاف الناس، ومنهم: عرقية الروهينغيا.

**أما عام (٢٠١٢م) فهو في الحقيقة:** مجرد استمرار للمحنة التي تجددت فصولها مع اندلاع أعمال عنف ضد مسلمي الروهينغيا، قتل فيها المئات منهم، كما تم إحراق قرى للمسلمين بأكملها، وتهجير الآلاف منهم إلى دول الجوار.

**بعد هذه العقود الطويلة من محنة الروهينغيا والسنوات العجاف الأخيرة من الاضطهاد البوذي الحكومي الممنهج؛** خرجت الأمم المتحدة عن صمتها المشين! واعترفت بأن أقلية الروهينغيا هم الأكثر تعرضًا للاضطهاد في العالم.

**بيانات كثيرة صدرت عن مؤسسات وهيئات تابعة للأمم المتحدة؛** توثق جرائم وانتهاكات حكومة ميانمار بحق أقلية الروهينغيا، وجلسات أخرى عقدت في مجلس حقوق الإنسان لإرسال بعثة دولية إلى «أراكان» للتحقيق بحقيقة انتهاكات حكومة ميانمار ضد مسلمي الروهينغيا؛ إلا أن ذلك لم يحدث حتى الآن بسبب رفض ميانمار مجرد استقبال تلك البعثة!

**الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية** اكتفت بممارسة نفاقها المعهود في كل ما يتعلق بحقوق المسلمين المستهدفين في العالم! ففي الوقت الذي أظهرت دعمها لإرسال بعثة التحقيق الدولية إلى «أراكان»، لم تحرك ساكنًا تجاه صلف وتعنت ميانمار حيال استقبال البعثة أو القبول بالتحقيق.

**يكفي الاستشهاد بما صرح به المستشار الأمني لزعيمة ميانمار** «أونغ سان سوتشي» لدبلوماسيين يوم الثلاثاء الماضي كدليل على ذلك الصلف والتعنت البورمي إزاء بعثة التحقيق الأممية؛ حيث قال: «إن بعثة تابعة للأمم المتحدة للتحقيق في مزاعم تعذيب واغتصاب وقتل مسلمي الروهنغيا المسلمين لن تؤدي إلا إلى (تفاقم) التوتر في ولاية أراكان بغرب البلاد»!

**منتهى ما سمحت به حكومة ميانمار تجاه المطالبات الخجولة باستقبال لجنة تحقيق دولية هو:** السماح لبعض الصحفيين الدوليين بزيارة ولاية «أراكان» ضمن شروطها، ومرافقة رجال أمنها، وهو ما دفع مسلمي الروهينغيا لاتهام حكومة ميانمار بتضليل وفد الصحفيين، وتأكيدهم على أن الصحفيين الدوليين لم يذهبوا إلا إلى المواقع التي وضعتها الحكومة في خطة السير.

**وبعيدًا عن تزامن انفجار لغم أرضي مع وصول الصحفيين منطقة زراعية بشمال ولاية «أراكان»**، والشكوك حول قيام حكومة ميانمار بزراعة هذا اللغم لمنع الصحفيين من التقدم إلى داخل القرى التي تعرضت بشكل كبير للحرق والقتل؛ فإن عدم سماح الحكومة للناس بمقابلة الصحفيين بمفردهم والإصرار على مرافقتهم في كل مكان، ناهيك عن محاولة الحكومة اعتقال بعض الأشخاص الذين تحدثوا للصحفيين بعد مغادرتهم؛ يؤكد مدى محاولة ميانمار تضليل الصحفيين وتفريغ زيارتهم من محتواها.

**ثم إن تعرض مسلمي الروهينغيا -حتى الآن- إلى الاضطهاد والتنكيل رغم التدخل الأممي والدولي المزعوم؛ يؤكد:** أن تدويل

قضية الروهينغيا لا يعدو أن يكون مجرد استعراض إعلامي، وتصريحات دبلوماسية، وتحركات بهلوانية!

**فها هي سلطات ميانمار تجبر المسلمين الروهينغيا في مدينة أكياب -عاصمة ولاية أراكان- على هدم مسجد،** بعد أن هددت بإنزال عقوبات صارمة -أقلها السجن- في حال لم يستجيبوا لقرار الهدم، والذريعة: اعتبار حكومة ميانمار ما قام به أهالي المنطقة من ترميم المسجد -بعد أن تعرض لأضرار كبيرة جراء موجة أمطار ورياح شديدة تعرضت لها المدينة الشهر الماضي- **بمثابة بناء مسجد جديد، وهو ما ترفضه الحكومة، وتمنع المسلمين من فعله في كل أرجاء ولاية «أراكان».**

**لا يبدو أن مسلمي الروهينغيا سيستفيدون من تدويل قضيتهم مع استمرار هيمنة الدول الغربية** -غير العابئة بقضايا المسلمين بل والمتواطئة ضدهم- على هيئات ومؤسسات الأمم المتحدة، ومع ضعف تأثير وفاعلية الدول العربية والإسلامية في إجبار حكومة ميانمار على رفع الظلم الواقع على إخوة لهم في العقيدة والدين.

## من الفتنة في الدين: ازدراء الصحابة

د. محمد بن إبراهيم السعيدي، «جريدة الوطن»

**من خصائص دين الإسلام ونعم الله ﷻ التي خص بها المسلمين دون من سبقهم من الأمم:** أن هيأ لنبيهم صحبًا كرامًا؛ آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فقضى الله لهم بالفلاح في كتابه الكريم حين قال: { فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف:١٥٧]، وأنعم عليهم بالرضى، وأخبر ﷻ أنه أعد لهم الجنات ولما يزالوا في حياتهم الدنيا؛ كما قال: { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة:١٠٠].

**ووصفهم ﷻ على الإجمال مرات، وعلى التفصيل مرات أُخر بالجليل الكريم من الصفات؛** كالشدة على الكفار، والرحمة بينهم، وكثرة التعبد لله، والصدق، والفلاح، ونقاء القلوب، وتنزل السكينة عليهم.

**وأمر ﷻ نبيه بالصلاة عليهم:** { وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة:١٠٣]، وفضل الله ﷻ بعضهم على بعض؛ لكنهم مع هذا التفاضل سواء في الوعد الصريح بالجنة، ولا يخلف الله الميعاد: { لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [الحديد:١٠].

**فكانت النصوص الدالة على تزكية الله لهم ووعدهم بالجنة وثناء الله ﷻ عليهم** في عشرات المواضع من كتاب الله ﷻ؛ ما بين نصوص صريحة لا تحتمل التأويل؛ كقوله ﷻ: { وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الأنفال:٧٤-٧٥]، وكالآية المتقدم ذكرها من سورة التوبة، أو الآية التاسعة والعشرون من سورة الفتح، أو الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الحشر.

**وما بين آيات تدل على ذلك بدلالة الالتزام أو التضمن أو السياق؛** كقوله ﷻ: { إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة:١١١].

وأمر الله ﷻ من جاء بعدهم بالدعاء والاستغفار لهم ومحبتهم حين قال ﷻ: { وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر:١٠]، وهو أمر جاء في صيغة الخبر، وهذا من أبلغ صيغ الأمر في الدلالة على الوجوب.

**وهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم، هم:** من لقي رسول الله ﷺ ممن لم يشرف بالهجرة ولا النصرة، ومن جاء بعدهم من التابعين، ومن

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فكلهم مأمورون بما تضمنته هذه الآية من الدعاء والاستغفار والمحبة لأصحاب رسول الله ﷺ.

**وهذا ما فهمه كل أئمة علماء المسلمين من القرن الأول وحتى يومنا هذا**؛ من علماء أهل الحديث وفقهاء الرأي والأشاعرة والماتوريدية والظاهرية والصوفية، فليس من هذه الفرق إلا من هو معظِّم للصحابة، قائل بعدالتهم، مقر بتزكية الله ﷻ لهم؛ ومن هؤلاء: أكابر علماء الحديث والفقه واللغة وعلم الكلام والمنطق والسلوك، فليس تعظيم الصحابة وتحريم الخوض فيهم مما اختص به الحنابلة أو ابن تيميه كما يصور البعض! بل هي مسألة إجماع أمة محمد -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-؛ ولم يخالف في ذلك إلا فرق لا تُعَظِّم النص القرآني بل ولا تَعِيه! وهم: الروافض والخوارج وبعض المعتزلة؛ حيث يشتركون في القول بتكفير صحابة رسول الله ﷺ أو بعضهم؛ على خلاف في داخل مذاهبهم في تحديد من يحكمون عليه بالكفر منهم.

**والحقيقة: أن هذه المذاهب لا تشترك في تكفير الصحابة أو بعضهم وحسب، بل يشتركون في القول بتكفير الأمة**، ولذلك فليس قولهم هذا خارقًا لما قدَّمْتُه من إجماع الأمة على تعظيم الصحابة.

**ومنذ ظهور حركة إحياء الاعتزال في العالم العربي والإسلامي** -منذ بداية القرن الميلادي الماضي، أو ما سُمِّي بـ: «الحركة العصرانية»- ولا يزال يخرج كل بضع سنوات بعض الكتب ومن يتزيون بزي البحث العلمي يتعمدون مخالفة قول الله ﷻ: { وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } [الحشر:١٠]، كما يتعالون على آلاف أذكياء العلماء خلال أربعة عشر قرنًا، ويزعمون أنهم أدركوا بعقولهم وبحثهم ما لم يدركه من قبلهم! ليجعلوا شغلهم الشاغل (تأصيل الانتقاص من الصحابة جملة، أو الانتقاص من آحادهم تفصيلًا)، فيزعم أحدهم: أن هذا من التجديد الفكري! ويزعم آخر: أنه نقض لأصول الوهابية المتحجرة الإرهابية -بزعمه!-؛ وكأن تعظيم الصحابة حكر على محمد بن عبد الوهاب ومن جاء بعده؟!!

**والذي لا بد من التنويه إليه**: أن حركة العصرانية وإحياء الاعتزال قامت مرتبطة بالاستشراق المموَّل من الاستعمار، وكان من أهدافها: عزل الثقافة الإسلامية المعاصرة عن مصادرها، وهي بلا شك النتيجة المتوخاة من إسقاط الصحابة ﭫ؛ فحين يزول تعظيم هذا الجيل من النفوس فسوف يزول تعظيم الكتاب والسنة؛ اللذين هم نَقَلَتُهما إليها.

**ولذلك؛ فإنه يُندر أن تجد كاتبًا شغل نفسه بانتقاص بعض الصحابة** إلا وانتهى به الأمر إلى انتقاص جميعِهم، ثم إنكارِ حجية السنة النبوية، ثم التشكيكِ في القرآن الكريم!

**وهذا ما يُراد أن يصل إليه الجيل المسلم عبر الترويج لأمثال هؤلاء تحت أوصاف**: الفكر، والحرية، والتصحيح !

**وكثيرًا ما يحاولون الوصول إلى العقول عبر استخدام القرآن نفسه**؛ وذلك بتنزيل الآيات الواردة في المنافقين على كل الصحابة أو آحادهم؛ كقوله ﷻ: { وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } [التوبة:١٠١]، فإذا كان الله أخفى المنافقين عن رسوله ﷺ بادئ الأمر وهو بينهم، ولم يعلم بهم إلا بوحي من الله ﷻ، ونهاه -لحكمة إلهية!- عن الإعلام بأسمائهم؛ فكيف تسنى لهؤلاء بعد أربعة عشر قرنًا معرفتهم؟ بل والحكم على بعضهم بالدرك الأسفل من النار -كما فعل أحدهم-؟! وسوف يكون لي حديث مستقل عن المنافقين في العهد النبوي -إن شاء الله ﷻ-.

**ومن المشككين في الصحابة من يستخدم من القرآن الآيات التي وردت في تربية الصحابة** ﭫ؛ كقوله ﷻ: { وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ } [التوبة:٤٧]، وقوله: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } [الحديد:١٦]، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } [الحُجُرات:٢]، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ } [التوبة:٣٨]، وغيرها من الآيات التي ناقشت بعض العيوب في المجتمع المدني؛ لإصلاحها، وتهيئة هذا الجيل ليقود العالم بأسره بعد سنوات قليلات من نزول تلك الآيات.

**وحين يُرَبِّي القرآن الصحابة فلا بد من تذكيرهم بعيوبهم التي يراد إصلاحها**، وهذا لا يعارض -لغةً ولا عقلًا- تزكيةَ الله لهم، ووعدهم بالجنة؛ وهو ما فهمه كل مفسري القرآن طيلة القرون الخالية، بل قد نصت آية أخرى على ذلك وهي: قوله ﷻ: { إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا } [النساء:٣١].

كما أن أكثر هذه الآيات المؤدِّبَة مُصَدَّرة بالخطاب للذين آمنوا، وهذا في ذاته شهادة من الله لهم بالإيمان.

والقول بغير هذا يفضي إلى القول بتناقض آيات القرآن! وهي نتيجة -للأسف!- يصل إليها دائمًا أولئك المشككين في الصحابة؛ حيث كثيرًا ما تنتهي أطروحاتهم إلى القول بتحريف القرآن.

وكان لهم متسع لو صلحت نياتهم في قوله ﷺ: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة:١٣٤ و١٤١].

## توأمة مع تجار القدس
## لنعمل على نصرة الأقصى والقدس والمقدسيين

أسامة شحادة-كاتب أردني

في هذه الأيام التي يئن فيها محراب ومآذن الأقصى وقلوب المقدسيين والمسلمين في كل مكان بسبب ظلم وطغيان اليهود على الأقصى خاصة، وفلسطين عامة؛ فإن التفكير في نصرة الأقصى والقدس والمقدسيين بالأعمال والأفعال هو واجب الوقت الأول.

ذلك أن هذا العدوان اليهودي المتجدد والمتعاظم يحاول أن يكرر ما سبق من ظلم وعدوان وإجرام ضد الإسلام والمسلمين والقدس والأقصى حين تمكنوا من ذلك.

فحين احتل الصليبيون بيت المقدس سنة (٤٩٢هـ) أقاموا المجازر الرهيبة بحق المسلمين فيه، لخَّصها مؤرخ الحملة الصليبية ريموند بقوله: «لقد كان الذبح مهولًا! لدرجة أن الدماء كان تُغطي أرجلنا حتى الرُّكب، ولم نستطع السير في الطريق؛ بسبب أشلاء قتلى المسلمين»، ويقال أن هذا هو سبب المثل الشعبي السائر عن حالة الفوضى: «الدَّم للرُّكَب»!

أما المؤرخ ابن العبري فسجل لنا مدة المذبحة وضخامة ضحاياها من الأبرياء في كتابه «مختصر الدول» فقال: «لبث الفرنج في البلد أسبوعًا يقتلون فيه المُسلمين، وقُتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا»!

ولأخذ صورة أشمل عن مدى الجريمة التي ارتكبت في بيت المقدس قديمًا، وما يتمنى مجرمو اليهود تكراره اليوم؛ لنستمع للمؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري وهو يصف جريمة أهله:

«وهرب بعض هؤلاء العرب إلى برج داود، وأغلق آخرون على أنفسهم معبد الرَّبّ ومعبد سليمان، وتَمَّ شنُّ هجوم وحشي على المسلمين في فناء هَذينِ المعبدَيْنِ، ولم يكن هناك مكانٌ يمكن أن ينجِّيهم من سيوف رجالنا، ولو أنك كنتَ موجودًا هناك لغاصَتْ قدماك حتى العقبينِ في دماء المذبوحِينَ!

ترى ماذا أقول؟ لم نتركْ منهم أحدًا على قيد الحياة، ولم ينجُ حتى النساء والأطفال!

كم سيكون مُدْهشًا لو أنّك رأيتَ فرساننا ومشاتنا بعد أن اكتشفوا خداعَ المسلمينَ؛ فشقُّوا بطونَ الذين ذبحوهم؛ لكي يَستخرجوا من المعدة والأمعاء العُمْلاتِ الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء!!

ولنفس السبب قام رجالُنا بعد أيام قلائل بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رمادًا؛ حتى يمكنهم أن يجدوا بسهولة الذهب -الذي ذكرنا خبره-.

عندما جرى رجالنا وسيوفهم مشرعة عبر أرجاء المدينة، ولم يُبقوا على أحد، حتى أولئك الذين يرجون الرحمة؛ سقط الجميع كما تسقط التفاحات العَفِنَة جميعًا من الأغصان المهزوزة، وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخلوا بيوت السكان، واستولَوْا على كلِّ ما وجدوه فيها، وتمَّ هذا بطريقة جعلت كل من كان يدخل أولًا -سواء كان فقيرًا أم غنيًّا- لا يجد من يُنازعه من الفرنج الآخرين، وكان له أن يحتل المنزل أو القصر، ويمتلكُه بكل ما فيه؛ كما لو كان ملكية خالصة له.

وهكذا اتَّفقوا جميعًا على هذا النمط من الملكية، وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أثرياء» (كتابه: «أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس»).

وهذا النص التاريخي يكشف لنا: أن الداعشية لها جذور عريقة عند خصوم الإسلام، وأن المسلمين -دومًا- ضحايا هذه الداعشية على مر العصور!

وكان نتيجة هذه الوحشية: أن خلت القدس من المسلمين، وتم تحويل المسجد القبلي لإسطبل للخيول وحظيرة للخنازير! وهذا ما

يسعى له اليهود اليوم بتهجير المقدسيين من القدس؛ عبر التضييق عليهم في شؤون حياتهم، وفرض الضرائب والرسوم الباهظة، وتشجيع تداول المخدرات، والتسرب من التعليم، وحماية الاستيطان اليهودي حول القدس وفي داخلها؛ ولو بالغصب والتزوير.

**كما أنهم يسعون للسيطرة على المسجد الأقصى -وهو كل ما في داخل السور والسور نفسه-** عبر الحفريات تحته، أو الاستيلاء على بعض أجزاء السور؛ كحائط البراق وبعض الغرف والمدارس في السور، وعبر محاولة فرض (التقسيم الزماني) على الأقصى، وعبر جولات السياحة لليهود في ساحات الأقصى.

**وهذه الأطماع لا يجب أن تواجه بدعوات الشجب والاستنكار والمظاهرات والمسيرات والبيانات لوحدها -مع ضرورتها-!** بل نحتاج إلى أعمال وأفعال إيجابية؛ تساهم بسرعة في دعم المقدسيين في القدس، وعدم تفريغ القدس من أهلها، وهو ما تحقق للأعداء أيام الصليبيين وما يكاد يحصل عليه اليهود في هذه المرحلة.

**ومن الأفكار التي لها دور كبير في تثبيت أهل القدس في قدسهم:** دعم المحلات والشركات والحرفيين في القدس، لأن بقاء هؤلاء في متاجرهم ومحالِّهم يحفظ الوجود المسلم والعربي في القدس ووجود عائلاتهم، ويحمي المسجد الأقصى ببقاء المرابطين والمرابطات فيه، كما أنه يظهر هوية القدس الحقيقية لزائريها من الفلسطينيين والعرب والمسلمين وغير المسلمين.

**وهذا الدعم من الممكن أن يكون عبر:** قيام مبادرة توأمة بين محال ومتاجر وشركات القدس مع محال ومتاجر وشركات العرب والمسلمين في العالم؛ حيث يقوم أصحاب المهن المتشابهة في القدس وخارج القدس بعمل توأمة فيما بينهم.

**ويمكن أن تتعدد التوأمة مع المتجر الواحد في القدس مع عدة أطراف من الخارج،** مما يفتح المجال لأكبر عدد ممكن من الناس للمساهمة فيها، فقد يعجز البعض عن توفير كل الرسوم أو الإيجار لمتجر في القدس مثلًا، فليكن هناك مساهمات متعددة كأسهم من عدة محلات خارجية.

**وهدف التوأمة هو:** مساندة محلات ومتاجر وشركات القدس في توفير رسوم البلدية المرتفعة، وتغطية الإيجار السنوي، ومصاريف الماء والكهرباء على الأقل، مما يحفز هذه المتاجر على البقاء والصمود، ومما يوفر لعائلات المقدسيين الحياة الكريمة التي تدفعهم لمزيد من حماية قبلة المسلمين الأولى والتضحية لصد العدوان والإجرام اليهودي.

**وممَّا يساعد على التوأمة:** قيام جهة مقدسية موثوقة بالإشراف على ذلك -كلجنة زكاة القدس-؛ فتطلق موقعًا إلكترونيًّا بمحال ومتاجر القدس ومصاريفها، ويتم الإعلان بشفافية عن الشراكات والتوأمات التي تمت، وبذلك نقدم خدمة حقيقية وسريعة لأهل القدس وحماة الأقصى.

**ويمكن لغرف التجارة والصناعة** في بلاد العرب والمسلمين المساهمة في ذلك، وحث مشتركيها للمساهمة والمبادرة في نصرة الأقصى.

**هذه فكرة يمكن تطويرها وتحويرها لما يحقق المصلحة الكبرى للقدس وأهلها،** وآمل ممن لهم القدرة والعلاقات على تبنِّيها وتفعيلها بأسرع ما يمكن؛ حتى نوجه مشاعر الغضب ضد عدوان اليهود ومشاعر ونوايا نصرة الأقصى والمرابطين والمرابطات لعملٍ بنَّاءٍ منتجٍ ومثمرٍ، وفي الوجهة الصحيحة؛ بتثبيت المقدسيين في وطنهم المبارك.

## خسارة الأقصى من «التطبيع»

**أمير سعيد، موقع «المسلم»، (٢٥ شوال ١٤٣٨هـ)**

**سيقولون:** وما الذي جناه الأقصى من المقاومة؟!

**الإجابة ببساطة:** الكثير؛ فلولاها -بعد الله ﷻ- لكانت الخرائط الدولية تشير إليه الآن باسم: «هيكل سليمان»؛ الذي سيكون قد بُني على أنقاض الأقصى المبارك، فلم يزل الكيان الصهيوني في حذر وهو يخطو خطوات التهويد لمسرى النبي ﷺ، وهو يعاين المقاومة لمخططه بكل الطرق المشروعة، والتي تتنوع آخذة كل مراتب إنكار منكر اغتصاب الصهاينة للمسجد الأقصى في أجندتها المقاوِمة.

**يقولون:** نحن نسمع جعجعة ولا نرى طحينًا في هذه المناهضة المستمرة، والرباط الدائم!

**لكن -تنزلًا- يقال في المقابل:** أفضل من ألا نرى طحينًا، ولا نسمع حتى جعجعة من فريق المطبعين مع الكيان الصهيوني.

**هذا خير ممن لا يلقون بالًا بخطوات التهويد، ولا ينكرون ما يرونه من بغي وعدوان واغتصاب؛** لا تقره القوانين الدولية؛ فضلًا عن الشريعة الإسلامية الغراء، وخير ممن يطمرون كل ما يخدش «سمعة الصهاينة»، وما يؤجج مشاعر المسلمين من جراء عدوان الكيان الصهيوني على مقدسات المسلمين الكبرى، مشاركين في تغييب هذه القضية الرئيسة، ودفن الشعور الإسلامي الدافق نحوها.

**ماذا يفيد** خبر، أو تظاهرة، أو مهرجان، أو فعالية، أو رباط، أو اعتصام قبالة الأبواب الإليكترونية، أو... في إعادة الحرية السليبة للأقصى؟

**ماذا -إذن- يفيد** التواطؤ، والتغييب، والصمت، والاستنكار المصطنع، والتقليل من الجرائم الصهيونية تجاه الأقصى وأهله...؟

**في الأول:** هناك إحياء للقضية، بقاؤها ساخنة، تعريف لجموع النشء الذي غاب الأقصى عن مناهجه التعليمية المتغربة، فعل المستطاع والممكن والمتاح، حياة القلوب، غضبة المشاعر، استمرار الوهج.

**في الثاني:** الموت للأقصى وقضيته؛ لا سواه.

**ولمز المطوعين القائمين لله** بواجب الوقت، وملء الفراغ المتاح، والقيام بالجهد المقدور عليه؛ ولا سواء.

**الأقصى واقع تحت تهديد خطير، واحتمالات هدمه تظل قائمة، وتتصاعد نسبتها،** لكن لا يعني هذا: أن موجات الغضب الضعيفة في الأردن والمغرب والسودان والجزائر وفي قلب فلسطين لم تحدث أثرًا.

**ولا يعني:** أن صمود المرابطين النشامى على أعتاب الأقصى رافضين مذلة البوابات الإليكترونية والسيادة المتنامية -قهرًا واغتصابًا- للصهاينة على مسرى النبي ﷺ؛ لا يمثل رقمًا معتبرًا في معادلة الصراع حول أولى القبلتين.

**لا يخشى الصهاينة تصريحات المطبعين الخجولة والمرسومة لتأدية دور في امتصاص الغضب الجماهيري،** وإنما يخشون أولئك المرابطين في حر الصيف، في البقعة المباركة، ويحذَرون من اشتعال الغضب شيئًا فشيئًا في الضفة وغزة، وامتداد الأثر التوعوي للقضية إلى بلدان العرب النائمة!

**ويثير انزعاجهم:** عدم انصياع الفلسطينيين لإجراء تركيب **البوابات الإليكترونية،** المفضي إلى نزع سيادة الأردن عن الأقصى، وتسليمها كاملة للصهاينة، ولهذا قالت «هآرتس العبرية» في تقرير لها: «إن الأيام الأخيرة في القدس كشفت أن المقدسيين هم أصحاب السيادة الفعلية على المسجد الأقصى وليست إسرائيل.

**فالمواطنون الفلسطينيون -وخاصة المقدسيين- حققوا إنجازًا غير مسبوق؛** من خلال الاحتجاجات والاعتصامات على مداخل الأقصى، وعدم الانصياع للمرور عبر البوابات الالكترونية الجديدة (...).

**هذه الفعاليات؛** أجبرت إسرائيل على التفكير بجدية على تفكيك البوابات، وإعادة الوضع القائم كما كان».

**خصم المطبعون أنفسهم من قوة الأمة الإسلامية وفعاليتها، بدعوى:** فتح قنوات اتصال مع الصهاينة من أجل «حل المشكلات» مع مسؤوليهم، ومنها: «مشكلة الأقصى».

**وزعموا أنهم بهذا قد حازوا أوراق ضغط على الصهاينة،** تمكنهم من الحديث مع زعماء بني صهيون والتأثير فيهم، وانتزاع قرارات عادلة منهم!

**غير أن عكس ذلك كله هو ما قد حصل؛** فلا هم قاوموا، ولا هم ضغطوا، والحاصل: أنهم لم يفعلوا سوى نقل أنفسهم من خانة المقاومة إلى مستنقع التخاذل والتواطؤ والصمت المريب.

**وبجردة حساب يسيرة؛** لا يظهر على الأوراق أي قيمة أو فعل للمطبعين مع الكيان الصهيوني لصد الهجمة الغاشمة على المسجد الأقصى المبارك؛ فلا ساسة المطبعين يتحركون بالاتجاه الصحيح قيد

أنملة، ولا إعلامهم يحيي قضية المسرى، ولا سلطاتهم تسمح بتعبير الغاضبين عن آرائهم.

**وحشد الأمة** أمام تحدٍ هائل لمصداقية إيمانها بمقدساتها وفرضية تحريرها والدفاع عنها.

**إليهم - أيضًا - ينضم كل مماحل كذوب،** يغلف التطبيع بأوهام الهدنات وأحلام الصلح الزائفة، فسلوكه وإياهم واحد، والأقصى عند كليهما سواء، في آخر سطر من آخر صفحة من أجندة طموحاتهم المريبة؛ إن لم يكن قد توارى تمامًا منها!

**فريق يقاوم، يكتب أو يصرخ، يئن أو يبكي، يدافع أو يرابط..** وفريق يطمر كل هذا بسبيل تطبيعه الآثم؛ فسلامًا للمرابطين وهلك المطبعون!

## تفريغ القدس والأقصى

أ.د. يوسف رزقة، «فلسطين أون لاين»، (٢٠١٧/٧/٢١)

**من المعلوم: أن دولة الاحتلال قد اتخذت قرارًا ذاتيًّا بضم القدس الشرقية، وإقامة القدس الكبرى،** وهذا يجري بحسب مخطط صهيوني يستهدف: تهويد مدينة القدس، وتفريغها من سكانها الفلسطينيين؛ سواء عن طريق طرد النشطاء في المدينة إلى الضفة، أو من خلال سحب الهويات؛ لا سيما من الذين يغادرون المدينة للدراسة في الخارج.

**ولا يمكن لكاتب مقال أن يتتبع إجراءات دولة الاحتلال** لتفريغ المدينة المقدسة من سكانها العرب الفلسطينيين.

**وفي المقابل؛** تشجع حكومة الاحتلال الاستيطان في القدس، وفي المستوطنات التي تراها امتدادا لهذه المدينة المقدسة، فيما يعرف بـ «القدس الكبرى».

**سياسة دولة الاحتلال تقوم على قاعدة:** (القضم والهضم التدريجي)، وأعتقد أن المدينة فقدت عددًا كبيرًا من سكانها العرب على مدى السنوات الماضية.

**ثمة احتجاجات فلسطينية رسمية وشعبية ضد سياسة الاحتلال في القدس،** ولكن حكومة الاحتلال لا تلتفت لهذه الاحتجاجات؛ باعتبار أن المدينة لا تقبل القسمة، وهناك إجراءات في الكنيست لسن قانون يمنع تقسيم القدس.

**إنك إذا ربطت بين سياسة تفريغ المدينة من سكانها العرب مع ما جرى مؤخرًا من تركيب بوابات إلكترونية على مداخل المسجد الأقصى؛** تجد أن هذه البوابات الإلكترونية ستعمل من خلال التعقيدات الإجرائية التدريجية على تفريغ المسجد الأقصى من أكبر عدد ممكن من المصلين، إضافة إلى أن عمل الاحتلال في ذاته هو اعتداء سافر على قبلة المسلمين الأولى.

**في الحديث الشريف: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد - منها -: المسجد الأقصى»،** أي: أن الحديث يحث المسلمين على زيارة الأقصى والصلاة فيه، فكيف يمكن للمسلمين القيام بموجبات الحديث الشريف والبوابات الإلكترونية تعيقهم، وتمنعهم من حرية العبادة؟!

**حكومة الاحتلال تستثمر قتل الشرطيين على بوابات المسجد الأقصى؛** فتضع كل المصلين في خانة الاتهام والشبهة، ووجوب التفتيش، وهذا نوع من العقاب الجماعي، يستهدف -كما قلنا آنفًا-: تفريغ المسجد الأقصى من أكبر عدد ممكن من المصلين.

**لهذا -وربما لغيره- كانت احتجاجات الفلسطينيين الرافضة للبوابات الإلكترونية،** فهي تتجاوز قصة الضبط الأمني إلى ما هو أبعد من ذلك من أهداف سياسية!

**لذا نأمل أن يتحرك الأردن ومصر من أجل الضغط برفع هذه البوابات.**

**وعلى السلطة أن تتحرك من خلال علاقاتها الدولية لإزالة هذه البوابات،** بالمناسبة؛ يجدر بالسلطة وبقادة البلاد العربية العمل معًا لتثبيت سكان القدس من العرب في أماكنهم، ومكافحة كل الإجراءات الاحتلالية التي تستهدف التهويد أو التفريغ.

**هذا؛ وقد أعلنت المرجعيات الدينية والوطنية في القدس،** في اجتماع طارئ لها يوم الجمعة: عدم الدخول عبر البوابات الإلكترونية نهائيًّا، وذلك للصلاة في المسجد الأقصى.

## هل يتحقق سلام مع إسرائيل؟

د. بسام العموش، موقع «عمون»، (٢٠١٧/٧/٢٠)

**اخترق الرئيس الراحل أنور السادات الحاجز النفسي بين العرب وإسرائيل** يوم زار القدس وخطب في الكنيست، وما تبع ذلك من اتفاقات «كامب ديفيد»؛ والتي شكلت صدمة للشارع العربي والإسلامي.. تلك الصدمة تم امتصاصها بنقل الجامعة العربية إلى تونس، وقطع العلاقة العربية مع مصر.

**تم اغتيال السادات، وطويت صفحة ذلك الحدث بالاغتيال العبثي!!** وقامت حرب الخليج، واستنفدت طاقات الأمة في حرب عبثية بين العراق وإيران، راح ضحيتها الملايين! وتم اجتياح الكويت في عمل عبثي آخر! نتج عنه تدمير أكبر قوة عسكرية عربية هي قوة العراق.

**وتمت الدعوة لمؤتمر مدريد، وجاء الاختراق الثاني الحاجز النفسي،** وجلس العرب مجتمعين مع الصهاينة، ونتج عن ذلك: اتفاق «أوسلو»؛ الذي أنتج السلطة الفلسطينية، ومن ثم انقسام فلسطيني.

**وتبعه توقيع اتفاقية وادي عربة؛** التي أوجدت علاقات دبلوماسية بين الأردن وإسرائيل!!

**كل ذلك تم، لكن إسرائيل لم تقدم شيئًا؛** فالمستعمرات تبنى كل يوم، والمقدسات لم تعد، ورفضت إسرائيل المشروع العربي (السلام)؛ الذي صدر عن مؤتمر بيروت، ولم يتم سحبه حتى الآن!!

**بالرغم من استفادة إسرائيل من عنصر الزمن؛** حيث أعلنت القدس عاصمة أبدية موحدة، والتهمت أراضي الضفة؛ وبخاصة القدس، وتهدد صباح مساء المسجد الأقصى.

**فهل سيقوم سلام في المنطقة؟**

**لماذا تتنازل إسرائيل** وهي ترى حالة التمزق والضعف العربي؟!

**هناك فرصة سلام على «طريقة نتنياهو»، وهي:** حكم فلسطيني في مناطق الكثافة الفلسطينية، مع ارتباط هذه المناطق بمصر من جهة وبالأردن من الجهة الأخرى.

**مما يعني:** أنه لا دولة فلسطينية !!!

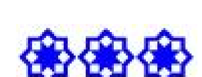
**ويعني -بعد الوطن البديل-:** قيام النظام البديل، ولهذا ترتيبات تعد من الآن!!

**أما السلام الذي يطلبه العرب الرسميون وهو:** العودة إلى أرض الرابع من (حزيران ٦٧)؛ فهذا لم ولن تقبله إسرائيل!!

**أما حديث الشارع العربي والإسلامي الشعبي؛** فلا يزال يعتقد أنه لا سلام مع إسرائيل، ولا سبيل إلا القوة؛ بالرغم من عدم توفرها؛ إلا أنها ممكنة، ولو بعد حين.

وحتى تصل الأمة إلى ذلك؛ فلتستمر المقاومة التي تزعج العدو، وتضغط عليه، وتجعل الأجيال الجديدة في دائرة الاهتمام بالشأن العام القومي والإسلامي، قبل أن تبتلعها العولمة والأخلاق المدمرة.

**هذا عصف فكري سياسي؛ فما رأيكم أنتم؟**



# حصاد «داعش»

- دمار مناطق أهل السنة في العراق والشام.
- تسلط الصفويين على مناطق أهل السنة الحرجة.
- قتل قادة السنة من العلماء والساسة والمجاهدين.
- قتل وتشريد مئات الألوف من المسلمين على أيديهم أو بسببهم.
- تدمير وتفتيت الكثير من مجموعات المقاومين والمجاهدين الصادقين.
- تعاظم نسبة الكراهية للإسلام والمسلمين في عموم بلاد العالم.
- ازدياد نفرة الناس وخوفهم من الهدي الظاهر للرجال، واللباس المحتشم للنساء.
- انصياع الحكومات الإسلامية للضغوط الغربية في إعادة النظر في المناهج الدراسية المتضمنة للمعاني الشرعية والآداب الإسلامية.
- توحش العلمانيين والليبراليين وأذنابهم باتخاذ سلوكيات "داعش" ذريعة للطعن بشريعة الرحمن.
- تراجع قبول المجتمعات للطرح السلفي المعتدل، على إثر التشويه "الداعشي" له، واستغلاله من قبل المناوئين للمنهج السلفي.
- تقديم أعظم الأسباب لتسليط قوى الغرب على بلاد المسلمين.
- استنزاف موارد البلاد العربية والإسلامية لمواجهة خطرهم، وتجنب آثار انتشارهم.




فهذه دولة التباب والخراب، تؤذن برحيلها ملعونة على ألسنة أطفال تيتموا، ونساء فُجعن بآبائهن وأبنائهن وأزواجهن واخوانهن، وشيوخ أثقل كاهلهم الهزيل ذلُ التشريد، وأنينُ الجوع الصامت.

ألا: عليكِ ثم عليكِ الدهرَ متصلاً لعائنُ اللهِ إسراراً وإعلانا

